(٢) منتقيات

الجمان

الجمان

الجمان

الشيخ علي حسن غلوم



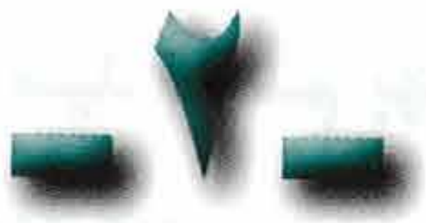

مقالات مختارة من صفحة منتقى الجمان المنشورة على صفحات جريدة الوطن الكويتية

من

١٠ محرم ١٤٢٩ هـ / ١٩ يناير ٢٠٠٨ م

إلى

١٣ محرم ١٤٣٠ هـ / ١٠ يناير ٢٠٠٩ م

جميع حقوق الطبع محفوظة للمؤلف

الطبعة الأولى

١٤٣٠ هـ ـ ٢٠٠٩ م

من مطبوعات

مسجد سيد هاشم بهبهاني

تلفون: ٢٥٤٢٧٩٩٧ ـ ٢٥٤٢٧٦٦٧

فاكس: ٢٥٤٢٨٥٥٨

Email: alwalaa@alwalaa.com

محتويات الكتاب

١ـ يا لفتية عاشوراء ٩
٢ـ مشروع الآل والأصحاب.. ما له وما عليه ١٤
٣ـ بين شعيب النبي والحسين الشهيد ١٩
٤ـ حقوق اللقيط في الإسلام ٢٢
٥ـ بنو إسرائيل و الميثاق الإلهي ٢٥
٦ـ لتسئلن يومئذ عن النعيم ٢٧
٧ـ العزلة و الاعتزال من منظور إسلامي ٣٠
٨ـ و مني إلى أصحاب الشأن ٣٢
٩ـ التوحيد في فكر الإمام الحسن العسكري ٣٤
١٠ـ السب والشتم.. لمصلحة من ؟ ٣٧
١١ـ مفارقات ٤١
١٢ـ و وجدك ضالاً فهدى ٤٣
١٣ـ عرائس المخدرات ٤٥
١٤ـ اعقلها و توكل ٤٧
١٥ـ عندما سقط علام ٥٠
١٦ـ التشيع و الباطنية ٥٣
١٧ـ قُدُماً نحو ولاية الشيطان !! ٥٦
١٨ـ لغة القرآن بين المجاز و الرمزية الباطنية ٥٩
١٩ـ دعاء القدح ٦١
٢٠ـ أزمة الغذاء العالمية ٦٤
٢١ـ المرأة والتنمية الاجتماعية ٦٦
٢٢ـ تدوين السنة عند الشيعة ٦٨
٢٣ـ الفتوّة ٧٠
٢٤ـ حقيقة الخرافة ٧٣
٢٥ـ الوسواس ٧٥
٢٦ـ المفكر المسيري في ذمة الله ٧٨
٢٧ـ الإمام علي في شعر أبي تمام ٨١
٢٨ـ المحكمة الجعفرية ٨٣

محتويات الكتاب

٢٩ـ على أعتاب شعبان ٨٦
٣٠ـ طلقني ٨٨
٣١ـ شبهة سرداب الغيبة ٩١
٣٢ـ صلاة الجمعة.. الفريضة الغائبة ٩٤
٣٣ـ الهلال المدلل ٩٦
٣٤ـ أعوذ بالله ٩٩
٣٥ـ هل سجد الملائكة لآدم ؟ ١٠١
٣٦ـ منهج الإسلاح عند الإمام علي ١٠٣
٣٧ـ محطات شهر الخير ١٠٧
٣٨ـ الاقتصاد و الأخلاق ـ ١ ..... ١١٠
٣٩ـ الاقتصاد و الأخلاق ـ ٢ ..... ١١٣
٤٠ـ كذب الفلكيون و لو صدقوا ١١٦
٤١ـ الفرقة الناجية ١٢٠
٤٢ـ تطلعات حول الخمس ١٢٣
٤٣ـ التربية الإنسانية ١٢٦
٤٤ـ على وقع الانتخابات الأمريكية ١٢٨
٤٥ـ شبابنا محبطون ١٣٢
٤٦ـ رسالة إلى كل حاج ١٣٥
٤٧ـ ضعف الطالب و المطلوب ١٣٨
٤٨ـ الغضب ١٤١
٤٩ـ قالوا في الغدير ١٤٣
٥٠ـ المتاجرون بالدين ١٤٦
٥١ـ المتخاذلون ١٤٩
٥٢ـ لن تسقط غزة ١٥٢
٥٣ـ بين الولاية و الخلافة ١٥٤
٥٤ـ صدر للمؤلف ١٥٧

المقـــــدمة

الحمد لله فاطر السماوات والأرض عالم الغيب والشهادة ديّان الدين رب العالمين، والصلاة والسلام على أشرف الخلق وسيد المرسلين المبعوثِ رحمةً للعالمين محمد وعلى آله الطيبين الطاهرين وصحبه المنتجبين.

تمثل الصحافة في عالم اليوم نافذة مهمة للوصول إلى عقول الناس وقلوبهم، ورسم معالم الثقافة في المجتمع، وتكوين الرأي العام، ومن هنا كان للإعلام الدعَوي نصيب في الصحافة المحلية، وشغلت القضايا الدينية حصة وافرة من مساحات صفحات الرأي، كما خُصصت لها صفحات ثابتة تعكس من خلالها رؤيتها.

إلا أن ثقافة و رؤى مدرسة أهل البيت عليهم السلام لم تنعكس في الصحافة المحلية بالصورة التي تتوافق مع طموحات المواطنين والمقيمين منذ بدء انطلاقة العمل الصحافي في الكويت، فكانت محدودة ومقيَّدة وبحاجة إلى تفعيل وتطوير خطابي يتناسب مع القراء على تنوّع ثقافاتهم وانتملءاتهم الدينية والمذهبية.

وقد شعر بعض الإخوة الأعزاء بضرورة خوض هذه التجربة وتحمل المسئولية على الرغم من بعض العقبات التي قد تواجههم على أكثر من صعيد... ومن هنا انطلقتُ مع تجربتي الصحافية.

وفي الواقع، يعود مشواري مع الكتابة الصحفية إلى ما قبل ٢٨ سنة تقريباً، بصورة مقالات أو ردود متفرقة توقفت مع سفري إلى خارج البلاد بغرض الدراسة في الحوزة العلمية بمدينة قم. إلا أنه بعد عودتي إلى الكويت عرض عليّ الأخ العزيز وزير الدولة الأسبق الحاج عبدالهادي الصالح أن أكتب زاوية أسبوعية خلال شهر رمضان في صحيفة الطليعة وذلك تحت عنوان (على مائدة أهل البيت) تحتوي على مقالة رئيسية وبعض الأحكام الشرعية المتعلقة بالشهر الفضيل، وهو ما استمر لبضع سنين، وللقائمين على الصحيفة الشكر والتقدير.

وبعد فترة عَرض عليّ الكتابة في صحيفة القبس على أن تكون يومية خلال شهر رمضان، وتحمل ذات الاسم، وبحمدالله ومنِّه وافق المسؤولون على الصحيفة ـ مشكورين ـ على هذا المقترح، فأصبح المحتوى أكثر تنوعاً، لاسيما وأن المساحة المتاحة لي في الصفحة أضحت أرحب مما كانت عليه في الطليعة التي لا يفوتني أن أشكرها أيضاً على ذلك الانفتاح.

وقبل ما يقارب السنتين سعى أخي الكريم وصديقي العزيز السيد جابر بهبهاني عند القائمين على صحيفة الوطن الكويتية لإفساح المجال لتخصيص صفحة أسبوعية طوال العام،

على أن تكون لي مطلق الحرية فيما أكتب وأنشر، وأن ينبع ذلك من الإحساس بمسئولية الكلمة التي يجب أن توحِّد لا أن تفرِّق، وأن تسعى لتقريب وجهات النظر ما أمكن، وتزيل الشبهات عما خفيت ملامحه أو تشوهت صورته من مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وأن تعمل على نشر الوعي والثقافة الدينية بعيداً عن المزايدات والمهاترات والانفعالات غير المنضبطة، وأن تعكس الصورة الحضارية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام بطريقة ننفتح من خلالها على كل القراء بمختلف المشارب والتوجهات، انطلاقاً من قول الله تعالى (ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ) (النحل: من الآية١٢٥) وكلمة ثامن أئمة أهل البيت الإمام علي الرضا عليه السلام حيث قال لعبدالسلام بن صالح الهروي: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا).

ووقع الاختيار على (منتقى الجمان) عنواناً للصفحة التي تشتمل على ما معدله سبعة أبواب، والرئيسية منها: كلمة العدد، من روائع نهج البلاغة، ابتهال، والمسائل الشرعية. أما بقية الأبواب فشارك فيها أحياناً بعض الكتاب من العلماء والأخوة والأخوات والشباب الذين أكنّ لهم كل الشكر والتقدير على تفاعلهم الإيجابي.

ويمثِّل هذا الكتاب ٥٢ مقالة (كلمة رئيسية) نُشرت على مدار السنة الثانية، ابتداءً من العاشر من محرم من عام ١٤٢٩ هـ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٨، على أن يُستتبع بكتاب آخر مخصص لكل الكلمات الرئيسية المنشورة في العام الثالث بإذن الله تعالى. علماً بأنه قد تم إصدار العدد الأول من كتاب منتقيات والذي احتوى على مقالات السنة الأولى.

وأنتهز هذه الفرصة لأتقدم بجزيل الامتنان للقائمين على صحيفة الوطن على ترحيبهم بالصفحة، ولما قدّموه من تسهيلات وتجاوبهم مع بعض الاقتراحات التي كنت أقدِّمها لهم من حين لآخر فيما يتعلق بذات الصفحة، وأسأل الله تعالى أن يكتب لي الاستمرار في هذا العطاء الذي أشعر أنه مسئولية كبيرة تتطلَّب المزيد من الاهتمام والمزيد من العمل، كما أتمنى أن تحذو سائر صحفنا المحلية حذو هذه الخطوة المتميزة ـ ولعلها غير المسبوقة في الكويت ـ وتفسح المجال أمام المهتمين بالكتابة في هذا الإطار وضمن مساحات كافية وصفحات ثابتة، فتحقق من خلال ذلك المصداقية الحقيقية لحرية القلم والصحافة وتكافؤ الفرص في ديرتنا العزيزة.

علي حسن غلوم علي ـ الكويت

بسم الله الرحمن الرحيم

يا لفتية عاشوراء...

١٠ محرم ١٤٢٩ هـ / ١٩ يناير ٢٠٠٨



المشهد الأول

عليٌّ.. يا فتى الإسلام.. حسينُك.. ريحانةُ حبيبك.. فتاك الأبيّ.. يقف بين أصحابه.. في ساحة المعركة.. وقد لفَّهم الليل بوحشتِه.. وأضاء قلوبَهم حبَّ فتاك.. حسين.. بَضعةِ حبيبِك المصطفى.. وسيدِ شباب أهل الجنة.. وشتان ما بين موقفِ فتاك في كربلاء.. وموقفِك يوم صفين.. آلاف مؤلّفة من السيوف تتراقص تحت أشعة الشمس.. وحناجر أصحابِك السُّراة تُنشد رَجَزَ البطولات.. وتهتف باسمك الذي ترتعد له فرائص الفتيان.. شتّان بين ذا وذاك..

علي.. يا فتى الإسلام.. ألا ليت بضعَ مئاتٍ من أولئك الرجال.. من هَمْدان.. من مذحج.. من كِندَه.. بين يدي حسينك.. ينتصرون لنداءاته.. ويهبّون لنجدة دين جدِّه..

ألا هيهات.. لو تُرك القطا ليلاً لنام.. وأنّى له بمثل أولئك الفتية؟! فقد عزَّ الرجال..

وضنَّ بهم الزمان..

****

(أما بعد فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرّ وأوصل من أهل بيتي، فجزاكم الله عني جميعاً خيراً، ألا وإني أظنٍ يومَنا من هؤلاء الأعداء غداً، ألا وأني قد أذِنت لكم، فانطلِقوا جميعاً في حِل ليس عليكم مني ذِمام. هذا الليلِ قد غشِيَكم فاتخِذوه جَملا، ثم ليأخذ كلُّ رجلٍ منكم بيدِ رجلٍ من أهل بيتي، ثم تفرقوا فيً سوادِكم ومدائنِكم حتى يفرّج الله، فإن القوم إنما يطلبوني، ولو قد أصابوني للهوا عن طلب غيري)..

****

• فإني لا أعلم أصحاباً أوفى ولا خيراً من أصحابي، ولا أهلَ بيتٍ أبرّ وأوصل من أهل بيتي

جاءت كلماتُ فتى عليٍّ تقرعُ طبولَ الحرب.. وتبتلي في نفوسِ أصحابِه ثباتَ عزمِهم.. وعلوّ همَّتِهم.. وصِدق نيّاتِهم..

وأجال فتى عليٍّ بناظريه يرمق حواريّيه.. رِبّيّون ما وهنوا لما أصابهم في سبيل الله.. وما ضعفوا وما استكانوا.. تدورُ ألسنتُهم بذكر الله.. (ربنا اغفر لنا ذنوبَنا وإسرافَنا في أمرنا.. وثبِّت أقدامَنا وانصُرنا على القوم الكافرين)..

رِبّيّون تعاهدوا ألا يُصعِدوا إذا دعاهم داعيَ الله.. واستفزَّهم الشيطان بخيلِه ورَجِلِه.. وأحاط بهم الموجُ من فوقهم ومن أسفل منهم.. حين تزوغ أبصارُ الرجال.. وتبلغُ القلوبُ الحناجر.. وتتزلزل الأقدام زلزالاً شديداً..

ربِّيّون أعطوه ميثاقاً غليظاً.. وسألهم عن صدقهم.. فصدقوا.. وما بدّلوا تبديلا.. إنهم أنصارُ الله.. آمنوا وأسلموا.. وأشهَدوا بذلك ربَّهم.. فهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم وثبّتَهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء..

****

بين أولئك الفتية الأبرار.. شيخٌ جاوز الثمانين قد اختطّ الزمنُ على جبينه ووجنتيه كلماتٍ.. تُنبئ عن كهل كان الجهادُ في سبيل العزة مَعْلَمَ طريقِه.. ودمُه المدادَ الذي كتب به أربابُ التأريخ قصةَ مجدِ المجاهدين.. كهلٌ لا ترى في معالم كهولته إلا فتوةً

• وأجال فتى عليّ
بناظريه يرمق حواريّيه..
رِبّيّون ما وهنوا لما
أصابهم في سبيل الله

تتفجر شموخاً.. وتتعالى على وهن العمُر.. وتضخُّ الإباء في جوارحِه..

فتوةٌ يلفُّها خشوعُ اليقين.. وتواضعُ الإيمان.. وسكينةُ الروح المطمئنةِ التي تترقَّبُ ساعةَ الرجوعِ إلى ربِّها..

(أنحن نُخلي عنك، ولمّا نعذر إلى الله في أداء حقك؟! أما والله لا أبرح حتى أكسر في صدورهم رمحي وأضربهم بسيفي ما ثبت قائمُه بيدي.. ولا أفارقك.. ولو لم يكن معي سلاح أقاتلهم به لقذفتهم بالحجارة دونك.. حتى أموت معك.. والله لا نخلّيك حتى يعلم الله أنا قد حفظنا عَيْبةَ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فيك.. والله لو علمتُ أني أُقتَل ثم أحيا ثم أُقتَل ثم أُحرَق ثم أُذرى.. يُفعَل ذلك بي سبعين مرة ما فارقتك حتى ألقى حِمامي دونك.. وكيف لا أفعل وإنما هي قتلة واحدة.. ثم هي الكرامة العظمى التي لا انقضاء لها أبداً؟!)..

يا ملائكة الرب اشهدي أنصارَ حسين إلى الله.. فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. فإنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم.. وثبّتَهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء..

****

وفي آخر القوم صبيٌّ يتطاول بعنُقٍ أضاء دُجى ليلتِهم التي زادَ ظُلمتَها أنفاسُ قومٍ

احتوشوا الأبرار.. وأحاطوا بهم يتطلّعون إلى الساعة التي تُبيح لهم سفكَ الدم الحرام.. أنفاسٌ تنفثُها قلوبٌ رانَ عليها سوءُ ما اكتسبت.. وأنتَنَ ريحَها خُبْثُ نواياها..

صبيٌّ يكاد يتلمّسُ الحُلُم.. يتطلّعُ ليجدَ لنفسه مكاناً بين أولئك الفتية الذين أحاطوا بعمِّه.. دون أن يقلّ عنهم في حُلومِهم.. (عمّاه!! وما نصيبي أنا من هدايا السماء؟!)..

وانتزعٍ فتى عليٍّ من شفتيه ابتسامةً تفيض رحمةً.. وتقترن بشعور غريب يمتزج فيه الفخر بالعطف.. والعزة بالخوف.. عزةٌ عنوانُها شموخ هذا العلوي.. وخوفٌ على وديعةِ أخيه الحسن الزكيّ..

آه يا أبا محمد.. ليتك حاضرٌ في هذا المشهد.. فتخفِّفَ عني ثقل أمانتك.. أأمسكُه على هونٍ.. أم أقدِّمُه فداءً للسماء؟!

انحنى فتى عليٍّ على ابنِ أخيه القاسم.. (قاسمُ أيَ مُهجتي.. كيف الموت عندك يا بني؟)..

تمعّن الصبيُّ في عيني عمه.. وما فتئت حدقتاه تتراقصان فرحاً.. (يا عم، كيف الموت عندي وأنا ابنُ فتى الإسلام؟ أنا ابنُ مَن نادى جبريل باسمه هاتفاً: لا فتى إلا علي.. أنا ابنُ مَن فرَّجَ الكُرَبَ عن وجهِ جدي رسولِ الله.. يا عم.. الموتُ عندي أحلى من العسل)..

يا جنةَ الخُلدِ بُشراك.. تزيّني وتطيّبي.. هذا ابنُ الزكيّ يشتاق للقياكِ.. أيتها الحور بُشراكِ.. تهيئي وأعدّي واستعدّي.. فمعشوقكِ ـ القاسم ـ آتٍ للقياكِ..

وبين ذلك الشيخ وهذا الفتى.. فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم.. وثبّتَهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء..

****

• تمعّن الصبيُّ في عيني عمه.. وما فتئت حدقتاه تتراقصان فرحاً.. يا عم، كيف الموت عندي وأنا ابنُ فتى الإسلام؟

• يا ملائكة الرب اشهدي أنصارَ حسينٍ إلى الله فقد صدقوا ما عاهدوا الله عليه.. فإنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربط على قلوبهم وثبّتَهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء

عاد فتى علي يستقرئ غدَه.. بل غدَ أولئك الأشقياء الذين يريد لهم آخرتهم.. ويريدون له دنياهم.. وشتّان بين ذا وذا.. فشبل علي ربيبُ محمد.. فتى قريشٍ الذي صدح بالحق هاتفاً (والله يا عم.. لو وضعوا الشمس في يميني والقمر في شمالي على أن أترك هذا الأمر ما تركته، حتى يُظهره الله أو أهلك دونه).. وكأنّ الزمان يدور فيستقرّ بين يدي سبطه ليعرض له الأمر من جديد.. دنيا قريش.. أم جنةُ الرب؟! معادلة ولا أيسرِ منها.. سقط في شَرَكِها رجالٌ ورجال.. أمّا سليل النبوة فلا ينسى تمتمات

أبيه حيدرة (يا دنيا غُرّي غيري.. أبي تعرّضتِ أم إليَّ اشتقتِ؟! هيهات قد باينتك ثلاثاً لا رجعة لي فيكِ)..

وأغمض فتى علي عينيه.. وهوى إلى الأرض ساجداً.. وأفاض من سكونه على ليلتِه سكوناً.. سكونٌ خشعت له النجوم.. وسبّحَت معه الملائكة.. وخضعَت له الأرض.. فلا تكاد تسمع إلا همساً.. وحملت الريح كلمات الرب تتلوها حناجرٌ الصحب الأوفياء.. (إنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدىً وربطٍ على قلوبهم).. وثبّتَهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء..

****

المشهد الثاني

(اللهم أنت ثقتي في كل كرب. وأنت رجائي في كل شدّة.. وأنت لي في كل أمر نزل بي ثقة وعُدّة).. تراتيل تصعّد من شفتي فتى علي.. وهو يتقدّم حتى وقف بأزاء جند الشيطان.. فجعل ينظر إلى صفوفهم كأنهم السيل.. (تباً لكم أيتها الجماعة وترحاً.. أحين استصرختمونا ولهين، فأصرخناكم موجفين، شحذتم علينا سيفاً كان في أيماننا، وحششتم علينا ناراً اقتدحناها على عدوكم وعدوّنا؟! فأصبحتم إلباً على أوليائكم ويداً عليهم لأعدائكم بغير عدل رأيتموه بثّوه فيكم، ولا أمل أصبح لكم فيهم، ومن غير حدث كان منّا، ولا رأي يفيل فينا.. فهلا - لكم الويلات - إذ كرهتمونا تركتمونا والسيف مُشيّم والجأش طامن والرأي لم يستخف؟... ألا وإن البغي ابن البغي قد ركِز بين اثنتين، بين السِّلّة والذلة، وهيهات منا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحُجورٌ طابت، وبطونٌ طَهُرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة، أن نؤثر مصارع الكرام على ظآر اللئام.. ألا وإني زاحفٌ بهذه الأسرة على قلة العدد وكثرة العدو وخذلة الناصر)..

• وهيهات منا الذلة، أبى الله ذلك ورسوله والمؤمنون وحُجورٌ طابت، وبطونٌ طَهُرت، وأنوفٌ حميّة، ونفوسٌ أبيّة

وجاء الجواب.. سهامٌ كأنها المطر.. تمزّق أحشاءَ السماء.. وتخرق صدور الأبرار.. الذين ما وهنوا وما ضعفوا.. بل وتّدوا في الأرض أقدامهم.. وأعاروا الله جماجَمهم.. ونظروا إلى آخر القوم.. صلابةً وإقداماً..

وتعالى نداءُ البِراز بين الصفوف..واصطكّتَ الأسماع من صرير كلام السيوف.. وتطايرت الأيدي والأعناق.. وتهاوى جُندِ الشيطان إلى جحيم الأبد صرعى.. وتصاعدت أرواح فتية عاشوراء الواحد تلو الآخر..

• وأغمض فتى علي عينيه.. وهوى إلى الأرض ساجداً.. وأفاض من سكونه على ليلتِه سكوناً



حتى لم يبقَ مع فتى علي أحد..

تقدّم سيّدُ فتيةِ عاشوراء.. فاهتـــزّت الأرض من وقع خطاه.. وامتـــلأت النفوس هولاً من كلماته..

أنا الحسينُ ابنُ علي
آليت أن لا أنثني
أحمي عيالات أبي
أمضي على دين النبي

• الويلُ لكم.. أتدرون لمن تُقاتلون؟! هذا ابنُ الأنزع البطين.. هذا ابنُ قتّال العرب.. فاحملوا عليه من كل جانب

وحمل فتى علي كالليث.. وجُندُ الشيطان تنكشف بين يديه انكشاف المعزى إذا شُدَّ عليها.. وتنهزم فلولهم بين يديه كأنها الجـــراد المنتشر.. حتى أوقعَ فيهم ما لا يُحتمَل.. (الويلُ لكم، أتدرون لمن تُقاتلون؟ هذا ابنُ الأنزع البطين.. هذا ابنُ قتّال العرب.. فاحملوا عليه من كل جانب)..

وبينا فتى عليٍّ يقاتل الأشقياء.. إذ شقَّ سهمُ الخيانةِ جبهته.. فلم يُبالِ.. بل حَمل عليهم كالليـــث المغضَب.. يُلحقهم بأسلافهم.. ويسقي الأرض بدمائهم النجسة..

(يا أمّةَ السوء.. بئسما خلّفتـــم محمداً في عترته).. وهوى على رأسه حجر.. فجّر ينبوع الطهر من جبهته.. فأخذ الثوب ليمسحَ الدمَ عن وجهه.. فأتاه سهمٌ تثلّثَت شُعَبُه.. وشقّ طريقَه نحو صدرِه.. حتى استقر.. عميقاً.. حيث قلبِ فتى علي..

تكاثفَت غشاوة الدم على عيني سيدِ الفتيان.. وتباطأت خفقاتُ قلبه الزكيّ.. وسَرَت برودةٌ في أطرافه.. واشتعل العطـــشُ في فمه.. وخارت قواه.. واحتضـــنَ الصعيدُ جسدَه.. فملأ المكـــان من عبق الجنة.. وأجال فتى علي بناظريه حوله.. يرمقُ أصحابَه على الثرى.. وأغمض عينيه وصدى كلماتِ الرب تتهادى إليه.. (إنهم فتيةٌ آمنوا بربهم وزادهم هدى وربط على قلوبهم).. وثبّتهم تثبيتاً.. فيا لفتية عاشوراء..

مشروع الآل والأصحاب.. ما له وما عليه

١٧ محرم ١٤٢٩ هـ / ٢٦ يناير ٢٠٠٨

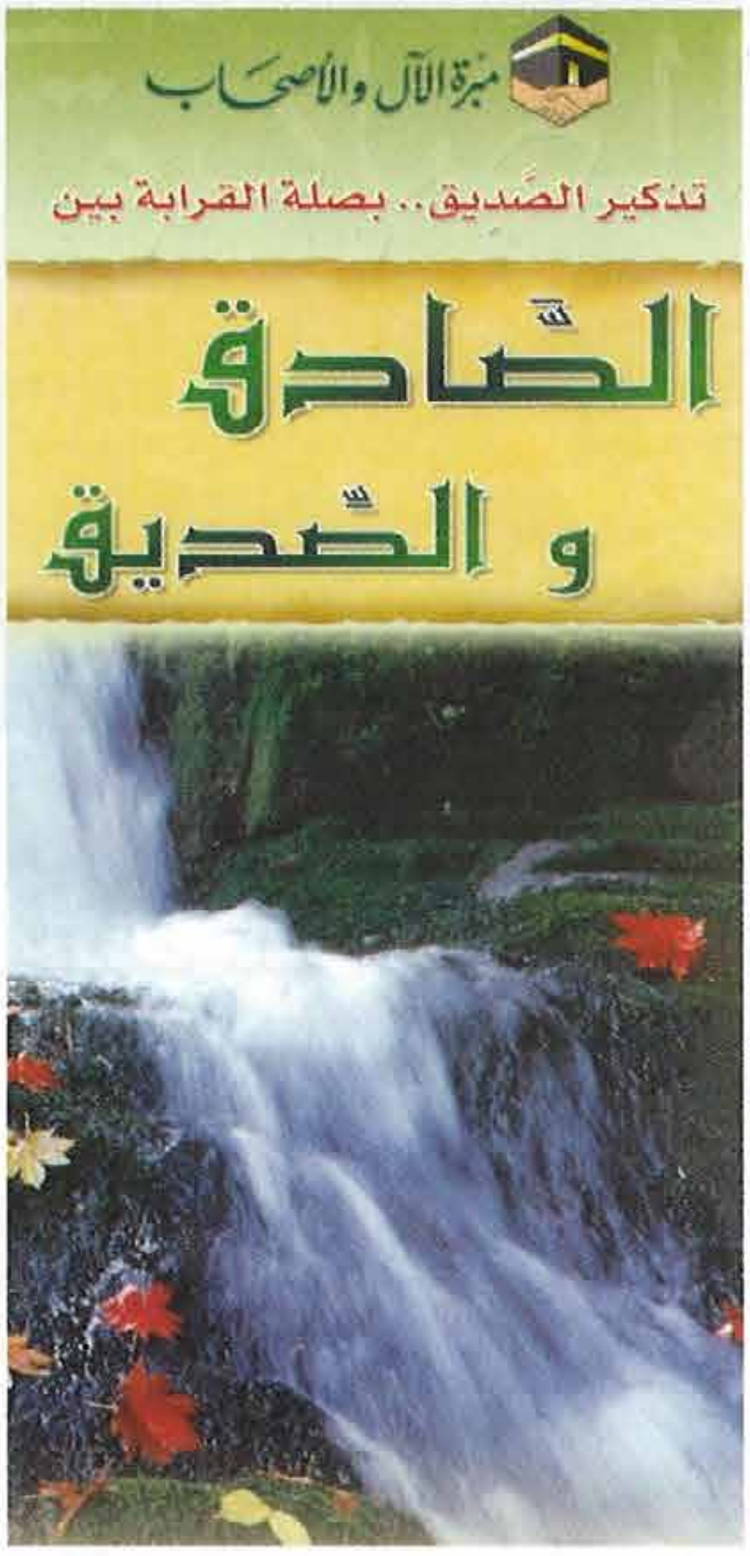

كثر الحديث في الآونة الأخيرة حول العلاقة بين الآل والأصحاب، وحب الأصحاب جميعاً لآل البيت، والعلاقة المتميزة التي كانت بين الطرفين، والمصاهرات التي حدثت بينهما، كما تم ربط هذا الموضوع بقضية استشهاد الإمام الحسين عليه السلام وبقضايا تاريخية أخرى، وتحدث البعض عن حب المسلمين جميعاً لأهل البيت عليهم السلام، وأثر ذلك في تقريب وجهات النظر بين المسلمين السنة والشيعة، وغير ذلك.

ولابد هنا في خضم هذا الحديث المتنامي حول هذا الموضوع أن أوضح عدة نقاط في محاولة لإكمال الصورة وإيضاحها بشكل أكبر، وسعياً لإنجاح أي مشروع يهدف لتحقيق الألفة والوحدة في الصف الإسلامي، وذلك ضمن العناوين التالية:

النقطة الأولى: لا يختلف أصحاب الغيرة على الإسلام أن الوحدة الإسلامية هي من القضايا المهمة والملحّة في واقع المجتمعات الإسلامية، وليس منطلق هذه القضية تكتيكياً باعتبار ما تواجهه الأمة من مخاطر وتحديات، حتى إذا زالت تلك التحديات عادت الفرقة من جديد ورجعت الأمور إلى ما كانت عليه، بل هي مسألة مبدأ وعقيدة يتبناها المسلم انطلاقاً من قوله تعالى (وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعاً وَلا تَفَرَّقُوا)(آل عمران: من الآية١٠٣).

النقطة الثانية: الحديث المكثّف (والمطوّر) عن وجوب حب آل البيت عليهم السلام، والتعريف بفضلهم ومناقبهم وشخصياتهم، من قبل العلماء والباحثين من إخواننا من أهل السنة، وإحياء ذِكر ثورة الإمام الحسين عليه السلام بالتفصيل من حيث الأبعاد والأهداف والآثار، كل ذلك يعدّ خطوة إيجابية في طريق الوحدة الإسلامية، وتخفيف حدة التشنّج بينها، وإيجاد أرضية مشتركة للانطلاق من خلالها لتعزيز روح الأخوة الإسلامية بين أتباع المذاهب المختلفة.

النقطة الثالثة: من النقاط الإيجابية في مشـــروع مبرة

الآل والأصحاب هي مسألة التحوّل النوعي في خطاب بعض العلماء والمشايخ بدعوتهم إلى أهمية دراسة تاريخ الصحابة والآل، ومجريات أحداث تلك الفترة التي جمعتهم، وهو ما كان يُنكر على المسلمين الشيعة إذ كانوا يتناولونها، ولاسيما ثورة الإمام الحسين عليه السلام وملابساتها، وذلك بذريعة أن (تِلْكَ أُمَّةٌ قَدْ خَلَتْ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَلَكُم مَّا كَسَبْتُمْ وَلاَ تُسْأَلُونَ عَمَّا كَانُوا يَعْمَلُونَ) (البقرة:١٣٤)، مع تأكيدي الدائم على ضرورة الحفاظ على اعتماد الأسلوب العلمي الراقي البعيد عن لغة الإسفاف والتهجم والسب واللعن والقفز على الحقائق، وعلى أن يكون الهدف هو البحث العلمي المتجرّد الذي يقدّم المادة العلمية للباحثين عنها، تماماً كما يُدرس تاريخ سائر الحضارات والأديان والشعوب، لأنه لا يمكن لأية أمة أن تنسلخ عن ماضيها وتعرض بوجهها عنه، لأن الحاضر امتداد ذلك الماضي ونتاجه، كما أننا نأخذ سنة النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن طريق آله وأصحابه، الذين يشكلون في ذات الوقت القدوة للمسلمين، وما علم الرجال والجرح والتعديل إلا مصداق من مصاديق البحث في نطاق دراسة أحوال الشخصيات ومنهم الآل والأصحاب.

النقطة الرابعة: إذا أريد السعي لإنجاح مشروع الوحدة الإسلامية فلابد من الاتفاق على أرضية مشتركة بينها تكون هي الأساس في تكوين الرؤى وتوجيه الخطاب للرأي العام والعمل على الأرض من أجل إنجاح المشروع، وهذا ما اصطلح عليه القرآن الكريم بمبدأ (الكلمة السواء)، وإن كان ذلك يخص العلاقة بين المسلمين وأهل الكتاب، إلا أنه مبدأ عام ضروري لإنجاح المشروع.

• من النقاط الإيجابية في مشروع مبرة الآل والأصحاب هي مسألة التحوّل النوعي في خطاب بعض العلماء والمشايخ

النقطة الخامسة: الأرضية المشتركة (الكلمة السواء) التي دعا إليها أصحاب الأقلام المشار إليهم في بداية المقالة، ولا سيما إخواننا في (مبرة الآل والأصحاب) هي العلاقة بين الآل والصحاب، باعتبار أنها كانت علاقة ود وتصاهر مستمر، إلا أنني أجد أن الإخوة لم يوفّقوا في اختيارهم لهذه الأرضية (ولا أريد أن أحاكم نواياهم)، إذ أنّ مَن يريد أن يقرّب وجهات النظر فعليه أن يبحث عن المشتركات لا نقاط الاختلاف، ومن المعلوم أن العلاقة بين الآل والأصحاب هي من المحاور الرئيسة في الاختلاف بين السنة والشيعة، فالتاريخ يحكي حالات من التصارع والاقتتال والاختلاف العنيف والدموي ومنها الحروب التي قامت بين الأصحاب والأصحاب، أو بين بعض الأصحـــاب وبعض الآل،

وأوضح مثال عليها الحروب الثلاثة التي وقعت على عهد أمير المؤمنين الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام، وهي حرب الجمل وحرب صفين وحرب النهروان، والتي واجَه فيها الإمام علي عليه السلام بعض كبار الصحابة.

وكان نتاج هذه الحروب قتل وجرح عشرات الألوف من المسلمين، عدا الشرخ الكبير الذي أصاب الأمة وما تبع ذلك من فتن وحروب وثورات من قبيل المواجهات التي وقعت بين الإمام الحسن بن علي عليه السلام وبين جيش معاوية بن أبي سفيان، ثم مقتل الإمام الحسين عليه السلام بأمر يزيد بن معاوية، ووقعة الحرّة في المدينة المنورة والتي قُتِل فيها الكثير من صحابة رسول الله، وثورة الصحابي عبدالله بن الزبير وغير ذلك.

وهذا لا يعني أن حالة الخصام كانت قائمةً بين الآل والأصحاب عموماً، بل إن عدداً كبيراً من الأصحاب كانوا في قوات الإمام علي عليه السلام ومن ثم مع الإمام الحسن، كما شارك بعضهم في ثورة الإمام الحسين واستشهد معه، ولا مجال لذكر الأسماء.

ولذا فإنني أرى أن جهد إخواننا في المبرة وغيرهم إنما يصب ـ في نهاية الأمر ـ في محاولة لإقناع أتباع مدرسة أهل البيت بخطأ رؤيتهم التاريخية والتنازل عن بعض متبنياتهم. وإن لم يكن هو هذا الهدف من وراء المشروع، إلا أنه بالنتيجة يصب في هذا الاتجاه، وهو ما لن يرتضيه إخوانهم الشيعة وسيبقون يتحسسون منه، وبالتالي سيبقى مشروع التقريب محدود التأثير.

• مَن يريد أن يقرّب وجهات النظر فعليه أن يبحث عن المشتركات لا نقاط الاختلاف، ومن المعلوم أن العلاقة بين الآل والأصحاب هي من المحاور الرئيسة في الاختلاف بين السنة والشيعة

النقطة السادسة: ثم إن مسألة عدالة الصحابة والقول بأن من اجتهد منهم في أي أمر فأخطأ فله أجر، حتى لو أدى ذلك إلى إراقة دماء الآلاف من الأبرياء، هي قضية خلافية أخرى، يسعى إخواننا في المبرة إلى جعلها أرضية أخرى مقبولة عند الطرفين للانطلاق منها في مشروع التقريب، في الوقت الذي يمثّل فيه تنازلاً آخر يُفترض على المسلم الشيعي تقديمه من أجل إنجاح المشروع، وهذا خطأ آخر وقع فيه الإخوة مع تقديرنا لهم واحترامنا لمشروعهم، وسيُبقي حالة عدم قبول المشروع فعّالاً، لاسيما مع وجود عدة نصوص قرآنية ونبوية من قبيل ما صحّ عن رسول الله أنه قال: (يُذاد أناس عن حوضي يوم القيامة فأقول: يا رب أمتي!) وفي لفظ يقول: (أصحابي أصحابي! فيقال: إنك لا تدري ما أحدثوا بعدك، إنهم لم يزالوا مرتدين على أعقابهم منذ فارقتهم

فأقول: سحقاً سحقاً لمن بدَّل بعدي). أخرجه مسلم في كتاب الطهارة، باب استحباب إطالة الغرة والتحجيل في الوضوء برقم ٢٤٩، ونقلته عن الموقع الرسمي للشيخ عبدالعزيز بن باز على الإنترنت.

النقطة السابعة: لعل من مشكلات تكوين الشخصية الإسلامية هي الازدواجية بين ما نقدّمه للمسلمين من قيم نظرية، وبين بعضِ النماذج التي نُصحّح شيئاً من تصرفاتها ولو بعنوان الاجتهاد الخاطئ الذي يُؤجر عليه، فالقاتل والمقتول مثابان، ولا يتحمّلان وزر دماء الآلاف من المسلمين، ولا تبعات الفتن والحروب، إلى آخر القائمة، مما يخلق ازدواجية في شخصية المسلم الذي يترضّى على الحسين بن علي الشهيد وعلى يزيد بن معاوية الذي أمر بقتله!! مما يسبب له إرباكاً عند الرغبة في اتخاذ قرار في أمر مشابه يعايشه، فلا يدري إذا كان الأمر يستدعي الوقوف مع (المقبور صدام حسين) باعتباره محقاً في الدفاع عن كرسيه ولو بقتل النفوس البريئة والاعتداء على الحرمات، أم الوقوف مع الضحايا الذين ذهب كثيرٌ منهم ضحية إرادة الإصلاح والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر.

وأجد أن بعض ما صدر عن المبرة وممن كتب في هذا الاتجاه قد خطا خطوة إيجابية بتشخيص القاتل الحقيقي في مفردة واحدة وهي قضية الإمام الحسين، من خلال الاقتراب من حالة التبرؤ من القاتل ومِن فِعْـله، وهذا ما يفرضه البحث وهو ما كان يُـتجنّب في السابق.

النقطة الثامنة: ومما يُمكن لهذا المشروع أن يحققه في الوسط الشيعي هو تخفيف النظرة السلبية لدى البعض منهم حول الصحابة، وهو ما أفرزه التشنج القائم بين المذهبين، في الوقت الذي نجد فيه الإمام زين العابدين عليه السلام يدعو قائلاً: (أَللّهُمَّ وَأَصْحابُ مُحَمَّد خَاصَّةً، الَّذينَ أَحْسَنُوا الصَّحابَةَ، وَالَّذينَ أَبْلَوُا الْبَلاءَ الْحَسَنَ في نَصْرِهِ، وَكانَفُوهُ، وَأَسْرَعُوا إِلى وِفادَتِهِ، وَسابَقُوا إِلى دَعْوَتِهِ، وَاسْتَجابُوا لَهُ... فَلا تَنْسَ لَهُمُ اللّهُمَّ ماتَرَكُوا لَكَ وَفيكَ، وَأَرْضِهِمْ مِنْ رِضْوانِكَ، وَبِما حاشُوا الْخَلْقَ عَلَيْكَ، وَكانُوا مَعَ رَسُولِكَ دُعاةً لَكَ إِلَيْكَ، وَاشْكُرْهُمْ عَلى هَجْرِهِمْ فيكَ دِيارَ قَوْمِهِمْ، وَخُرُوجِهِمْ مِنْ سَعَةِ الْمَعاشِ إِلى ضيقِهِ، وَمَنْ كَثَّرْتَ في إِعْزازِ دينِكَ مِنْ مَظْلُومِهِمْ). الصحيفة السجادية (من المؤسف أن البعض دعا لمنع هذا الكتاب مع ما يحتويه من أدعية وقيم إسلامية رائعة!!).

بل إننا نجد في الوسط الشيعي

• جهد إخواننا في المبرة وغيرهم إنما يصب ـ في نهاية الأمر ـ في محاولة لإقناع أتباع مدرسة أهل البيت بخطأ رؤيتهم التاريخية والتنازل عن بعض متبنياتهم

• في الوقت الذي نشجع فيه قيام مشروع يهدف إلى تحقيق التقارب، إلا أننا بحاجة إلى البحث عن الأرضية المشتركة التي يقبل الجميع أن يقف عليها

الذي نشجع فيه قيام مشروع يهدف إلى تحقيق التقارب بين المذاهب الإسلامية، إلا أننا بحاجة إلى البحث عن الأرضية المشتركة التي يقبل الجميع أن يقف عليها دون أن يشعر بسعي الطرف الآخر لمصادرة متبنياته، ولاشك أن أصل التوحيد والإيمان برسالة النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم والقرآن الكريم والعبادات كالصلاة والزكاة والصوم والحج التي يتفق عليها المسلمون كفرائض، وإن اختلفوا في بعض تفاصيلها، كلها كفيلة بأن تكون الأرضية التي ننطلق من خلالها لتحقيق هذا المشروع الراقي والحيوي، ونسأل الله تعالى لكل العاملين المخلصين في هذا الاتجاه التوفيق والسداد.

من يتعرّض لهذه القضايا بحدّية ويتّخذ مواقف لا تتواءم مع موقف آل البيت أنفسهم من ذات القضايا، والتي نجد فيها الموعظة الحسنة النابعة من الحلم وسعة الصدر، والحرص على وحدة الصف الإسلامي وإبقاء حالة الألفة والترابط الاجتماعي قائمة بين مكونات المجتمع المسلم بكافة فئاته مهما وقع الخلاف بينهم، ولربما من خلال ذلك يمكننا تفسير تسمية بعض الأئمة أبناءهم بأسماء بعض الصحابة، وحالات المصاهرة التي تمّت.

وخلاصة القول إننا في الوقت

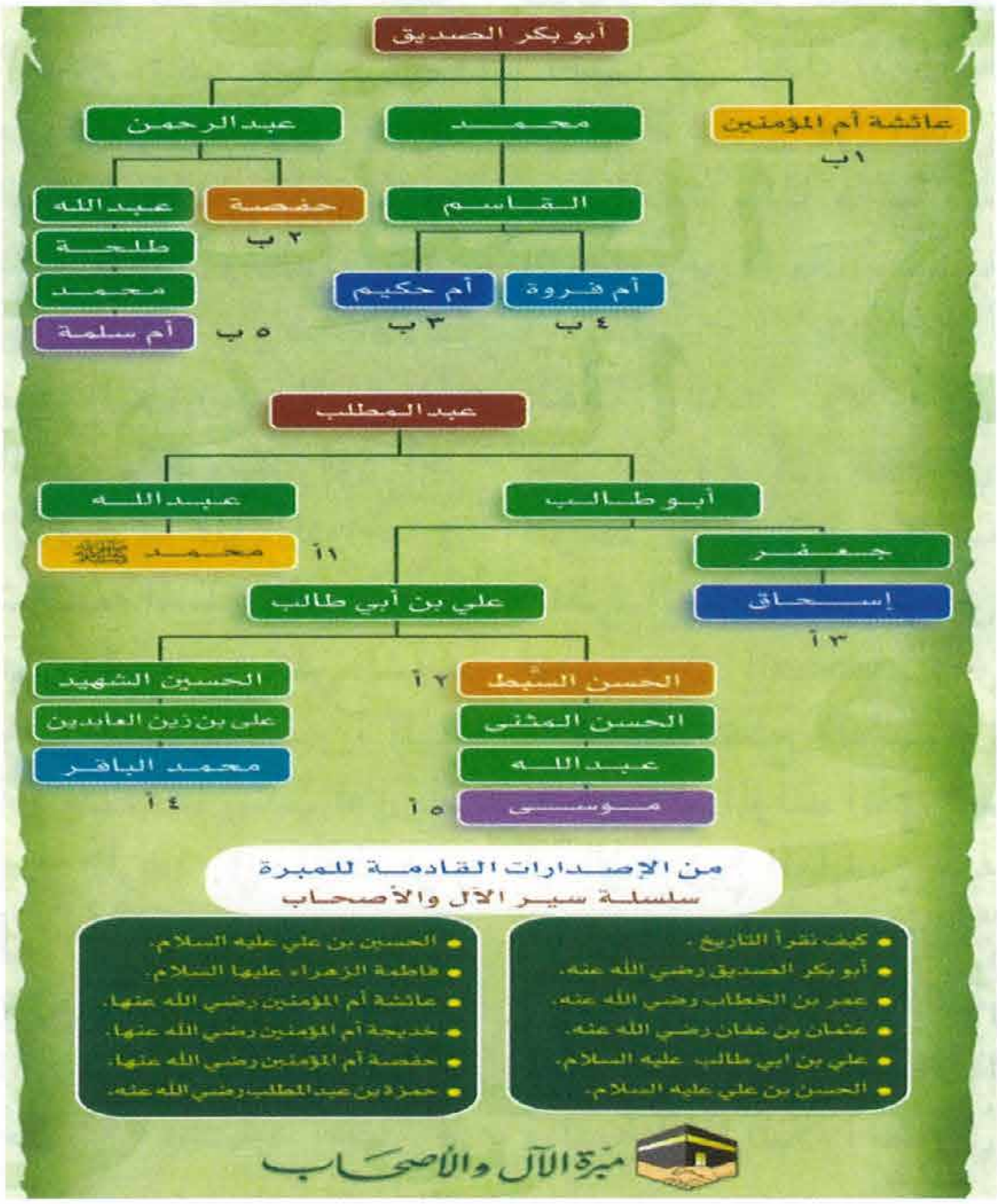

بين شعيب النبي والحسين الشهيد

٢٤ محرم ١٤٢٩ هـ / ٢ فبراير ٢٠٠٨

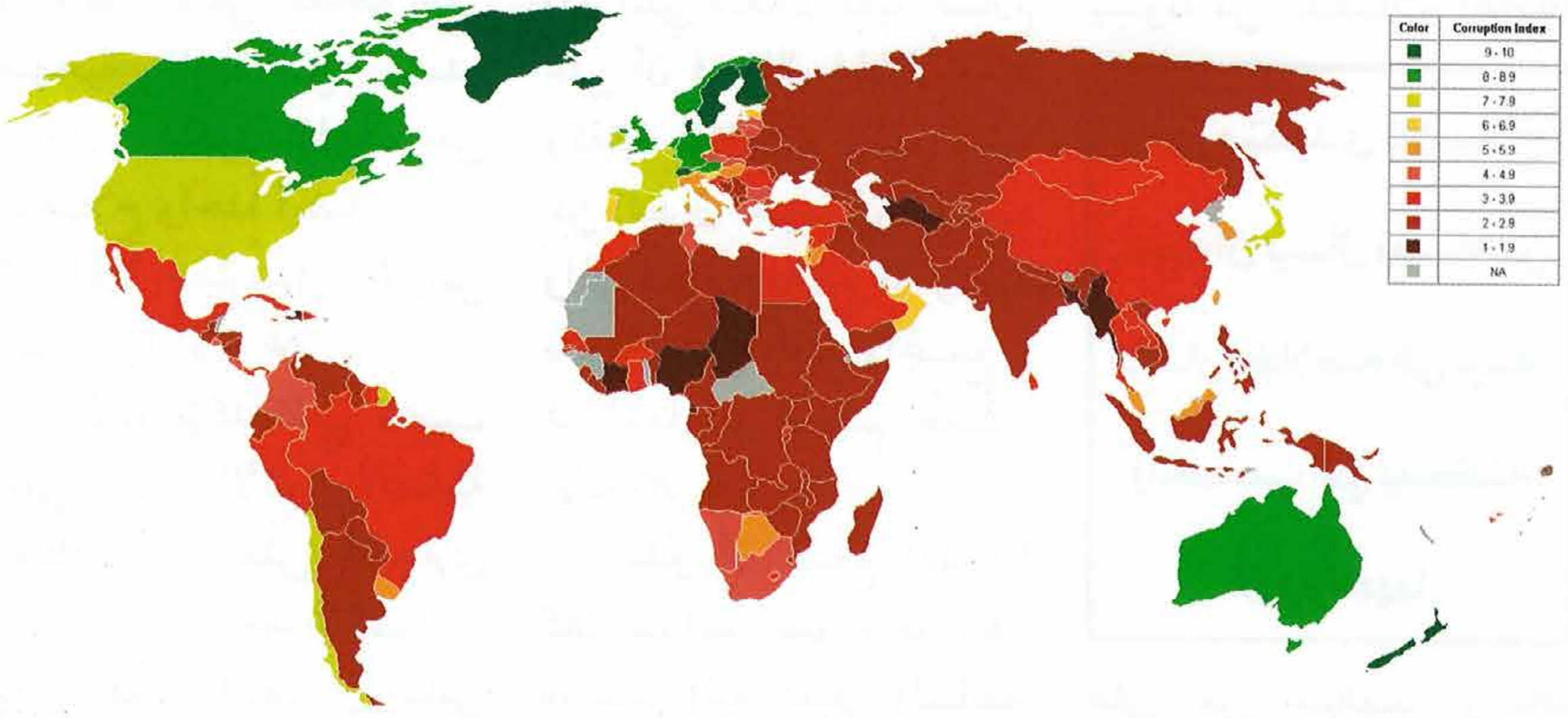

تتناول الآيات الكريمة (٨٤-٩٥) من سورة هود قصة النبي شعيب عليه السلام ومحاولته الإصلاح في مجتمعه، وقد احتوت على مفاهيم عديدة في المنهج الإسلامي للإصلاح عند هذا النبي الكريم، نستعرضها من خلال النقاط التالية:

١ـ (وَإِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُواْ اللّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَـهٍ غَيْرُهُ وَلاَ تَنقُصُواْ الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّيَ أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّيَ أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ) الآية ٨٤.

فقد عالج النبي شعيب عليه السلام ـ كسائر الأنبياء ـ الفسادَ المستشري في مجتمعه من خلال الانطلاق أولاً من

• أكد النبي شعيب على أن الآثار السلبية للغش التجاري لن تقف عند الحد الاقتصادي، بل إن فقدان الثقة بين الناس سيعم سائر المجالات الحياتية

9 - 10
8 - 8.9
7 - 7.9
6 - 6.9
5 - 5.9
4 - 4.9
3 - 3.9
2 - 2.9
1 - 1.9
NA

قاعدة الإيمان بالله عزوجل وحده لاشريك له، ليكون منطلق الإصلاح واحداً، ولتعتمد أسس المعالجة على منهجية نابعة من مصدر واحد، وليكون الهدف من الإصلاح واحداً أيضاً.

٢ـ (وَلاَ تَعْثَوْاْ فِي الأَرْضِ مُفْسِدِينَ) الآية ٨٥.

وفيها يؤكد النبي شعيب على أن الآثار السلبية للتطفيف والغش التجاري لن تقف عند الحد الاقتصادي، بل إن فقدان الثقة بين الناس نتيجة هذا التلاعب في

• القاعدة الإسلامية هي ضرورة تكوين القناعة الشخصية بالعقيدة اعتماداً على العقل والدليل والوجدان

الموازين والمكاييل سيعم سائر المجالات الحياتية، فيشمل الجانب الاجتماعي والإداري والسياسي وغيرها، مما يفكك عُرى المجتمع ويهدّده بالانهيار.

٣ـ (بَقِيَّةُ اللّهِ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ) الآية ٨٦. وقد أكّد النبي شعيب عليه السلام على أن في المال الحلال بركة وكفاية للإنسان، وهذا يُغنيه عن الطرق المحرمة في الكسب والتي تُنتزع منها البركة، وتعود بالوبال على الفرد والمجتمع.

٤ـ (وَمَا أَنَاْ عَلَيْكُم بِحَفِيظٍ) الآية ٨٦.

يبدو أن مجتمع (مدين) كان ليبرالياً بصورةٍ ما، وهو ما تشير إليه العبارة السابقة، وقولهم (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا أَوْ أَن نَّفْعَلَ فِي أَمْوَالِنَا مَا نَشَاء) الآية٨٧، فكانت قضية الحرية الفردية بالنسبة إليهم قضية حساسة، ولذا تعامل معها النبي شعيب بحذر، وواجه مقاومة عنيفة من هذا المنطلق، مما دفعه للتأكيد على أن دوره هو مجرد الإصلاح ما استطاع، لا القهر والإجبار.

٥ـ (قَالُواْ يَا شُعَيْبُ أَصَلاَتُكَ تَأْمُرُكَ أَن نَّتْرُكَ مَا يَعْبُدُ آبَاؤُنَا) الآية ٨٧.

وهذا هو العذر المتكرر والخديعة الكبرى التي ينخدع بها الناس طوال التاريخ فيما يتبنونه من معتقدات، اعتماداً

• من يتصدى للإصلاح عليه أن يسأل نفسه عن مقدار إخلاصه في نيته، والمصاعب التي يمكنه أن يواجهها

على مَن سبقهم، واتباعاً أعمى، لا يعتمد على برهان، ولا يقوم على دليل، والقاعدة الإسلامية هي ضرورة تكوين القناعة الشخصية بالعقيدة اعتماداً على العقل والدليل والوجدان.

٦ ـ (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أُخَالِفَكُمْ إِلَى مَا أَنْهَاكُمْ عَنْهُ إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ) الآية ٨٨.

من يتصدى للإصلاح عليه أن يسأل نفسه عن مقدار إخلاصه في نيته، ومقدار المصاعب التي يمكنه أن يواجهها والتضحيات

التي يقدمها، وامتناعه عن المغريات التي قد تكون مباحة ولكنها تزل من خلالها أقدام الرجال، وهذا عثمان بن حنيف الأنصاري والي الإمام علي عليه السلام على البصرة ، يُدعى إلى وليمة فيجيب، ويسمع الإمام بذلك فيكتب إليه: (بلغني أن رجلاً من فتية أهل البصرة قد دعاك إلى مأدبة فأسرعت إليها، تُستطاب لك الألوان، وتُنقل إليك الجفان، وما كنت أظنك تجيب إلى طعام قوم عائلُهم مجفوَّ، وغنيُّهم مدعوٌ).

الإمام الحسين وشعار الإصلاح:

إن الشعار الذي رفعه النبي شعيب عليه السلام (إِنْ أُرِيدُ إِلاَّ الإِصْلاَحَ مَا اسْتَطَعْتُ) يذكّرنا بذات الشعار الذي رفعه الإمام الحسين عليه السلام حين قدّم أصحابه وأهله ونفسه فداء في طريق الإصلاح (إنما خرجت لطلب الإصلاح في أمتي جدي)، فكان صادقا فيما أعلن من أهداف لثورته، وفيما تحقق على الأرض في ساحة المعركة، وصبر في ذات الطريق حتى استشهد ومَن معه، مكذّباً بذلك ما ادعاه ـ ومازال يدّعيه ـ البعض من

• إن شعار الإصلاح الذي رفعه النبي شعيب يذكّرنا بذات الشعار الذي رفعه الإمام الحسين في ثورته

أن الحسين غيّر رأيه حين رأى جيش أعدائه، وخيّر القوم بين ثلاثة أمور، من بينها أن يأخذوه إلى يزيد بن معاوية ليضع يده في يده، وقد فضحت حجم التضحيات في كربلاء هذه الأكذوبة، وأكّد على ذلك عقبة بن سمعان حين قال في شأن الإمام الحسين: (لم أفارقه حتى قُتل، وليس بمخاطبة الناس بكلمة في المدينة ولا في مكة ولا بالطريق ولا بالعراق ولا في عسكر إلى يوم مقتله إلا وسمعتها، والله ما أعطاهم ما يتذاكر الناس وما يزعمون من أن يضع يده في يد يزيد ابن معاوية ولا أن يسيروه إلى ثغر من ثغور المسلمين).

ـ اللوحة الأولى تمثل معدلات الفساد في الدول المختلفة.



حقوق اللقيط في الإسلام

٢ صفر ١٤٢٩ هـ / ٩ فبراير ٢٠٠٨



من خلال الدراسات الفقهية والأخلاقية التي أجريت حول حقوق الإنسان في التشريع الإسلامي، لا يعتري المطلِع أي شك حول شمولية منظومة الحقوق في الإسلام، ومنها التشريعات المتعلقة بحقوق اللقيط.

تعريف اللقيط:

عُـرّف اللقيط كما يلي: (كل صبي أو صبية أو مجنون ضائع لا كافل له، ولا يستقل بنفسه)، ولا ينحصر بالرّضّع وحديثي الولادة، بل قد يكون مجنوناً كبيراً في السن قد ضاع أو فقد من يكفله.

أسباب الحالة:

اللقيط في المجتمع يكون نتاج إحدى العوامل التالية:

١ـ العلاقات غير المشروعة: فقد تلجأ الأم إلى الإجهاض (الوأد)، كما قد تلجأ إلى التخلي عن الطفل ليتحول إلى لقيط، وذلك خوفاً من ردود فعل المجتمع، ذلك الخوف والحرج الذي تمثل في السيدة مريم العذراء عليه السلام التي خافت أن تُـتّهم بالفاحشة بعد أن خلق الله عزوجل الجنين في بطنها، فقالت: (فَأَجَاءَهَا الْمَخَاضُ إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ قَالَتْ يَا لَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا) (مريم:١٩).

٢ـ تردّي الوضع الاقتصادي للأسرة، وقد أشار القرآن الكريم إلى ذلك (وَلاَ تَقْتُلُواْ أَوْلاَدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلاَقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُم إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْءًا كَبِيرًا) (الإسراء:٣١).

٣ـ الخلافات التي تقع في الأسرة، كما نلحظ صورته في قصة النبي يوسف عليه السلام، قال تعالى (قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لاَ تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَةِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ اَلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ) (يوسف:١٠).

• أشار بعض الفقهاء إلى وجوب أخذ اللقيط من قبل من يجده بحيث يرفع عنه الموت أو الخطر المحتمل، وأن هذا الوجوب وجب كفائي

٤ـ الضياع بخروج الطفل أو المجنون من البيت أو من محيط رعاية الأسرة به، وعدم قدرته على العودة.

٥ـ الاختطاف ومن ثم التخلي عنه من قبل المختطفين.

حكم أخذ اللقيط:

أشار بعض الفقهاء إلى وجوب أخذ اللقيط من قبل من يجده بحيث يرفع عنه الموت أو الخطر المحتمل، وأن هذا الوجوب وجب كفائي يسقط عن بقية أفراد المجتمع إن قام به أحد أفراده أو بعضهم، وهذا الأخذ يدخل في قوله تعالى (وَمَنْ أَحْيَاهَا فَكَأَنَّمَا أَحْيَا النَّاسَ جَمِيعًا) (المائدة: من الآية٣٢).

وبعد ذلك من واجب الآخذ أن يبحث عن أسرة اللقيط، فإن تعرّف عليهم ولم يخشَ على حياة اللقيط معهم، أعاده، وإلا فلا بد من رعايته والحفاظ عليه إلى أن يبلغ ويرشد.

وقد رفض الإسلام حالة التبني بأن يتحوّل اللقيط إلى ابن للمتبني، فيرثه ويأخذ اسمه، بل يبقى في رعايته فقط، ويمكن أن يوصي له من ثلث التركة فقط. قال الله عزوجل (وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُم بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ * ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِندَ اللَّهِ فَإِن لَّمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) (الأحزاب:٤-٥).

• رفض الإسلام حالة التبني بأن يتحوّل اللقيط إلى ابن للمتبني، فيرثه ويأخذ اسمه، بل يبقى في رعايته، ويمكن أن يوصي له من الثلث

حقوق اللقيط:

١ـ الحرية: إذ تعاطت بعض المجتمعات تحويل اللقيط إلى عبد مملوك، كما نلحظه في قصة النبي يوسف عليه السلام، قال تعالى (وَجَاءَتْ سَيَّارَةٌ فَأَرْسَلُوا وَارِدَهُمْ فَأَدْلَى دَلْوَهُ قَالَ يَا بُشْرَى هَذَا غُلَامٌ وَأَسَرُّوهُ بِضَاعَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِمَا يَعْمَلُونَ ـ وَشَرَوْهُ بِثَمَنٍ بَخْسٍ دَرَاهِمَ مَعْدُودَةٍ وَكَانُوا فِيهِ مِنَ الزَّاهِدِينَ) (يوسف:٢٠-٢١)، إلا أن الإسلام رفض ذلك، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام (اللقيط لا يُشترى ولا يُباع).

٢ـ حرية الاختيار: فإذا بلغ ورشد أعطي حرية الاختيار لتحديد مسار حياته، ولا سلطة للملتقط عليه، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (المنبوذ حر، فإن أحب أن يوالي غير الذي رباه والاه، فإن طلب الذي ربّاه النفقة وكان موسراً ردّ عليه، وإن كان معسراً كان ما أنفق صدقة).

٣ـ طهارة المولد: بعض الدول تعتبر أن اللقيط مولود غير شرعي، بينما يحرم في الإسلام قذفه بأنه ولد غير شرعي، فعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (يُحدّ قاذف اللقيط).

٤ـ تأمين الحياة الكريمة له: وهي مسئولية المجتمع والدولة، وقد

• اعتبر الإسلام أن اللقيط إذا بلغ ورشد أعطي حرية الاختيار لتحديد مسار حياته، ولا سلطة للملتقط عليه

أوصى أمير المؤمنين علي بنِ أبي طالب عليه السلام مالكاً الأشتر ـ وهوٍ واليه على مصر ـ بذلك قائلاً: (ثم الله الله في الطبقة السفلى من الذين لا حيلة لهم والمساكين والمحتاجين وأهل البؤس والزمنى، فإن في هذه الطبقة قانعاً ومعتراً، واحفظ الله ما استحفظك من حقه فيهم، واجعل لهم قسماً في بيت مالك وقسماً في غلات صوافي الإسلام). ولا شك أن اللقيط من مصاديق من لا حيلة لهم من المساكين وأهل البؤس.

• مسئولية المجتمع والدولة أن تؤمّن الحياة الكريمة للقيط: وبهذا أوصى الإمام علي واليه على مصر مالكاً الأشتر

وانطلاقاً من النص الدستوري القاضي في بعض مواده ـ ابتداء من المادة السابعة ـ بالتأكيد على الرعاية الاجتماعية بمختلف أصنافها السكنية والطبية والتعليمية، والعناية بالطفولة والنشء ورعاية الأسرة والمحافظة عليها والتزام الدولة بتوفير خدمات التأمين الاجتماعي والمعونة الاجتماعية ورعاية المسنين والمساعدات اللازمة للمواطنين في حالات الشيخوخة والمرض والعجز عن العمل وتعويض المصابين من المواطنين في حالات الكوارث والمحن العامة، فقد قامت دولة الكويت بإنشاء دار لرعاية اللقطاء وتوفير احتياجاتهم الحياتية الأساسية،

• قامت دولة الكويت بإنشاء دار لرعاية اللقطاء وتوفير احتياجاتهم الحياتية الأساسية

وهو يمثل مفردة من مفردات احترام حقوق الإنسان في ديرتنا العزيزة.



بنو إسرائيل والميثاق الإلهي

٩ صفر ١٤٢٩ هـ / ١٦ فبراير ٢٠٠٨



في الآيتين حديثٌ عن الطريقة التي تعامل بها بنوإسرائيل مع الميثاق الإلهي الخاص باحترام الإنسان في حقه في الحياة، وفي حقه في المواطنة والعيش الكريم، ففي الوقت الذي التزم فيه بنو إسرائيل - نظرياً - بهذا الميثاق من خلال إيمانهم بدءً برسالة موسى عليه السلام، إلا أنهم على مستوى التطبيق عاشوا المفارقة الكبرى، ففي الوقت الذي كانوا يعتدون على الضعفـــاء من أبناء مجتمعهم بالقتل والتشريد والحرمان من الحياة الكريمة، كانت تأخذهم الحمية إذا أسِر أحدٌ من هؤلاء الضعفاء، فكانوا يسارعون لفك أسرهم بدفع الفدية للعدو!! مما يعني أنهم لم ينطلقوا في تصرفهم هذا من منطلق إيماني أو قاعدة فكرية أو أخلاقية ثابتة، بل كانت الظروف الطارئة والعصبيـــات العرقيـــة هي

قال تعـــالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءَكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ ثُمَّ أَنتُمْ هَؤُلاء تَقْتُلُونَ أَنفُسَكُمْ وَتُخْرِجُونَ فَرِيقًا مِّنكُم مِّن دِيَارِهِمْ تَظَاهَرُونَ عَلَيْهِم بِالإِثْمِ وَالْعُدْوَانِ وَإِن يَأْتُوكُمْ أُسَارَى تُفَادُوهُمْ وَهُوَ مُحَرَّمٌ عَلَيْكُمْ إِخْرَاجُهُمْ أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ فَمَا جَزَاء مَن يَفْعَلُ ذَلِكَ مِنكُمْ إِلاَّ خِزْيٌ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يُرَدُّونَ إِلَى أَشَدِّ الْعَذَابِ وَمَا اللّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ﴾ (البقرة:٨٤-٨٥).

الدافع لهم لاتخاذ مثل هذا الموقف، وهذا ما لم يرتضه الله عزوجل لهم، انطلاقاً من أن الالتزام بالتشريع يجب أن يكون متكاملاً لا حالة انتقائية ولا مزاجية.

لا للتطبيق الانتقائي للشريعة:

ومن خلال هذا يمكن أن نعتبر أن المطالبة بتطبيق بعض جوانب الشريعة كقوانين العقوبات، لا سيما بالحدود (الرجم وقطع اليد ..إلخ)، في الوقت الذي يفتقد المجتمع إلى العدالة الاجتماعية، ولا يُطبَّق فيه البرنامج الاقتصادي الإسلامي ولا التشريعات الاجتماعية ولا القوانين التربوية والأخلاقية وفق المنظور الإسلامي في ذات المجتمع، هو أمرٌ مرفوض، لأن التشريعات الإسلامية يجب أن تُأخذ كحزمة متكاملة لتكون مؤثّرة ولتبلغ أهدافها، لا كمفردات انتقائية (أَفَتُؤْمِنُونَ بِبَعْضِ الْكِتَابِ وَتَكْفُرُونَ بِبَعْضٍ) (البقرة: من الآية ٨٥).

وإذا كان بنوإسرائيل قد عاشوا الحمية العرقية إن اعتدى عليهم معتدٍ من الخارج، فإن ما يعيشه المسلمون والعرب اليوم يمثل حالةً أسوأ مما عاشها بنوإسرائيل، إذ أنهم فقدوا حتى هذا المستوى من الشعور والفاعلية، وإلا بماذا نفسّر كل هذا الصمت الذي تعيشه الأمة بعد صدور تقرير فينوغراد (صدر عن الكيان الصهيوني اعترف فيه بالفشل في مواجهة المقاومة اللبنانية في صيف عام ٢٠٠٦)، والذي يُعتبر نصراً للأمة بعد كل الانتكاسات التي شهدتها في مواجهاتها مع الكيان الصهيوني؟

• الالتزام بالتشريع يجب أن يكون متكاملاً لا حالة انتقائية ولا مزاجية

الخزي والعذاب: وقد اختتمت الآيتان بالوعيد بالعذاب في الآخرة، والخزي في الدنيا، وبالعودة إلى مفهوم الخزي في اللغة (خزا الرجل أي ساسه وقهره) فإن الكلمة تختزن دلالة عميقة، إذ توحي بسيطرة الآخر بحيث يعمل على أن يقود المغلوب ويسلبه إرادته، وهو سنة من السنن الإلهية في المجتمعات البشرية، فإذا تعدّى القوي على الضعيف كانت النتيجة الحتمية تفكك المجتمع وضعف بُنيته، مما يدفع المجتمعات الأخرى للطمع فيه، ليقع المجتمع ـ بالنتيجة ـ في شَرَكهم السياسي أو الفكري أو الثقافي أو الأمني، فيُسلب المجتمع قوتَه، ويعمل الطرف المسيطِر على استنزاف طاقات المسيطَر عليه، وتحطيم مفاصل القوة الفكرية والعملية لديه، من خلال تمييع مفاهيم الدفاع عن النفس والجهاد والاعتزاز بالانتماء وغير ذلك، وتقييده عملياً ليفقد الإحساس بوجوده الحيِ والفاعل، ليتحوّل ـ تدريجياً ـ إلى هامشٍ من هوامش وجود الآخرين.

ـ اللوحة تمثل الأرض والقمح والشعير والكرم والعنب والتين والرمان، وهي العناصر السبعة لرمز مقدس عند اليهود.

لتسئلن يومئذ عن النعيم

١٦ صفر ١٤٢٩ هـ / ٢٣ فبراير ٢٠٠٨



نعيش هذه الأيام أجواء العيد الوطني المجيد وأفراح التحرير من براثن الاحتلال البعثي، ولابد أن نستذكر أن ديرتنا الحبيبة الكويت طالما عاشت نِعم الأمن والاستقرار والرخاء، وهي نعم عظيمة، وقد تجلت في التعامل معها روح المسئولية عند الحاكم والمحكوم، وعلى الجميع ألا يفرّط في هذه المكتسبات التي كفلها الدستور، وحمل أمانتها الآباء والأجداد، وأن تتجلى أمامنا صور الدمار التي حلت بأوطانٍ مازال يتحسّر على ذهاب نعيمها كثيرٌ من الناس، ويتمنون عودة تلك الأيام ليتجاوزوا فيها الفتن والأخطاء القاتلة التي أدّت إلى زوال النعمة.

الإنسان مدنيٌّ بطبعه

إن مدنية الإنسان (أي ارتباطه بالناس الآخرين بعلاقات تبادلية) ضرورة حياتية وجودية، حتى أن أشد المذاهب مغالاةً في القول بفردية الإنسان تعترف بضرورة وجود قيم تنظّم علاقات هؤلاء الأفراد في ما بينهم حتى تحتفظ فردياتهم بأعلى قدر من التحقق.

والإسلام يجعل العلاقات التي ينظمها في المجتمع وغيره (أي مدنية الإنسان) بالإضافة إلى حُسن علاقة المسلم بربه سبيلَ فلاح الإنسانية، بينما يمثّل إهدار الحقوق المترتبة على تلك العلاقات مع الإفساد في الأرض ونقض ميثاق الله من أسباب استحقاقِ الإنسان مقت الله، وسبيلاً للشقاء الأبدي.

• إن مدنية الإنسان - أي ارتباطه بالناس الآخرين بعلاقات تبادلية - ضرورة حياتية وجودية

المواطنة بفهومها المعاصر:

وعلى الرغم من كون مفهوم (المواطنة) بصبغته المعاصرة نتاجاً حضارياً

لتحولات الغرب التاريخية في العصور الحديثة، بحيث تأثر كثيراً بالعلمانية، إلا أن هذا لا يعني تصادم مفهوم المواطنة مع الرؤى والتشريعات الإسلامية، بل يمكن تكييف تلك الرؤى والتشريعات دون أن نُفرغها من محتواها الأصيل، وذلك وفق التصور الآتي.

• كلمة (مسلم) تحمل في مضمونها معنى المواطنة من حيث هي حقوق وواجبات متبادلة

المواطن في اللغة:

بالعودة إلى معاجم اللغة سنجد أن المواطن والوطنية لفظتان مرتبطتان إحداهما بالأخرى في الجذر اللغوي، وفي الدلالة المعنوية، والوطنية تعني بحسب معناها اللغوي: نزوعاً انتسابياً إلى المكان الذي يستوطنه الإنسان، فكان يقال عن العربي الذي ينتسب إلى الحجاز: حجازي، وإلى تهامة: تهـــامي، وإلى حضرموت: حضرمي... إلخ.

المواطنة في الإسلام:

وقد تحدث بعض المستشرقين مثل (برنارد لويس) عن أنٍ مفهوم المواطنة غريب تماما على الإسلام، بحجة أن لفظة (مواطن) بالمفهوم الغربي تعني: [المشارك في الشؤون المدنية] ومثل هذا المعنى غير موجود في دلالة نفس الكلمة في اللغة العربية.

إلا أن باحثين مسلمين رفضوا هذا الطرح تماماً، معتبرين أن لفظة (مسلم) تحمل في مضمونها معنى المواطنة من حيث هي حقوق وواجبات متبادلة بين عناصر المجتمع، وبين الحاكم والمحكوم.

يقول الأستاذ عبدالوهاب الأفندي حول هذه القضية: [إن مطابق الكلمة العصرية (مواطـــن) في المصطلـــح الإسلامـــي القديـــم هي كلمـــة (مسلـــم)، وليس (مواطن)، ويرجع ذلك إلى أن هوية المجتمع الديني والسياسي في بدايات المجتمع الإسلامي كانت من المسلّمات، حيث يتمتع الفرد بحكم كونه مسلماً بعضوية فورية وكاملة في المجتمع السياسي وبالمعنى الإيجابي].

ومع قيام الوطن بمفهومه العصري، فإن هذه الحقوق والواجبات المتبادلة بين عناصر المجتمع والمشاركة في الشؤون المدنية، أخذت طابعاً أوسع وأبعاداً جديدة، تكفّل

• للوطن ـ بمفهومه القديم والعصري معاً ـ امتداد شعوري عميق في النفس الإنسانية

جمعٌ من المفكرين والفقهاء والقانونيـــين الإسلامـــيين بدراستـــها وفـــق المعطيات الحضارية المعاصرة، مع الحفاظ على الصبغـــة الإسلاميـــة والأصالة الفكرية.

ولذا يمكن القول بإن هذه المنظـــومة من الحقوق والواجبات ترســـم معالم (الوطن/ المواطن/ المواطنة) وإن كانت بألفاظ أخرى.

الوطن في الامتداد الشعوري والعملي

وللوطن ـ بمفهومه القديم والعصري معاً ـ امتداد شعوري عميق في النفس الإنسانية، فمن ينتمي للوطن يجد فيه عمقه الوجودي المتمثل في ولادته ونموّه في أيامه الأولى، والأرض التي ترعرع فيها، والمحيط الذي لعب وعاشٍ وتعلّمٍ وتفاعل فيه اجتماعياً وروحياً.

وإذا ما اقترن ذلك بالرخاء والأمن والاستقرار، كان الارتباط الشعوري والعملي أقوى وأشد، وليمثّل نعمة عظيمة يُحاسَب الإنسان على التفريط بها وتضييعها.

وإن كان القرآن الكريم يتحدث عن المحاسبة في الآخرة على النعم التي رفل الفرد في فيوضاتها (ثُمَّ لَتُسْأَلُنَّ يَوْمَئِذٍ عَنِ النَّعِيمِ) (التكاثر:٨)، فإن ذلكَ لا يقتصر على النعم المعنوية كالهداية والعلم، بل يشمل كل الخيرات التي أفاضها الله على الإنسان في الدنيا من كل ما يعيش فيه مما يمثّل ضرورات وجوده، ومن كل ما يستمتع فيه، مما يمثله حاجاته الحسية...

• المحاسبة في الآخرة لا تقتصر على النعم المعنوية كالهداية والعلم، بل تشمل كل الخيرات التي أفاضها الله على الإنسان في الدنيا من الضرورات ومما يستمتع به

ومن البيِّن أن نِعَم الأمن والاستقرار والرخاء في الوطن تمثل نماذج واضحة لنعم الله سبحانه التي يسأل عباده عنها، هل حافظوا عليها أم أنهم ضيّعوها بتعصب أو بطر أو بسوء تقدير.... إنها الأَمانة الكبيرة التيً نتحمل جميعاً مسئوليتها (وَقِفُوهُمْ إِنَّهُمْ مَسْؤُولُونَ) (الصافات:٢٤).

نسأل الله تعالى أن يحفظ الكويت وأهلها من كل مكروه، ويرحم شهداءنا الأبرار، وسائر بلاد المسلمين.

كلمة أخيرة:

الإثـــارات والتحرشات الأخيرة في الصحف الدنماركية والإعلام الهولندي بحق الإسلام والمسلمين من خلال التعرّض لمقام وشخص النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، بحاجة إلى موقف من الجهات الرسمية في الدول الإسلامية كافة، وأما نهج (الاعتزال) عن الموقف الشعبي فسيكون رسالة لربما تُقرأ عند الآخرين بشكل مغلوط.

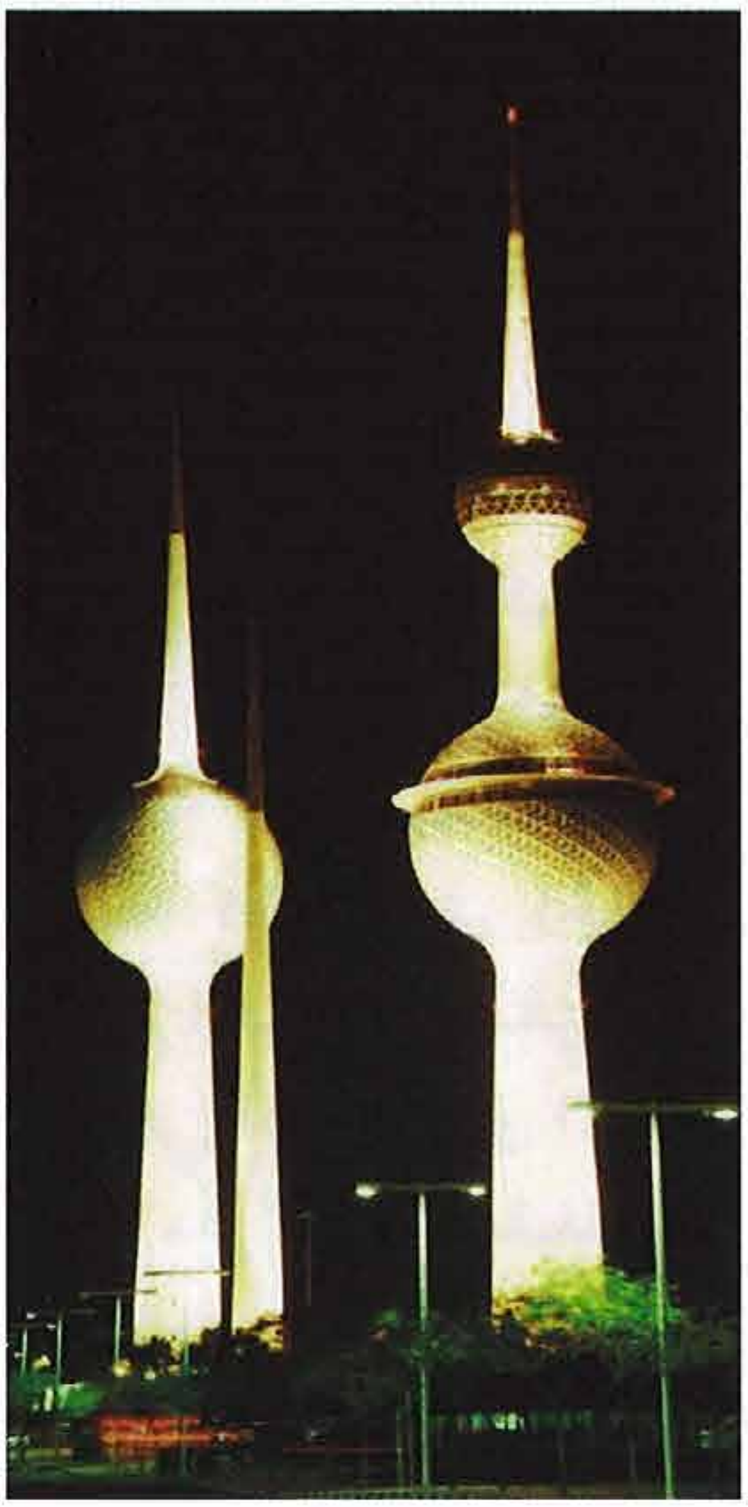

العزلة والاعتزال من منظور إسلامي

٢٣ صفر ١٤٢٩ هـ / ١ مارس ٢٠٠٨

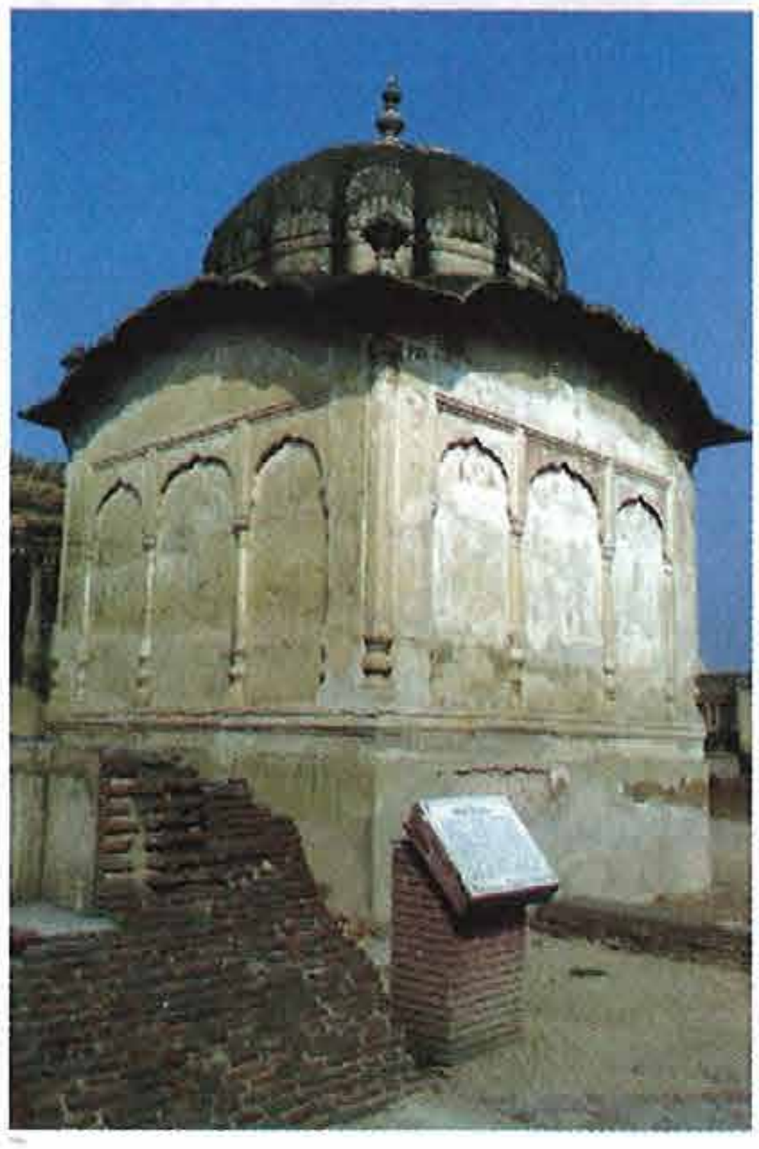

شجعت التعليمات الروحية في بعض الديانات على اعتزال المجتمع من قبل المؤمنين بها قدر الإمكان، واعتبرت ذلك قيمةً إيجابية تُسجَّل لصاحبها، كما عمد بعض الفلاسفة والمفكّرين إلى اتخاذ هذا المسلك بدوافع مختلفة، كالرغبة في الحصول على الصفاء الذهني أو التسامي الروحي أو الابتعاد عن ملوّثات العقيدة أو الهروب من المسؤولية عند الفتن وغير ذلك.

وقد تحدث القرآن الكريم عن هذه الحالة ـ وفق ظاهر بعض آياته ـ وذلك في قوله تعالى بحق أهل الكهف (وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا) (الكهف:١٦)، وقوله تعالى في حق الخليل إبراهيم عليه السلام (وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاءِ رَبِّي شَقِيًّا * فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا) (مريم:٤٨-٤٩).

كما نجد في الأحاديث المروية عن النبي وآله ما يدل على التشجيع على العزلة والاعتزال، وذلك من قبيل المروي عن الإمام أمير المؤمنين علي عليه السلام (العزلة عبادة، العزلة أفضل شيم الأكياس، في اعتزال أبناء الدنيا جماع الإصلاح).

فهل العزلة ـ فعلاً ـ ذات قيمة إيمانية سلوكية متميزة في الإسلام؟

الاعتكاف لا الاعتزال:

ثمة أمور عديدة تجعلنا لا نتفاعل مع القول بإيجابية العزلة والاعتزال بصورة مطلقة، نعم يمكن القول أن العزلة المحدودة بفترات زمنية قصيرة ضمن برنامج عبادي وروحي خاص يعتبر مطلوباً، وهو ما نشهده في تشريع عبادة الاعتكاف، حيث يقيم الفرد في المسجد الجامع ثلاثة أيام على الأقل صائماً متعبداً، إلا أنها حالة استثنائية مؤقتة.

وفي المقابل فإن أموراً عديدة تدفع نحو القول بعدم رجحان العزلة، وهي:

١ـ المنهج الإسلامي العام، فالصورة العامة للمؤمن هي صورة الإنسان العامل الفاعل في المجتمع، الساعي نحو التغيير وبذل الجهد للإصلاح

والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، والنصوص في هذا المورد كثيرة، منها قوله تعالى (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ يَأْمُرُونَ بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَوْنَ عَنِ الْمُنكَرِ) (التوبة:٧١).

٢ـ النصوص الناهية عن الاعتزال والرهبنة كقول النبي صلى الله عليه وآله وسلم للصحابي الجليل عثمان بن مظعون رضي الله عنه حين فكّر في أن يسيح في الأرض (يا عثمان لا تفعل، فإن سياحة أمتي الغزو والجهاد) [يسيح في الأرض أي يبتعد عن المدنية والناس، ويترهبن].

٣ـ السيرة العملية للأنبياء والأئمة عليهم السلام، كما نجدها في القرآن والسنة، فهي سيرة فاعلة متفاعلة، لا سيرة تقوقع وانكفاء.

٤ـ النصوص التي رجحت العمل والصبر في هذا الطريق عند وقوع الفتن، على الاعتزال والهروب من الواقع، وذلك من قبيل قول النبي صلى الله عليه وآله وسلم (لصبرُ أحدكم ساعة على ما يكره في بعض مواطنٍ الإسلام خيرٌ من عبادته خالياً أربعين سنة).

وقوله (المؤمن الذي يخالط الناس ويصبر على أذاهم أفضل من المؤمن الذي لا يخالط الناس ولا يصبر على أذاهم).

٥ـ بعض التشريعات الإسلامية التي تدل على

• ثمة أمور عديدة تجعلنا لا نتفاعل مع القول بإيجابية العزلة والاعتزال بصورة مطلقة

ترجيح التفاعل الاجتماعي، فعبادة الاعتكاف في المسجد الجامع تمثّل حالة من العزلة المؤقتة بهدف التربية الروحية والانقطاع إلى الله في أيام معدودات، إلا أن الأدلة قامت على إمكانية الخروج من الجامع فيما لو استجد ما يستدعي ذلك، من قبيل قضاء حاجة مؤمن أو عيادة مريض أو تشييع جنازة.

أصحاب الكهف والخليل إبراهيم:

وفيما يخص آية أصحاب الكهف فإن بعض الأحاديث تدل على أن أوضاع المدينة التي عاش فيها أصحاب الكهف بلغت حداً جعلت الاستمرار في البقاء في المدينة أمراً شبه مستحيل (من قبيل أمْرِ الملكُ كلَّ من يغادر المدينة بالسجود للأصنام) مما دفعهم للهرب بعد استنفاد وسائلهم في الإصلاح والثبات على الإيمان، ولذا من غير الواضح أن خروجهم كان بغرض الهجرة الكاملة أم التريث حتى تتبدل الأمور أم للتفكيرٍ في القرار المناسب بعيداً عن أجواء الشحن النفسي في مدينتهم، ولذا لا يمكن الاستدلال بالآية على رجحان الاعتزال. أما بخصوص اعتزال النبي إبراهيم عليه السلام لقومه، فلا يمكن التمسك به، لأنه عليه السلام لم يعتزل في الصحاري، بل هاجر حتى غيّر مجتمعات، وحوّل الجزيرة العربية إلى أرضِ إيمان وتوحيد.

و مني إلى أصحاب الشأن...

٣٠ صفر ١٤٢٩ هـ / ٨ مارس ٢٠٠٨



٣٢ عاماً مرّت على إنتاج فيلم (الرسالة) أو (محمد رسول الله) بنسختيه العربية والإنجليزية، والذي أخرجه المخرج العربي الراحل مصطفى العقاد. وعلى الرغم من النجاح الكبير الذي حققه الفيلم في وقته، إلا أنه ـ ومنذ ذلك التاريخ ـ لم تتحرك الجهود لإنتاج سينمائيً كبير يواكب التطّور الحاصل في مجال صناعة الأفلام، ويختص بتقديم صورة مشرقة عن الإسلام ونبي الإسلام محمد صلى الله عليه وآله وسلم، والذي أخبر عنه الوحي بقوله (لَقَدْ جَاءَكُمْ رَسُولٌ مِّنْ أَنفُسِكُمْ عَزِيزٌ عَلَيْهِ مَا عَنِتُّمْ حَرِيصٌ عَلَيْكُم بِالْمُؤْمِنِينَ رَؤُوفٌ رَّحِيمٌ) (التوبة:١٢٨)، وقال (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلاَّ رَحْمَةً لِّلْعَالَمِينَ)(الأنبياء:١٠٧)، نواجه من خلالها الهجمات الإعلامية المتتاليةالتي يواجهها المسلمون في شتى أنحاء العالم، كفعلٍ أو ردٍّ فعلٍ على الأوضاع السّياسية القائمة حالياً في العالم، ولاسيما في منحى ما يسمى بالحرب ضد الإرهاب!!

١٧ مليون دولار:

بلغت تكلفة إنتاج الفيلم للنسختين العربية والأجنبية حوالي ١٧ مليون دولار، وحققت النسخة الأجنبية وحدها أرباحاً تقدر بأكثر من ١٠ أضعاف هذا المبلغ، وإذا أخذنا بعين الاعتبار تكلفة فيلم (آلام المسيح) **The Passion of the Christ** لميل غيبسون الذي أنتج عامِ ٢٠٠٤ بتكلفة قدرها ٢٥ مليوناً، فإننا سنجد أنه حصد أكثر من ٢٦٤ مليون دولار خلال ثلاثة أسابيع فقط من انطلاقته في دور السينما الأمريكية!

وإذا أريد إنتاج فيلم ضخم يتم فيه تصوير بعض المعارك الحربية بتقنيات حديثة، فلابد من الأخذ بعين الاعتبار تكلفة إنتاج أفلام من قبيل (مملكة السماء) **Kingdom**

of Heaven الخاص بتصوير جانب من أحداث الحروب الصليبية، والذي أنتجته شركة فوكس عام ٢٠٠٤- ٢٠٠٥ حيث كلّف ١٣٠ مليون دولار... وبمعنى آخر إن التكلفة المتوقعة لفيلم يصوّر جانباً من حياة نبي الرحمة محمد صلى الله عليه وآله وسلم تحتاج إلى موازنة ما بين ١٥٠ - ٢٠٠ مليون دولار، مع توقع عائدات أرباح كبيرة جداً يمكن لأهل الاختصاص حسابها بطريقتهم الخاصة.

ناتج إقليمي غير مسبوق:

بمراجعة المداخيل غير المسبوقة لدول الخليج العربي المصدّرة للبترول في السنة الماضية ٢٠٠٧، حيث بلغت عائدات النفط فقط لدول مجلس التعاون الخليجي ما يقارب ٧٩٠ مليار دولار، كما نقلت صحيفة فايننشال تايمز اللندنية أن ثروة منطقة الخليج من القطاعين العام والخاص بلغت ١٨٠٠ مليار دولار بنهاية العام ٢٠٠٧، ومن المتوقع أن يصل إجمالي الناتج المحلي الاسمي لدولة الإمارات العربية المتحدة وحدها - هذا العام - إلى ٢٢٠ مليار دولار، أما (ميريل لينش) - وهي شركة اقتصادية أمريكية ذات نشاط عالمي - فقد قدّرت حجم فائض الحسابات الجارية المتراكم خلال الأعوام الخمسة الماضية لدول المجلس بحوالي ٧٣٠ مليار دولار... أقول بمراجعة ذلك كله يتضح

• نطمح إلى إنتاج فيلم عن السيرة النبوية بطريقة غير تقليدية مع التركيز على الإنسانيات

مدى إمكانية تمويل مشروع إنتاج هذا الفيلم الخاص بسيد الإنسانية محمد صلى الله عليه وآله وسلم، وهو صاحب الفضل الكبير علينا جميعاً كعرب و مسلمين - دون أن يرفّ طرف جفن في اقتصاد هذه الدول.

دراما تاريخية رائعة:

إنتاج فيلم عن جوانب من السيرة العطرة لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ينبغي أن يخرج عن الطريقة التقليدية التي تقدِّمها السينما العربية حول الشخصيات التاريخية، مع الأخذ بعين الاعتبار التركيز على الجوانب الإنسانية في شخصية وسيرة النبي الكريم - وما أكثرها - ، والاستعانة بشركات الإنتاج الكبرى للسينما في العالم، من حيث التقنيات والإخراج والموسيقى التصويرية والمكياج ... إلخ، وأتصور أن بعضاً من الإنتاج العربي والإيراني في المجال التاريخي - مؤخراً - يعطي انطباعاً إيجابياً حول إمكانية تقديم عمل درامي تاريخي رائع، يعكس الصورة الحضارية للإسلام، ويخفف من وطأة تأثيرات الهجمات الإعلامية المتكررة الذي يشهده العالم الغربي، والذي ترك بصماتٍ واضحة على الرأي العام هناك، واستفزّ مشاعر المسلمين بصورة كبيرة... على أمل أن يتحقق هذا المشروع العربي والإسلامي قريباً بإذن الله... ومني إلى أصحاب الشأن.

التوحيد في فكر الإمام الحسن العسكري

٧ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ / ١٥ مارس ٢٠٠٨

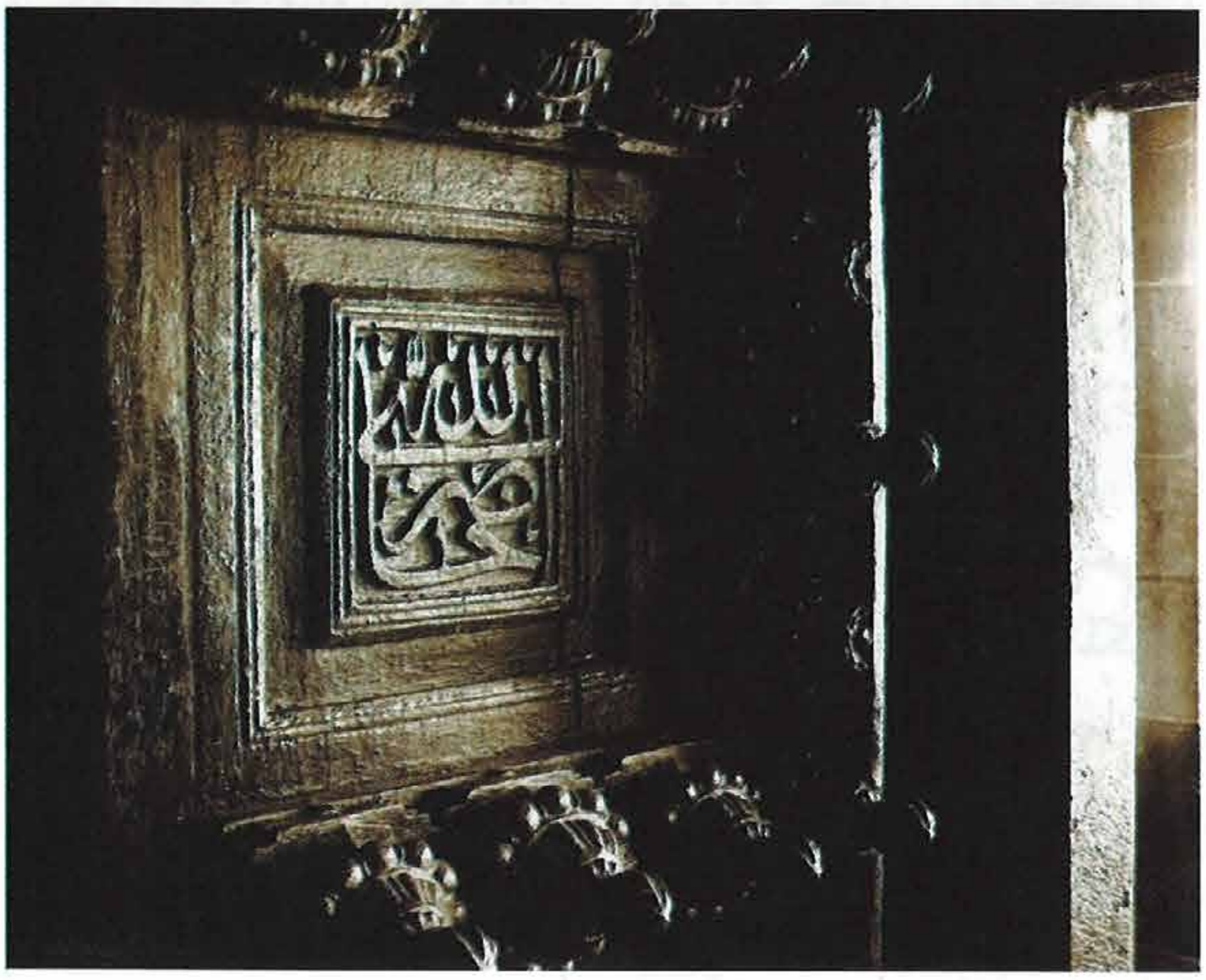

الإمام الحسن بن علي الهادي ابن محمد الجواد بن علي الرضا بن موسى الكاظم بن جعفر الصادق عليهم السلام، الحادي عشر من العترة الطاهرة التي أوصى النبي صلى الله عليه وآله وسلم باتِّباعها إذ قال (إني أوشك أن أدعى فأجيب، وإني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله عز وجل، وعترتي، كتاب الله حبل ممدود من السماء إلى الأرض، وعترتي أهل بيتي، وإن اللطيف الخبير أخبرني بهما أنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض، فانظروا كيف تخلفوني فيهما) مسند الإمام أحمد بن حنبل عن رواية الصحابي الجليل أبي سعيد الخدري.

وُلِد في المدينة المنورة عام ٢٣٢ هـ، وتوفي مسموماً في سامراء عام ٢٦٠ هـ، وبها دُفن.

كلماتٌ حول التوحيد:

أثيرت مسألة صفات الله سبحانه في العقيدة الإسلامية، وكان الأئمة من عترة النبي عليهم السلام يتّبعون في توجيه الناس منهجاً يعتمد لغة القرآن بأسلوبه ومفرداته في العقيدة، ليوجّهوا الناس إلى الأخذ بالعناوين الكبرى في العقيدة من القرآن، وأن لا ينطلقوا من خلال أسلوب الفلسفة، لأنّ هذا الأسلوب بالرغم مما يحمله من إيجابيات، إلا أنه لا يملك أن يتحدّث عن الله سبحانه وتعالى كما هو الحديث عن صفاء العقيدة، لأن التعقيدات الفلسفية قد تردّ الشبهات، ولكنها لا تستطيع أن تبني العقيدة.

ومن نماذج ما تكلم به الإمام الحسن العسكري عليه

• اتبع الأئمة في توجيه الناس منهجاً يعتمد لغة القرآن بأسلوبه ومفرداته في العقيدة

السلام حول التوحيد النص التاليِ الذي رواه الشيخ الكليني في موسوعته (الكافي) عن يعقوب بن إسحاق قال: [كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام أسأله: كيف يعبد العبد ربّه وهو لا يراه؟ فوقّع: يا أبا يوسف، جلّ سيدي ومولاي والمنعم عليّ وعلى آبائي أن يُرى (لا تُدْرِكُهُ الأَبْصَارُ وَهُوَ يُدْرِكُ الأَبْصَارَ)، (لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ). قال: وسألته: هل رأى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم ربَّـه؟ فوقّع عليه السلام: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسولَه بقلبه مِن نورِ عظمتِه ما أَحَبّ]. (فوقّع أي فأجاب برسالة مكتوبة مختومة بتوقيعه).

فالإمام عليه السلام يشير إلى أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رأى ربّه، ولكنّه لم يره بالعين الباصرة، بل بعين قلبه، لأنّ القلوب تبصر من الحقائق ما لا تستطيع العيون أن تبصره (فَإِنَّهَا لا تَعْمَى الأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) (الحج: من الآية٤٦).

وعن الكليني عن سهل: قال: [كتبتُ إلى أبي محمد عليه السلام سنة خمس وخمسين ومائتين: قد اختلف ـ يا سيدي ـ أصحابُنا في التوحيد، فمنهم مَن يقول هو جسم، ومنهم مَن يقول هو صورة، فإن رأيت ـ يا سيدي ـ أن تُعلمني من ذلك ما أقف عليه ولا أجوزه... فوقّع بخطّه عليه السلام: سألتَ عن التوحيد وهذا منكم معزول، الله واحدٌ أحدٌ لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفواً أحد، خالقٌ وليس بمخلوق، يخلق تبارك وتعالى ما يشاء من الأجسام وغير ذلك، وليس بجسم، ويصوِّر ما يشاء وليس بصورة، جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يكون له شبَه، هو لا غيره، وليس كمثله شيء وهو السميع البصير].

وربما عنى الإمام بقوله (وهذا منكم معزول) أنكم تسلكون مسلكاً خاطئاً في معرفة التوحيد وصفات الله إذ تستغرقون في الجدل الكلامي والتعقيدات الفلسفية المستوحاة من الفلسفة اليونانية وأمثالها، وتبتعدون عن كتاب الله تعالى، فالله أعرف بنفسه من مخلوقاته كلها، لأنَّ المخلوق لا يستطيع أن يعرف من ربّه إلاَّ ما عرّفه ربُّه، وإلاّ ما يمكن أن يدركه العقل من صفاته.

• قال الإمام العسكري في صفة الله: ليس بجسم، ويصوِّر ما يشاء وليس بصورة، جلّ ثناؤه وتقدست أسماؤه أن يكون له شبَه

• الاستغراق في الجدل الكلامي والتعقيدات الفلسفية المستوحاة من الآخرين، مع الابتعاد عن القرآن مسلك خاطئ في معرفة التوحيد

ملاحقة الأفكار المنحرفة:

روى ابن شهرآشوب في (المناقب) أن فيلسوف العراق

في وقته يعقوب بن إسحاق الكندي، أخذ في تأليف كتاب حول تناقض القرآن، وشغل نفسه بذلك وتفرّد به في منزله، وإن بعض تلامذته دخل يوماً على الإمام الحسن العسكري عليه السلام، فقال له أبو محمد: [أما فيكم رجل رشيد يردع أستاذكم الكندي عمّا أخذ فيه من تشاغله بالقرآن؟ فقال التلميذ: نحن من تلامذته، كيف يجوز منّا الاعتراض عليه في هذا أو في غيره؟ فقال له أبو محمد عليه السلام: أتؤدي إليه ما ألقيه إليك؟ قال: نعم، قال: فَصِرْ إليه وتلطّف في مؤانسته ومعونته على ما هو بسبيله، فإذا وقعت الأنسة في ذلك، فقل: قد حضرني مسألة أسألك عنها، فإنه يستدعي ذلك، فقل له: إن أتاك هذا المتكلّم بالقرآن، هل يجوز أن يكون مراده بما تكلّم به غير المعاني التي قد ظننتَ أنّك قد ذهبت إليها؟ فإنّه سيقول: إنه من الجائز، لأنّه رجل يفهم إذا سمع، فإذا أوجب ذلك، فقل له: فما يدريك، لعلّه قد أراد غير الذي ذهبتَ أنت إليه فيكون واضعاً لغير معانيه.

فصار الرجل إلى الكندي، وتلطّف إلى أن ألقى هذه المسألة، فقال له: أعِد عليّ، فأعاد عليه، فتفكّر في نفسه، ورأى أنّ ذلك محتملٌ في اللغة وسائغٌ في النظر، فقال: أقسمتُ عليك إلا أخبرتني من أين لك؟ فقال: إنه شيء عرض بقلبي فأوردته عليك، فقال: كلاّ، ما مثلك من اهتدى إلى هذا، ولا من بلغ هذه المنزلة، فعرّفني من أين لك هذا؟ فقال: أمرني به أبو محمد عليه السلام، فقال: الآن جئت به، وما كان ليخرج مثل هذا الأمر إلا من ذلك البيت الذي زقّ أهله العلم زقاً. ثم إنه دعا بالنار وأحرق جميع ما كان ألّفه].

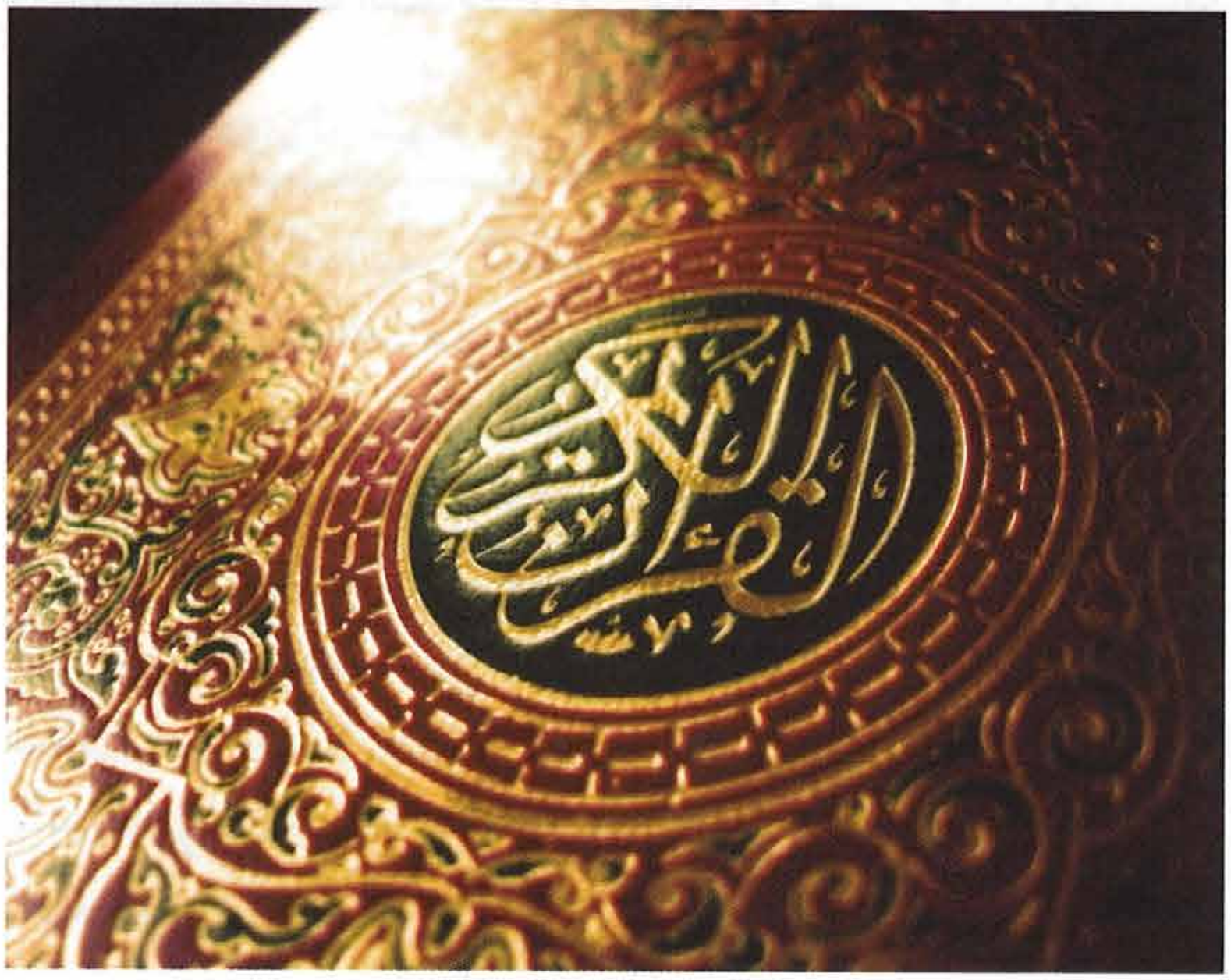

• قال الكندي: ما كان ليخرج مثل هذا الأمر إلا من ذلك البيت

• قال الإمام العسكري في ما رآه النبي: إنّ الله تبارك وتعالى أرى رسولَه بقلبِه مِن نورِ عظمتِه ما أحَبّ

السب والشتم.. لمصلحة من؟

١٤ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ / ٢٢ مارس ٢٠٠٨



بعث الله سبحانه محمداً صلى الله عليه وآله وسلم ليؤلّف بين القلوب (هُوَ الَّذِيَ أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ بِالْمُؤْمِنِينَ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الأَرْضِ جَمِيعًا مَّا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ) (الأنفال: ٦٢-٦٣)، ويجمع الكلمة (وَاعتَصِمُواْ بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلاَ تَفَرَّقُواْ وَاذْكُرُواْ نِعْمَةَ اللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ كُنتُمْ أَعْدَاء فَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِكُمْ فَأَصْبَحْتُم بِنِعْمَتِهِ إِخْوَانًا وَكُنتُمْ عَلَى شَفَا حُفْرَةٍ مِّنَ النَّارِ فَأَنقَذَكُم مِّنْهَا كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَهْتَدُونَ) (آل عمران:١٠٣)، ويوحّد الصف (إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفًّا كَأَنَّهُم بُنْيَانٌ مَّرْصُوصٌ) (الصف:٤).

ولم يمتلك رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عصا سحرية يحوّل من خلالها الأوضاع إلى الصورة التي يريدها، بل كان للقيم التي أدّب نفسه بها وأجراها في نفسه مجرى الدم في عروقه، كما رسّخها في نفوس المسلمين، تلك القيم كان لها مفعول السحر في الناس، وهو ما عبّرت عنه ابنته الزهراء فاطمة عليها السلام حيث قالت: (فأنار الله بأبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم ظُلَمَها وكشف عن القلوب بُهَمها وجلّى عن الأبصار غَممها، وقام في الناس بالهداية، فأنقذهم من الغواية، وبصَّرهم من العَماية، وهداهم إلى الدين القويم، ودعاهم إلى الطريق المستقيم).

وقد جَهد شياطين الجن والإنس على عهد رسول

• كان للقيم التي أدّب النبي نفسه بها ورسّخها في نفوس المسلمين مفعول السحر في الناس

الله كي يبعثوا أعراف الجاهلية إلى الحياة من جديد، (يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الأَعَزُّ مِنْهَا الأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لا يَعلَمُونَ) (المنافقون:٨)، فكان النبي لهم بالمرصاد، وأفسد عليهم ما أرادوا، وردّ كيدهم إلى نحورهم.

• كان السب واللعن بعد النبي من عناوين الفُرقة والتمزّق، ومن معاول الهدم المبرمج

مآل الأمور بعد النبي:

إلا أن وحدة الصف والكلمة تعرّضت بعد وفاة النبي الكريم لضربات موجعة أصابت الكيان الإسلامي في مقتل، ومزّقته إلى فِرَق وأهواء، ونحرت مشروع الأمة الواحدة، وهدمت البنيان المرصوص... وكان الثّلب والسب واللعن من عناوين الفُرقة والتمزّق، ومن معاول الهدم المبرمج، والخبر التالي الذي رواه الإمام مسلم في صحيحه برقم ٦٣٨٢ في فضائل الإمام علي عليه السلام من نماذج ذلك: (عن سهل بن سعد قال: اسْتُعْمِلَ على المدينة رجل من آل مروان؛ قال: فدعا سهلِ بن سعد فأمره أن يشتم علياً! قال فأبى سهل. فقال له: أما إذ أبيت فقل لعن الله أبا التراب، فقال سهل: ما كان لعلي اسم أحب إليه من أبي التراب وإن كان ليفرح إذا دعي بها).

الإمام يتنزّه عن السباب:

وقد عمِل الإمام علي عليه السلام ـ حال حياته ـ على محاربة هذه الظاهرة، وتربية أهل بيته وأصحابه وشيعته على أعلى مكارم الأخلاق وحميد الصفات، وأمرهم أن يتعالوا عن هذه السقطات، فعن عبد الله بن شريك قال: (خرج حجر بن عديّ وعمرو ابن الحمق يظهران البراءة واللعن من أهل الشام، فأرسل إليهما عليّ عليه السلام أن كُفّا عمّا يبلغني عنكما، فأتياه فقالا: يا أمير المؤمنين، أ لَسنا محقّين؟ قال: بلى. قالا: أوَليسوا مبطلين؟ قال: بلى. قالا: فَلِمَ منعتنا من شتمهم؟ قال: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، تشتمون وتتبرّؤون، ولكن لو وصفتم مساوئ أعمالهم فقلتم: مِن سيرتهم كذا وكذا ومِن عملهم كذا وكذا، كان أصوب في القول، وأبلغ في العذر. ولو قلتم مكان لعنكم إيّاهم وبراءتكم منهم: "اللهمّ احقن دمائنا ودماءهم، وأصلح ذات بيننا وبينهم، واهدهم من ضلالتهم، حتى يعرف الحقّ منهم مَن جهله، ويرعوي عن الغيّ والعدوان مَن لهج بِه" كان هذا أحبَّ إليَّ وخيراً لكم. فقالا: يا أمير المؤمنين، نقبل عِظَتك ونتأدّب بأدبك).

• قال الإمام علي: كرهت لكم أن تكونوا لعّانين شتّامين، تشتمون وتتبرّؤون

ويعجبني هنا أن أنقل كلمات العلامة الشيخ حسين الراضي* في هذا الإطار: (إن مفردات السب والشتم واللعن لم تكن ثقافة أمير المؤمنين عليه السلام، بل ثقافة العاجز المهزوم الذي لم يكن لديه أي رصيد علمي أو عملي أو أخلاقي، والإمام أمير المؤمنين عليه السلام بعيد عن هذا بعد ما بين السماء والأرض سواء كان في حال الحرب أو السلم، وشيعته المخلصون على هداه سائرون، لهذا قال حجر وعمرو بن الحمق: يا أَمِيرَ المُؤمنينَ نَقْبل عِظَتَكَ وَنَتأَدَّب بِأدبِك. فمن يستعمل السب والشتم واللعن ـ حتى لمن يستحق ـ لم يتأدب بأدب أمير المؤمنين عليه السلام وإنما تأدب بأدب أعدائه الذين اتخذوا السب واللعن ثقافة استمروا عليها لعشرات السنين).

شرعنة السب واللعن:

وأضاف: (حاول البعض أن يُشَرعِن السب والشتم واللعن الذي هو أحد مصاديق السب في الشريعة الإسلامية، وأن يلصق ذلك بقادته الميامين عليهم السلام، وأنهم استعملوه ضد من خالفهم، وهذا ما لا يتناسب مع مقام بعض العلماء حتى يتناسب مع مَن مدحهم الله في الذكر الحكيم وقال في سيدهم {وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ} القلم:٤).

ومما يؤكد بُعد هذا الأسلوب عن منهج أهل البيت عليه السلام ما رواه الشيخ الصدوق وعماد الدين الطبري عن ابن أبي محمود أن الإمام علي الرضا عليه السلام قال له: (يا بن ابي محمود، إن مخالفينا ـ أي النواصب والغلاة وأمثالهم ـ وضعوا أخباراً في فضائلنا وجعلوها على أقسام ثلاثة: أحدها الغلو، وثانيها التقصير في أمرنا، وثالثها التصريح بمثالب أعدائنا، فإذا سمع الناس الغلو فينا، كفّروا شيعتنا ونسبوهم إلى القول بربوبيتنا، وإذا سمعوا التقصير اعتقدوه فينا، وإذا سمعوا مثالب أعدائنا بأسمائهم ثلبونا بأسمائنا، وقد قال الله عز وجل: [ولا تسبوا الذين يدعونَ من دون الله فيسبوا الله عدواً بغير علم]، يابن أبي محمودٍ، إذا أخذ الناس يميناً وشمالاً فالزم طريقتنا، فإن مَن لزمنا لزمناه، ومَن فارقنا فارقناه...).

• من يستعمل السب والشتم واللعن لم يتأدب بأدب أمير المؤمنين بل بأدب أعدائه

فتوى تحريم السب:

إن من أهم معوّقات التقريب بين المسلمين الشيعة والسنة هي مسألة السب واللعن، ولذا فإن فتوى تحريم سبّ الصحابة وأمهات المؤمنين التي أطلقها بعض مراجعنا العظام ـ أيّدهم الله ـ بحاجة إلى تأصيل فقهي، تماماً كقضية التكفير التي أصبحت من أيسر الأمور عند بعض أدعياء العلم، وعلى العلماء والخطباء أن يتحملوا مسئولياتهم في هذا المجال، لأن المداهنة وإرضاء أهواء

• لا تصح معالجة الخطأ بخطأ، لاسيما من قبل وزارة التربية، بل لابد من المعالجة الحكيمة

بعض العامة لن يحقق رضا الله، وسيُنزِل بالأمة ـ على مدى الزمنَ ـ المزيد من الفتن والويلات...

الطالب المسئ للصحابة:

وقد نقلت بعض الصحف المحلية خبر فصل طالبٍ في المرحلة الثانوية فصلاً نهائياً بسبب إساءته للصحابة، وفي الوقت الذي نستنكر فيه فعلة هذا الطالب، إلا أنه لا تصح معالجة الخطأ بخطأ، لاسيما من قبل وزارة التربية، لأن مثل هذه النماذج تعد ضحية اتجاهين في المجتمع، اتجاه تكفير أتباع أهل البيت عليهم السلام، والاتجاه الآخر الذي يصرّ على الإساءة للصحابة وأمهات المؤمنين بالسب واللعن، والقضية بحاجة إلى معالجة حكيمة وهادئة، وخصوصاً لنفس مناهج وزارة التربية التي فتحت المجال للتكفير في قضايا فقهية خلافية بين المسلمين، بحيث تشترك في هذه المعالجة الجهات المعنية الدينية والتربوية من كل الأطراف.

وختاماً أقول: يحق لكل عاقل من المسلمين أن يتساءل: لمصلحة مَن في الأمة أن يستمر المسلمون في تأصيل الخلافات بصورة خارجة على أخلاق الإسلام وأسسه وقيمه؟ سؤال يُوجَّه لكل قادة الأمة وعلمائها ودعاتها لعلهم يتفكّرون ويحذرون.



---

* الشيخ حسين الراضي العبدالله عالم ومحقق معاصر من علماء الإحساء، ولد عام١٣٧٠هـ، درس في النجف الأشرف، وتتلمذ على يدي كبار الفقهاء كالسيد أبوالقاسم الخوئي والشهيد محمد باقر الصدر.

مفارقات

٢١ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ / ٢٩ مارس ٢٠٠٨



في حياة الإنسان مفارقات كثيرة، تثير العجب، وتحفّز البعض لتجنب الوقوع في حبائلها، لأنها من دلالات نقصان الحكمة والتدبير والتخطيط في الحياة، ومن لا يتعلم من هذه المفارقات، لا محالة يصبح خاضعاً لتناقضات الحياة.

ولكثـــرة ما في الحيـــاة من مفارقات اعتبر الناقـــد الألماني (فريدريك شليجل) أن المفارقة ليست وسيلـــة لاستكمـــال فهمنا للحياة بحيث يمكن بحثها فى الإطار المعرفى، بل إن المفارقة هى الحياة نفسها المليئة بما يعجز الإنسان عن فهمه أو إخضاعه لمنطق العقل الانسانى.

وهذه المقولـــة وإن كان فيها مبالغة واضحة، إلا أنها تعكس حجم المسألة، حتى أنه ظهر في العالم فن خاص باسم فن المفارقات، تحدّث عنها حسن الآلاتى فى كتابه (ترويح النفوس ومضحك العبوس) الذى نشر فى عام ١٨٨٩ بقوله: (لمّا كان فن المفارقات فناً يُـشار إليه بأطراف العصى، وتروح إليه الأرواح، وترمح نحوه الأشباح، وترتع النفوس فى ميادين فُدادين لطائِفِه، وتسبح فى لُجج بحار كنائفه ولطائفه، لأنه مَن ربح فى هذا الزمان سوقُه، ونَفرت فى الخافقين عروقُه، وقد اعتنى به كثير من المتقدمين والمتأخرين...).

المال أم العلم.. مفارقة دائمة:

من المفارقـــات الدائمة نظرة الناس إلى ما هو أزكى لهم وأكثر نفعاً، ولطالما واجه الإنسان السؤال المعهود: أيهما يجلب لك السعادة.. المال أم العلم؟ أيهما تقدّم.. المال أم العلم؟ وجواب الإنسان الذي لا يستطيع الخروج عن نطاق سيطرة المادة دائما هو: المال أهم.. بلاشك ولا تردد.. بل المسألة غاية في الوضوح عندهم ولا تحتاج إلى تفكير

ونظر.. ولكنها في حساب الحكماء تُعتبر من مفارقات الحياة.

قال الإمام علي عليه السلام لصاحبه كميل بن زياد: (يا كميل العلم خير من المال، و العلم يحرسك و أنت تحرس المال، المال تنقصه النفقة و العلم يزكو على الإنفاق، و صنيع المال يزول بزواله، يا كميل العلم دين يدان به، به يكسب الإنسان الطاعة في حياته و جميل الأحدوثة بعد وفاته، و العلم حاكم و المال محكوم عليه. يا كميل هلك خزان الأموال وهم أحياء، والعلماء باقون ما بقي الدهر أعيانهم مفقودة، و أمثالهم في القلوب موجودة).

ويبقى لمن يُنفق ماله في سبيل اللهِ ويوقفه في مشاريع الخير الذِّكر الحسَن والأثر الجميل.. إلا أن للعلماء ما يميّزهم.

المفارقات في الأحاديث:

وقد نقلت لنا كتب الحديث نصوصاً مروية عن النبي الأكرم وعن أهل بيته ـ عليهم السلام أجمعين ـ تتحدث عن صور من مفارقات الحياة، والسلوكيات البشرية التي تنطوي على المفارقات، وبعضها يتضمن نصائح مباشرة، وبعضها يجعل القارئ يصل إلى الهدف من خلال النص بصورة غير مباشرة، وهذه نماذج منها:

١ـ الإمام علي بن أبي طالب عليه السلام: (عجبت لمن يعلم أنّ للأعمال جزاءً كيف لا يحسن عمله؟!).

٢ـ وعنه أيضاً: (عجبت لمن يظلم نفسه كيف يُنصِف غيره؟!).

> • شليجل: المفارقة ليست وسيلة لاستكمال فهمنا للحياة، بل إن المفارقة هي الحياة نفسها

٣ـ وعنه أيضاً: (عجبت لمن يجهل نفسه كيف يعرف ربه؟!).

٤ـ وعنه: (عجبت لأقوام يحتمون الطعام مخافة الأذىً كيف لا يحتمون الذنوب مخافة النار؟!). يحتمون: أي يتّقون.

٥ـ وعنه عليه السلام: (وعجبت ممن يشتري المماليك بماله كيف لا يشتري الأحرار بمعروفه فيملكهم؟!).

٦ـ وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إنّ أحقّ الناس بأنْ يتمنى للناس الغنى البخلاء، لأنّ الناس إذا استغنوا كفّوا عن أموالهم. وإنّ أحقّ الناس بأنْ يتمنى للناس الصلاح أهلُ العيوب، لأن الناس إذا صلحوا كفّوا عن تتبّع عيوبهم. وإنّ أحقّ الناس بأنْ يتمنى للناس الحِلْم أهلُ السفه الذين يحتاجون أنْ يُعفى عن سفههم. [ولكن المفارقة على أرض الواقع تتمثل فيما يلي:] فأصبح أهلُ البخل يتمنّون فقرَ الناس، وأصبح أهلُ العيوب يتمنّون معايبَ الناس، وأصبح أهلُ السَّفَه يتمنّون سفَه الناس. وفي الفقر الحاجة إلى البخيل، وفي الفساد طلبُ عورة أهلِ العيوب، وفي السفهِ المكافاةُ بالذنوب).

ـ الصورة لفريدريك شليجل

ووجدك ضالاً فهدى

٢٨ ربيع الأول ١٤٢٩ هـ / ٥ إبريل ٢٠٠٨



اتفقت الأمة على عصمة النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وإن اختلفت في تفاصيل هذه المسألة في حدودها ومفهومها وامتدادها الزمني، ويعتقد الشيعة الإمامية بعصمة النبي منذ ولادته وإلى آخر عمره، عصمةً عن الذنب والخطأ.

قال الشيخ ناصر مكارم الشيرازي: (إننا نعتقد أن جميع الأنبياء معصومون على مدى أعمارهم - قبل النبوة وبعدها - ومصونون من الخطأ، والاشتباه، والذنب، وذلك بالتأييد الإلهي؛ لأن النبي إذا ارتكب الخطأ أو الذنب سُلبت منه الثقة اللازمة لمنصب النبوة، وعندئذ لا يمكن للناس أن يثقوا بوساطته بينهم وبين الله، ولكي يعدّوه أسوة لهم وإماماً في كل أعمالهم وسلوكهم. ولهذا فإننا نعتقد أن ما يبدو من ظواهر بعض الآيات القرآنية من أن بعض الأنبياء ارتكبوا المعاصي، هو من قبيل ترك الأولى - بمعنيٍ اختيار العمل الأقل صلاحا من بين عملين صالحين، في حين كان من الأولى اختيار الأصلح - أو بتعبير آخر هو من قبيل: حسنات الأبرار سيئات المقربين).

هل ضل النبي؟

في سورة الضحى آية تثير التساؤل، وتبدو وكأنها تتعارض مع ما ذكرناه من عصمة النبي على مدى العمر، فقد قال تعالى (وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى) (الضحى:٧)، فالمتبادر إلى الأذهان أن الضلال إما أن يكون ضلالاً في العقيدة بمعنى عدم الإيمان بالله، أو الإيمان بعقيدة باطلة كالشركٍ مثلاً، وإما أن يكون ضلالاً

• جميع الأنبياء معصومون على مدى أعمارهم ومصونون من الخطأ والاشتباه والذنب

في السلوك بمعنى ارتكاب المعاصي والإصرار عليها، وكلاهما منفيان عن ساحته صلى الله عليه وآله وسلم... فكيف نفهم الآية إذاً؟

اختلف المفسرون في توجيه الآية الشريفة، ونقل الطبرسي صاحب كتاب مجمع البيان سبعة أقوال، أولها ـ ولعله الأقرب للصحة ـ : (ووجدك ضالاً عما أنت عليه الآن من النبوة والشريعة، أي كنت غافلاً عنهما فهداك إليهما). ويؤيد الطبرسي ذلك بقوله تعالى (مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ) (الشورى:٥٢)، وقوله (نَحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ أَحْسَنَ الْقَصَصِ بِمَا أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ هَذَا الْقُرْآنَ وَإِن كُنتَ مِن قَبْلِهِ لَمِنَ الْغَافِلِينَ) (يوسف:٣).

وأكد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي في تفسيره الميزان هذا الاتجاه، فاعتبر أن آية الضحى هي بنفس معنى آية الشورى، وقال: (فالمراد بعدم درايته بالكتاب عدم علمه بما فيه من تفاصيل المعارف الاعتقادية والشرائع العملية، فإن ذلك هو الذي أوتي العلم به بعد النبوة، وبعدم درايته بالإيمان بعد تلبّسه بالالتزام التفصيلي بالعقائد الحقة والأعمال الصالحة، وقد سمّي العمل إيماناً في قوله: [وَمَا كَانَ اللهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ] البقرة/١٤٣).

• الضلال المعبَّر عنه في الآية الشريفة والمنسوب إلى النبي هو ضلال بالمعنى اللغوي

ويؤكد العلامة الطباطبائي على أن (هذا لا ينافي كونه صلى الله عليه وآله وسلم مؤمناً بالله موحِّداً قبل البعثة صالحاً في عمله، فإن الذي تنفيه الآية هو العلم بتفاصيل ما في الكتاب والالتزام بها اعتقاداً وعملاً، ونفي العلم والالتزام التفصيليين لا يلازم نفي العلم والالتزام الإجماليين بالإيمان بالله والخضوع للحق).

الحائري يوضح المسألة:

وقد زاد المسألة وضوحاً الفقيه السيد كاظم الحائري إذ قال: (قوله تعالى [وَوَجَدَكَ ضَالاً فَهَدَى] لا يدل على أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم كان قد صدرت منه المعاصي قبل النبوة، إنما المقصود هو الإشارة إلى مستوى الهداية التي وصل إليها النبي صلى الله عليه وآله وسلم لو قسنا بينها قبل نزول الوحي وبعد نزوله، فهو قبل الوحي لم يكن يملك ذاك المستوى من الإيمان الذي فهمه بالوحي، كما تقول الآية الكريمة [مَا كُنتَ تَدْرِي مَا الْكِتَابُ وَلا الإِيمَانُ] الشورى:٥٢).

وخلاصة القول إن الضلال المعبَّر عنه في الآية الشريفة والمنسوب إلى النبي صلى الله عليه وآله وسلم هو ضلال بالمعنى اللغوي، ومن معانيه عدم الاهتداء إلى الشيء، قال ابن منظور: (وضَلَلْت المَسْجدَ والدارَ إذا لم تعرف موضعهما، وضَلَلْت الدارَ والمَسْجدَ والطريقَ وكلَّ شيء مقيم ثابت لا تَهْتَدي له)، لا بمعنى الانحراف العقائدي أو السلوكي حاشا رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

عرائس المخدرات

٦ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ / ١٢ إبريل ٢٠٠٨



خالدة سعيد شاه... هذا هو اسم الطفلة الأفغانية التي تواجه مصيرها البائس، لأنها أضحت واحدة من عرائس المخدِّرات!! طفلة في التاسعة من عمرها بيعت لرجل في الخامسة والأربعين لتغدو زوجاً له بالإجبار... وبديلا عن ٢٤ كجم من الأفيون!! فما قصة هذه الطفلة؟

الإنسان بين المادة والغيب:

من المنطقي أن ينطلق الإنسان في تخطيطه لأموره من خلال الحسابات المادية، وبالاعتماد على معطيات الأرقام والحقائق على الأرض، وإلا كيف نفهم التوجيه الإلهي للمسلمين في قوله تعالى (وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ) (الأنفال:٦٠)؟

النبي داود يصنع السابغات:

وكذلك نجد الخطاب الإلهي للنبي داوود عليه السلام الذي كان يواجه حروباً شرسة مع أعداءٍ أقوياء (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُودَ مِنَّا فَضْلا يَا جِبَالُ أَوِّبِي مَعَهُ وَالطَّيْرَ وَأَلَنَّا لَهُ الْحَدِيدَ * أَنِ اعْمَلْ سَابِغَاتٍ وَقَدِّرْ فِي السَّرْدِ وَاعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ) (سبأ:١٠-١١).

والملفت للنظر أن الله تعالى يوجّه نبيه لأهمية الدقة في تصنيع القميص الحديدي المعد بصورة تشبه الشبكة، بأن (قدّر في السرد)، فلا تكون الحلقة الواحدة ضيقة بحيث يفقد القميص مرونته، ولا تكون واسعة فينفذ فيها نصل سلاح الأعداء!! هكذا هو الإسلام... تخطيط وعمل ودقة وإتقان وإبداع.

خمسة آلاف ملَك في معركة بدر:

ولو كان أحد سيعتمد على العامل الغيبي لوحده لكان الأنبياء هم الأوْلى بذلك، كيف لا وقد أرسل الله عزوجل خمسة آلاف من

الملائكة ليؤيدوا المسلمين في معركة بدر، علماً بأن عدد المشركين لم يتجاوز الألف!! ألم يكفهم ملَك واحد فقط؟! والإجابة تكمن في ذات الآية التي تحدثت عن الأمر (يُمْدِدْكُمْ رَبُّكُم بِخَمْسَةِ آلافٍ مِّنَ الْمَلائِكَةِ مُسَوِّمِينَ * وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلاَّ بُشْرَى لَكُمْ وَلِتَطْمَئِنَّ قُلُوبُكُم بِهِ وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَكِيمَ) (آل عمران:١٢٥-١٢٦). فالمسألة لم تتعدّ أن تكون دفعة معنوية ولم ينخرط أي من الملائكة في الحرب.

لا إهمال للعامل الغيبي:

إلا أن الاعتماد الكلي على الحسابات المادية ونسيان حقيقة أن الله سبحانه مالك الملك مدبِّر كل شئ الذي لا يعزب عنه مثقال ذرة، وأن لا شئ في الكون يتحقق إلا بمشيئته وإرادته، نسيان هذا والغفلة عن التوكلٍ على الله والاستعانة به، كفيلٌ بأن يوقع الإنسان في أخطاء قاتلة.

نموذج من القرآن:

(الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء وَاللَّهُ يَعِدُكُم مَّغْفِرَةً مِّنْهُ وَفَضْلاً وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ) (البقرة:٢٦٨)، هذا نموذج من القرآن الكريم يحكي صورة من صور الوقوع في فخ الاعتماد الكلي والأوحد على العامل المادي، فتزكية المال في الحساب المادي البحت لا يعني سوى نقصان المدَّخرات الشخصية، وفي الحساب الغيبي يعني نماء المال وحلول البركة فيه ونيل الرحمة في الدنيا والآخرة.

• من الخطأ الاعتماد التام على الحسابات المادية ونسيان العامل الغيبي

عرائس المخدِّرات:

ومجدداً مع قصة الطفلة خالدة الواردة في مقال نشر في مجلة النيوزويك بتاريخ ٨ إبريل ٢٠٠٨، فالمقال يتحدث عن مأساة إنسانية تعيشها الأسر الأفغانية التي تقتات على زراعة الأفيون!! وتتلخص مأساتهم في عجز رب الأسرة عن سداد القرض المخصص لهذه الزراعة، فيضطر لبيع ابنته للمقرِض الذي يتنازل عن حصته من الأفيون الخام في مقابل هذه البنت التي قد لا تتعدى الخامسة من عمرها، لتتحول ـ قسراً ـ إلى زوجة لهذا المرابي المتاجر بالأفيون. ويؤكد المقال على أن نصف الزيجات في مقاطعتين أفغانيتين تمت بهذه الصورة!! وخالدة واحدة من أولئك الضحايا... وعلى الرغم من التسهيلات والبدائل التي تقدمها الدولة الأفغانية ـ حسب المقال ـ لهؤلاء المزارعين لتبديل زراعتهم بزراعة تعود عليهم وعلى المجتمع بالفائدة، إلا أنهم ـ بحساباتهم المادية البحتة ـ يصرّون على زراعة الأفيون لأنه أكثر وأيسر ربحاً من سائر المحاصيل الزراعية، غافلين عن أن الله يسلب البركة عن المال الحرام، وأنٍ الله طيّب لا يقبل إلا طيبا، ومن وضع قدميه على طريق الشيطان كان عُرضة للانزلاق إلى مهاوي الخسران... وصدق الله عزوجل إذ قال: (الشَّيْطَانُ يَعِدُكُمُ الْفَقْرَ وَيَأْمُرُكُم بِالْفَحْشَاء).

اعقلها و توكل

١٣ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ / ١٩ إبريل ٢٠٠٨



القلق.. التوتر.. الخوف من المستقبل المجهول.. الفشل.. الفقر.. انعدام الأمن.. هذه العناوين وغيرها ـ بمجملها ـ تمثل ضغوطات رهيبة على أغلب الناس، لاسيما في الظروف الاستثنائية وفي الفترات الحساسة من حياتهم، حتى بات الناس مرتهنين لهذه العناوين، وتحت رحمة نتائجها!

ولكن من رحمة الله سبحانه ولطفه أن قدّم لنا (التوكل عليه) كحقيقة عملية ذات تأثير نفساني رائع، تسهم في التخفيف كثيراً من هذا الضغط الرهيب الذي يواجهه الناس، لاسيما في هذا العصر الذي تسارعت إيقاعاته حتى لم نعد نستطيع الاطلاع التام علىٍ ما هو جديد، وما بات قديما غير متناسب مع (روح العصر).

مفهوم التوكل على الله:

عندما يمتلك الإنسان شيئاً ويريد أن يبيعه مثلاً، يلجأ أحياناً إلى تفـــويضٍ الأمر لشخص يكون وكيلاً عنه في ذلك، ومن المفترض أن يبحث المالك عن وكيلٍ موثوقٍ به، عارفٍ خبير بشئوًن السوق و خصاص هذه البضاعة، قادر على أن يُنجز له هذه المهمةً بالصورة المطلوبة. وقد يقوم الوكيل فوراً بإتمام الصفقة، ولربما يؤجل الموضوع ـ بحكمته ودرايته ـ بهدف الحصول على سعر أعلى، فالأمانة والخبرة والدراية والقدرة عناصر مهمة تدفع المالك للركون إلى تصرفات الوكيل والثقة فيه.

والمثال السابق يقرّب لنا مفهوم التوكل على الله، فقد عُرِّف التوكل بأنه: (تفويض الأمور إلى الله والاعتماد على

• التوكل على الله له تأثير نفساني رائع، يسهم في التخفيف كثيراً من ضغوط الحياة

لطفه) لإنجاز أمر بالصورة المطلوبة أو بما يعود على الفرد بالمنفعة وفق ما تقتضيه الحكمة الإلهية، لأن (التوكل) من مادّة (وكالة) بمعنى اختيار الوكيل والاعتماد عليه في تسيير الأمور.

• القاعدة القرآنية تقتضي أنه (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهِ بَالِغُ أَمْرِهِ)

وإذا كانت درجة الاطمئنان والراحة النفسية عند الإنسان تزداد بازدياد درجة القدرة والخبرة والدراية عند الوكيل، فكيف بالإنسان إذا كان وكيله هو الله سبحانه.. الله العليم الحكيم الخبير القدير الغني؟! والملفت للنظر أن الله سبحانه وتعالى هو المالك الحقيقي لكل ما في الوجود، وملكيتنا ـ نحن البشر ـ لما في أيدينا إنما هي ملكية اعتبارية مجازية، ومع هذا فقد جعلِ الله تعالى ذاته المقدسة وكيلا عنا فيما يملكه هو في حقيقة الأمر!!

روعة التوكل على الله:

والإنسان الّذي يعيش التوكل على الله لا يشعر إطلاقاً بالحقارة والضعف، بل يرى نفسه وبالاعتماد على لطف الله وعلمه وقدرته المطلقة منتصراً وناجحاً في حياته الفردية والاجتماعية، لأنه بذل وسعه وفق الحسابات

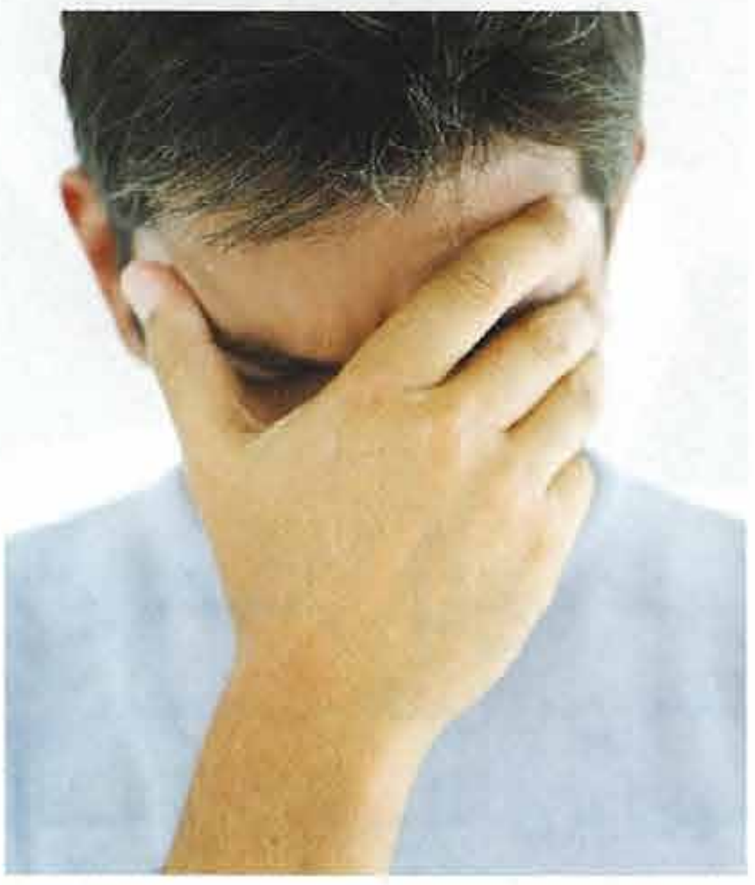

المادية، ووكّل الأمر إلى الله، وهو مطمئن إلى وكيله كل الاطمئنان، فإن تحقق الأمر فبها ونعمت واستوجب ذلك الشكر، وإن لم يتحقق لم يشعر باليأس والقنوط، لأنه يعلم يقيناً أن وكيله أعلم بالمصلحة الدنيوية والأخروية.

فالقاعدة القرآنية تقتضي أنه (وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ قَدْ جَعَلَ اللَّهُ لِكُلِّ شَيْءٍ قَدْرًا) (الطلاق:٣)، أي أن الأمور مرهونة بأوقاتها، فكلّ شيء يكون بحساب ويتطلب الزمان والفرصة المناسبة، وهو ما يبعث الراحة النفسية لدى الإنسان المتوكل على العليم القدير، ويخفف عنه ضغط القلق الذي يعيشه كثير من الناس وهم يواجهون حسابات المستقبل.

• إذا كانت درجة الاطمئنان تزداد بازدياد درجة القدرة والخبرة والدراية عند الوكيل، فكيف بالإنسان إذا كان وكيله هوالله ؟

القوّة في التوكل على الله:

قال تعالى: (وَاتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ يَاقَوْمِ إِنْ كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِي بِآيَاتِ اللَّهِ فَعَلَى اللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُواْ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لاَ يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً

ثُمَّ اقْضُواْ إِلَيَّ وَلاَ تُنظِرُونِ) (يونس:٧١). ونلاحظ هنا هذه القوة العظيمة والشجاعة الراسخة في كلمات هذا النبي العظيم، وهي من أثر التوكل الذي يزرع في النفس القوة حتى أنه يتحدى المشركين ويشجعهم على مواجهته بأجمعهم ودون أي تأخير أو تردد!!

وقد انقطع أمله في الذرية، فيستسلم لأمر الله ويضع فيه كل ثقته، ويتوكل عليه، فيترك الرضيع مع أمه في وادٍ صحراوي بلا ماء و بلا حامٍ سوى الله سبحانه!!

تخطيط وتنفيذ وتوكل على الله:

قال تعالى على لسان نبيه يعقوب عليه السلام (وَقَالَ يَابَنِيَّ لاَ تَدْخُلُواْ مِن بَاب وَا حِد وَادْخُلُواْ مِنْ أَبْوَا ب مُّتَفَرِّقَة وَمَآ أُغْنِى عَنكُم مِّنَ اللَّهِ مِن شَىْءٍ إِنِ الْحُكْمُ إِلاَّ لِلَّهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلِ الْمُتَوَكِّلُونَ) (يوسف:٦٧)، والآية تمثل حقيقة قرآنية تتلخص في أن التوكل والإيمان بأن مقادير وتدبير الأمور بيد الله لا يعني التواكل والتراخي، بل التفكير والعمل أيضاً، وهذا هو المفهوم الحقيقي للتوكل.

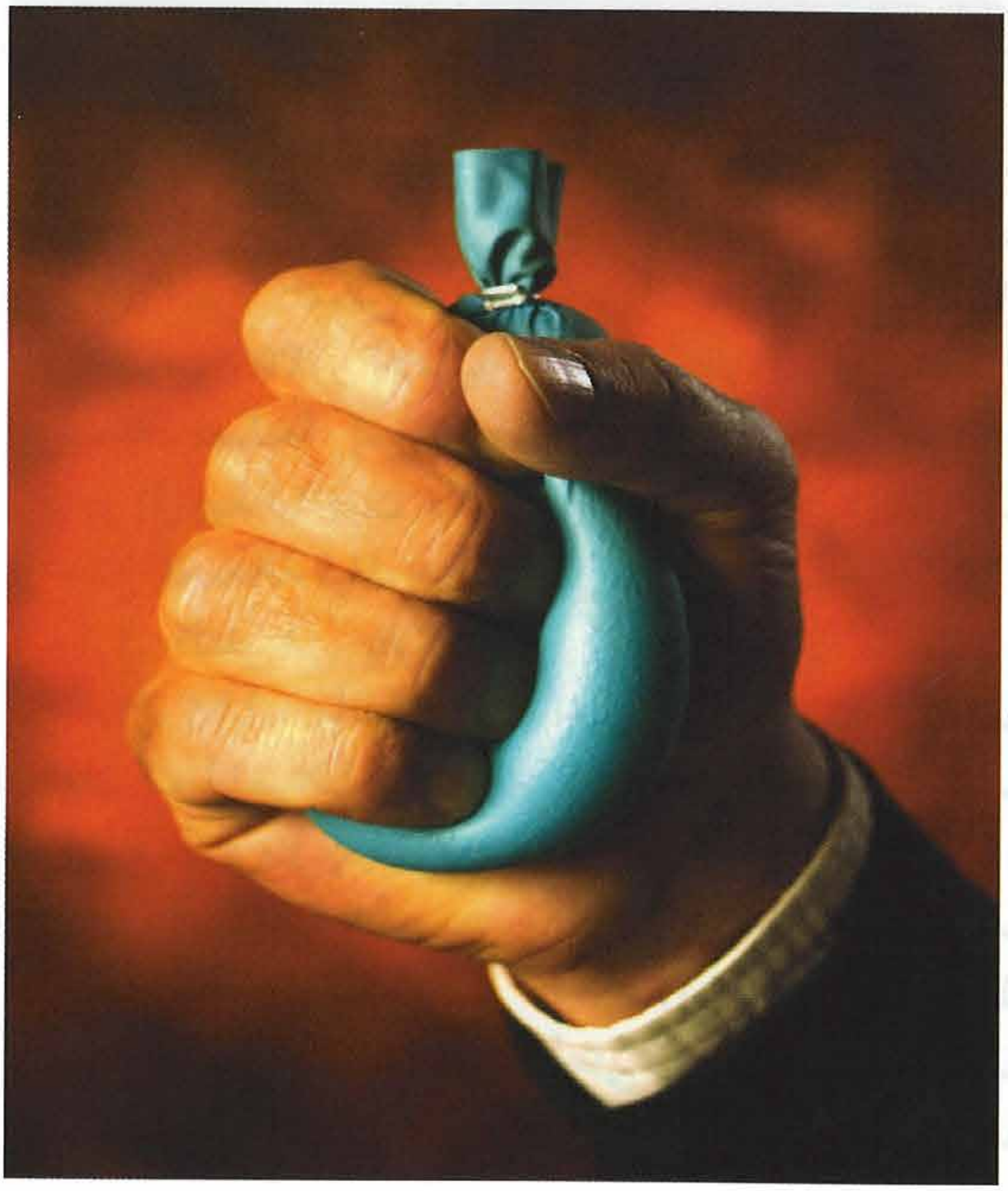

• المفهوم الحقيقي للتوكل لا يعني التواكل والتراخي، بل التفكير والعمل

وقال تعالى في قصة نبيه إبراهيم عليه السلام (رَّبَّنَآ إِنِّى أَسْكَنتُ مِن ذُرِّيَّتِى بِوَاد غَيْرِ ذِى زَرْع عِندَ بَيْتِكَ الْمُحَرَّمِ رَبَّنَا لِيُقِيمُواْ الصَّلَوةَ فَاجْعَلْ أَفْئِدَةً مِّنَ النَّاسِ تَهْوِى إِلَيْهِمْ وَارْزُقْهُم مِّنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَشْكُرُونَ) (إبراهيم:٣٧)، وما أعظم هذا الإيمان والتوكل على الله سبحانه الذي يدفع بهذا النبي الذي رُزق بأول ولدٍ له وهو شيخ كبير

عندما سقط علّام

٢٠ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ / ٢٦ إبريل ٢٠٠٨

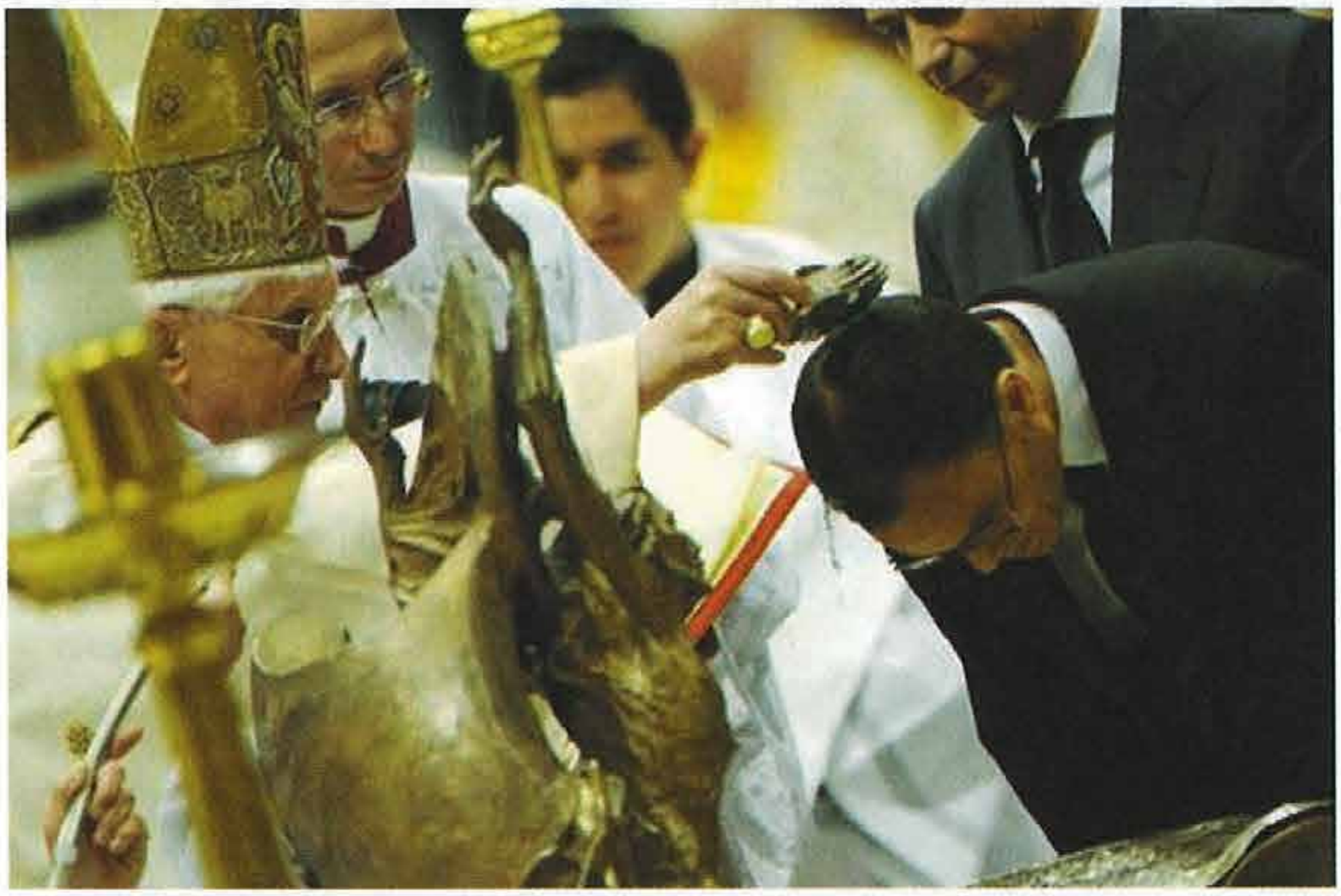

مجدي علام (٥٥ سنة) صحفي إيطالي - مصري الأصل، ألقي القبض عليه بعد حرب ١٩٦٧ للاشتباه بتجسسه لمصلحة إسرائيل، وهاجر إلى إيطاليا حيث عملٍ في حقل الصحافة، فبذل جهداً كبيراً في التعريض بالإسلام من خلال كتاباته، وألّف كتاباً بعنوان (تحيا إسرائيل)، اعتبر فيه أن الإسلام يمثل إديولوجية الموت، وإسرائيل هي رمز الحضارة والحياة. ولما وقف متكلماً أمام اللجنة اليهودية الأمريكية قال (لقد اكتشفتُ إسرائيل التي منَحتني إيمانا بقدسية الحياة، شكراً إسرائيل، تحيا إسرائيل). حصل علام على جائزة دان ديفيد[١] الإسرائيلية مناصفة عام ٢٠٠٦، وأعلن مؤخراً انتقاله من الإسلام إلى المسيحية.

قد لا يكون ما سبق ذا أهمية كبيرة، لاسيما بالنسبة إلى صحفي مغمور لم يسمع به كثيرون، إلا أن المثير في القضية هو الاهتمام الكنسي والإعلامي - بتنصّره - وعلى أعلى مستوى.. فقد عمَّده بابا الفاتيكان بنفسه وسط حفل بهيج نقلته الفضائيات ووسائل الإعلام.

استهجان إسلامي - مسيحي

من الواضح أن تعميد علام على يد أعلى سلطة دينية كاثوليكية لم يُضعف الإسلام، كما أنه لن يزيد المسيحية في قوتها، إلا أن المسألة برمّتها وبلحاظ سيرة هذا الصحفي تطرح تساؤلات مشروعة في الساحة الإسلامية والمسيحية (العربية) والغربية ، وهو

• تنصّر علام كما ألّف كتاباً اعتبر فيه أن الإسلام يمثل إديولوجية الموت، وإسرائيل هي رمز الحضارة والحياة

ما انعكس في الكلمات المنطقية للأب جورج مسّوح حيث اعتبره (أبعد من أن يكون أمراً بسيطاً وحسب،

يندرج في إطار قبول الكنيسة لكل مِن يرغب في أن يصبح مسيحياً بقلبه وفكره ولسانه. ألم يتساءل من عمَّد علاّم كيف يمكن أن تساهم معمودية هذا الصهيوني المدافع بأي ثمن عن الإجرام الإسرائيلي الذي يمارَس ـ ليس ضد مسلمي فلسطين فقط ـ بل أيضا ضد مسيحيي فلسطين المناضلين في دعم بقائهم في أرضهم المغتصبة؟ كيف يصبح مسيحياً من يدعم الدولة التي تضطهد المسيحيين؟).

استفزاز متنوّع

قضية علاّم مفردة في سلسلة حلقات الاستفزاز للعالم الإسلامي مؤخراً، فقضية إعادة نشر الرسوم الكاريكاتورية المسيئة للنبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم في الدانمارك، وعرض فيلم (فتنة) للنائب الهولندي اليميني غيرت ويلدرز، وعرض مسرحية مستقاة من قصة (آيات شيطانية) في ألمانيا، والدعوات لوقف إعطاء التراخيص للمساجد في بريطانيا، وحملة التنصير غير المسبوقة في

• ألم يتساءل من عمّده: كيف يمكن أن يصبح مسيحياً مَن يناصر أعداء المسيحيين الفلسطينيين؟

المغرب العربي [٢]... كلها ـ وسواها ـ تثير تساؤلاً مبرّراً: لماذا الآن؟

أرقام مقلقة

نعم... لماذا الآن؟ من الواضح أن ثمة قلق يتنامى في الغرب من الواقع الإسلامي على الرغم من كل سلبياته، على مستوى الاقتصاد والتنمية والتعليم...إلخ، إلا أن الأرقام التالية قد تبيّن أسباب القلق والاستفزاز المتنامي:

١ـ أصدر الفاتيكان تقريراً إحصائياً أشار فيه إلى أن عدد المسلمين في العالم

• ثمة قلق يتنامى في الغرب من الواقع الإسلامي على الرغم من كل سلبياته

تفوّق لأول مرة في التاريخ على الكاثوليك، إذ أصبحوا يشكلون ما نسبته ١٩ ٪ من مجموع سكان العالم (مليار و٣٠٠ مليون نسمة)، بينما تبلغ نسبة الكاثوليك ١٧ ٪ (مليار و١٠٠ مليون نسمة).

٢ـ بلغ عدد المسلمين في فرنسا ٦ ملايين نسمة، أي ١٠ ٪ من مجموع السكان، أما في هولندا فبلغ ٨٥٠ ألفاً، أي ٦ ٪ من مجموع السكان.

٣ ـ كتبت الديلي تلغراف: (لو استمرت التوجهات الحالية فإن عدد رواد الكنائس الكاثوليكية في قداس الأحد سينخفض إلى ٦٧٩ ألفا بحلول عام ٢٠٢٠، وتنبأ خبراء الإحصاء بأن عدد راود المساجد سيرتفع في ذاك الوقت إلى ٦٨٣ ألفاً).

دموع النجاشي

الملاحظ في خضم كل هذه الأحداث أن طبيعة ردود الفعل الإسلامية أخذت منحى جديداً لربما يصح أن نصفه بالعقلانية والحكمة، فقد قامت مؤخراً حملة سعودية هولندية مسلمة تحت شعار (نصرة القرآن الكريم من

الانفعال إلى الفعل) ووزعت فيها ٥٠ ألف نسخة من كتاب الداعية الراحل الشيخ أحمد ديدات (المسيح عليه السلام في الإنجيل والقرآن) وذلك باللغة الهولندية، وهو ما يذكّرنا بالأسلوب الذي اعتمده رئيس وفد المهاجرين إلى الحبشة جعفر بن أبي طالب حين اتهمهم وفد المشركين - أمام النجاشي - بأنهم لا يؤمنون بالسيد المسيح، فما كان منه إلا أن تلى آيات من القرآن الكريم حول طهارة السيدة مريم ونبوة عيسى عليه السلام، مما دفع النجاشي إلى احتضان المهاجرين في دولته.

إن إبداء المرجع الديني السيد محمد حسين فضل الله استعداده لحوار النائب اليميني ويلدرز وغيره من نواب البرلمان الهولندي، وشكره رئيس الوزراء الهولندي على موقفه الرافض لعرض الفيلم، خطوة في الاتجاه الصحيح أيضاً، أثارت استغراب بعض المراقبين الغربيين، فقد كتب كريستوفر ديكي في النيوزويك بتاريخ ٢٠٠٨/٤/٨: (هل لاحظت أن أوروبا تثير استفزازات جديدة للدين الإسلامي، وأن ردة فعل المسلمين حتى الآن اتسمت بالهدوء؟... ففي تركيا، يدعم حزب العدالة والتنمية الحاكم تعليم اللاهوت بهدف إضفاء التحديث ـ والاعتدال ـ على التعاليم الإسلامية التقليدية. أما في لبنان، فيشير آية الله محمد حسين فضل الله... على المؤمنين بأن يردوا على الاعتداءات الغربية بوسائل ثقافية وقانونية).

• النيوزويك: هل لاحظت أن أوروبا تثير استفزازات جديدة للدين الإسلامي، وأن ردة فعل المسلمين اتسمت بالهدوء؟

---

[١] جائزة دان ديفيد تقدم "للخدمات المميزة" في المجالات العلمية أو التقنية أو الثقافية وغيرها، وقيمتها مليون دولار.

[٢] ذكرت صحيفة الرياض السعودية أن ١٠ مسلمين في الجزائر يتنصرون يومياً بفعل حملات التبشير المسيحية!! (باعتقادي أن الرقم مبالغ فيه جداً) وأن من يُقنع مسلماً بالمسيحية يحصل على جائزة قدرها ٥٠٠٠ يورو، بينما يحصل من يحضر صلاة في الكنيسة على مبلغ ١٠٠٠ دينار جزائري!!

- الصورة الأخيرة للنائب الهولندي غيرت فيلدرز صاحب فيلم فتنة المسئ للإسلام، والذي يتهم فيه القرآن الكريم بالتحريض على العنف، ويحذر من أن المهاجرين المسلمين يعرضون الغرب للخطر.



التشيع والباطنية

٢٧ ربيع الآخر ١٤٢٩ هـ / ٣ مايو ٢٠٠٨



يصف البعض المذهب الإمامي الإثني عشري بأنه مذهب باطني، والباطنية تعني أن تفاصيل عقيدة وخصوصيات هذا المذهب تتسم بالسرية والكتمان، وأن ما يتم كشفه للناس محدود جداً ولا يمثّل كل الحقيقة، وبالتالي لا يمكن الوثوق بما يصدر عن هذا المذهب، فما مدى صحة هذه النسبة؟

بين التقية والباطنية:

من الواضح أن هناك حالة من الضبابية تعتري العلاقة المفهومية والتطبيقية ما بين التقية والباطنية عند كثير من الناس، ولعل تهمة الباطنية الملصقة بالمذهب الإمامي تعود إلى ذلك. نعم، لا ننكر باطنية بعض المذاهب والحركات كالإسماعيلية و الدروز وغيرهما، إلا أن بحثنا يتركز حول الإثني عشرية فقط، ومنٍ هنا لابد من إلقاء الضوء أولا على مفهوم التقية.

التقية:

التقية في الإسلام مصطلح مشتق من النص القرآني، قال تعالى (لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُونِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللهِ فِي شَيْءٍ إِلا أَن تَتَّقُوا مِنْهُمْ تُقَاةً وَيُحَذِّرُكُمُ اللهُ نَفْسَهُ وَإِلَى اللهِ الْمَصِيرُ) (آل عمران:٢٨)، وهي ممارسة عملية ظهرت في بدايات العهد النبوي في قضية الصحابي الجليل عمار بن ياسر رضي الله عنه، والذي نزل في شأنه (مَن كَفَرَ بِاللهِ مِن بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ) (النحل:١٠٦)، وفي الحديث: (احلف بالله كاذبا ونجّ أخاك من القتل).

• لا ننكر باطنية بعض المذاهب، إلا أن حالة من الضبابية تعتري العلاقة المفهومية والتطبيقية بين التقية والباطنية عند كثير من الناس

فالمصطلح والممارسة ليسا بعيدين عن النص والواقع الإسلامي.

التقيّة في صحيح البخاري:

قال الإمام البخاري في صحيحه ـ كتاب الإكراه ـ بعد أن نصَّ على الآيتين السابقتين وآيات أخر: (فعذَر الله المستضعفين الذين لا يمتنعون من ترك ما أمر الله به، والمُكرَه لا يكون إلا مستضعفاً، غير ممتنع من فعل ما أمر به. وقال الحسن: التقيَّة إلى يوم القيامة. وقال ابن عباسٍ، فيمن يُكرهه اللصوص فيطلّق: ليس بشيء. وبه قال ابن عمر وابن الزبير والشعبي والحسن. وقال النبي صلى الله عليه وسلم: الأعمال بالنيَّة).

وقال ابن حجر في كتابه فتح الباري في شرح صحيح البخاري: (ومعنى التقية: الحذر من إظهار ما في النفس من مُعتَقَد وغيره للغير... وأخرج البيهقي من طريق ابن جريج عن عطاء عن ابن عباس قال: التقية باللسان والقلب مطمئن بالإيمان ولا يبسط يده للقتل).

التقية أصل عقلائي:

وحتى لو لم يرد نص ديني على وجوب التقية لحفظ النفس أو العِرض أو المال أو الدين، فإن العقل يحكم بلزومها، فهي تصرّف عقلائي ناشئة من أن الضغط على إرادة الإنسان بما لا يطيقه يُبيح له العمل وفق ما هو مُكرَه عليه، ويكون عمله هذا منطلقاً من إيمانه والتزامه بشريعة الله عزوجل التي أباحت له ذلك، بل ألزمته به في بعض الأحايين.

• العقل يحكم بلزوم التقية، فهي تصرّف عقلائي ناشئ من الضغط على إرادة الإنسان

التقية حالة استثنائية:

إلا أنه ينبغي أن نلتفت إلى أن التقية ليست هي الحالة الأصلية في الممارسة العملية لدى المسلم، بل تمثّل حالة استثنائية طارئة لتحقيق بعض المقاصد الكلية للإسلام كحفظ النفس والدين، وأما إذا بلغت حد اصطدامها مع تلك المقاصد، فلا تقية حينئذ، ولذا ورد في الحديث عن الإمام محمد بن علي الباقر عليه السلام: (إنما جُعلت التقية ليُحقَن بها الدماء، فإذا بلغ الدم فلا تقية)، وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (... فكل شيء يعمل المؤمن بينهم لمكان التقية مما لا يؤدي إلى الفساد في الدين فإنه جائز).

ولو تحوّلت التقية من كونها حالة استثنائية إلى حالة أصلية في المجتمع، فلابد من تجميدها حينئذ، لأن الأحكام الأولية هي التي يجب أن تكون مطبَّقة وحاكمة في المجتمع، وإلا للزم الفساد في الدين وضياع معالمه الحقيقية بمرور الزمان كما يشهد بذلك تاريخ بعض الحركات والمذاهب.

حقيقة الباطنية:

أما الباطنية فتعني محدودية المعرفة الدينية ضمن دائرة معينة، قد تكون دائرة العلماء أو شيوخ الطريقة وما شابه، وخفاء تفاصيل تلك المعارف

والشرائع والمعتقدات على الناس، وحتى على أتباع الدين أو المذهب أو الحركة نفسها!! وبالتالي هي تمثّل ـ عادةً ـ حالة أصلية مستمرة في المتبنيات العقيدية والممارسات العملية، ولها لوازم عديدة من بينها:

١ـ محدودية تداول الفكر الديني، فلا يمكن لمن كان خارج نطاقها أن يطّلع عليها، ولا يجوز لمن هم من الداخل أن يُفصحوا عن حقيقتها وتفاصيلها.

٢ ـ الجمود وعدم التجديد والتطوير، لأنهما من لوازم البحث والتحقيق والتلاقح الفكري الناشئ من التأليف والحوار وعقد المؤتمرات والندوات المشتركة مع أصحاب الملل والمذاهب الأخرى... إلخ.

٣ ـ الرمزية في اللغة الدينية والمصطلحات والمدوَّنات.

ومن الواضح أن المدرسة الإثني عشرية بعيدة كل البعد عن هذه اللوازم، فالنتاج الفكري والمعرفي والفقهي والبحث المقارن الفعّال

• التقية ليست حالة أصلية في الممارسة العملية، بل تمثّل حالة استثنائية طارئة

طوال التاريخ الإسلامي خير شاهد على هذه الحقيقة، كما أن المحاضرات والندوات والمؤتمرات الخاصة والعامة تملأ الآفاق، وأما الرمزية فليست هي لغة أئمة هذا المذهب وعلمائه وعامة الناس من أتباعه، كما لم تكن المعرفة الدينية بهذا المذهب محدودة يوماً بفئة خاصة من الناس.

وخلاصة القول أن اتهام المسلمين من أتباع مدرسة أئمة أهل بيت النبوة عليهم السلام بالباطنية هو اتهام بعيد كل البعد عن الحقيقة، ويُجانب البحث الموضوعي، ولا يمكن أن يكون القائل به منصفاً، وأما الإلتزام بالتقية فلا يعدو أن يكون تصرفاً عقلائياً استثنائياً في ظروف قاهرة، وموافقاً لأحكام الشريعة السمحة التي قدَّمت البدائل للمسلمين في حالات الاضطرار والحرج كما قال النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (رُفع عن أمّتي أربع خصال: خطأها ونسيانها وما أكرهوا عليه وما لم يطيقوا؛ وذلك قول الله عزّ وجل: [رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ]، وقوله: [إِلا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالأِيمَانِ])... فأين الباطنية من التقية؟!

• إن اتهام المسلمين من أتباع مدرسة أهل بيت النبوة بالباطنية هو اتهام بعيد كل البعد عن الحقيقة

ـ الصورة لمجموعة من علماء الدروز، ويطلق على كل منهم عنوان: عقل.

قُدُماً نحو ولاية الشيطان !!

٥ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ / ١٠ مايو ٢٠٠٨

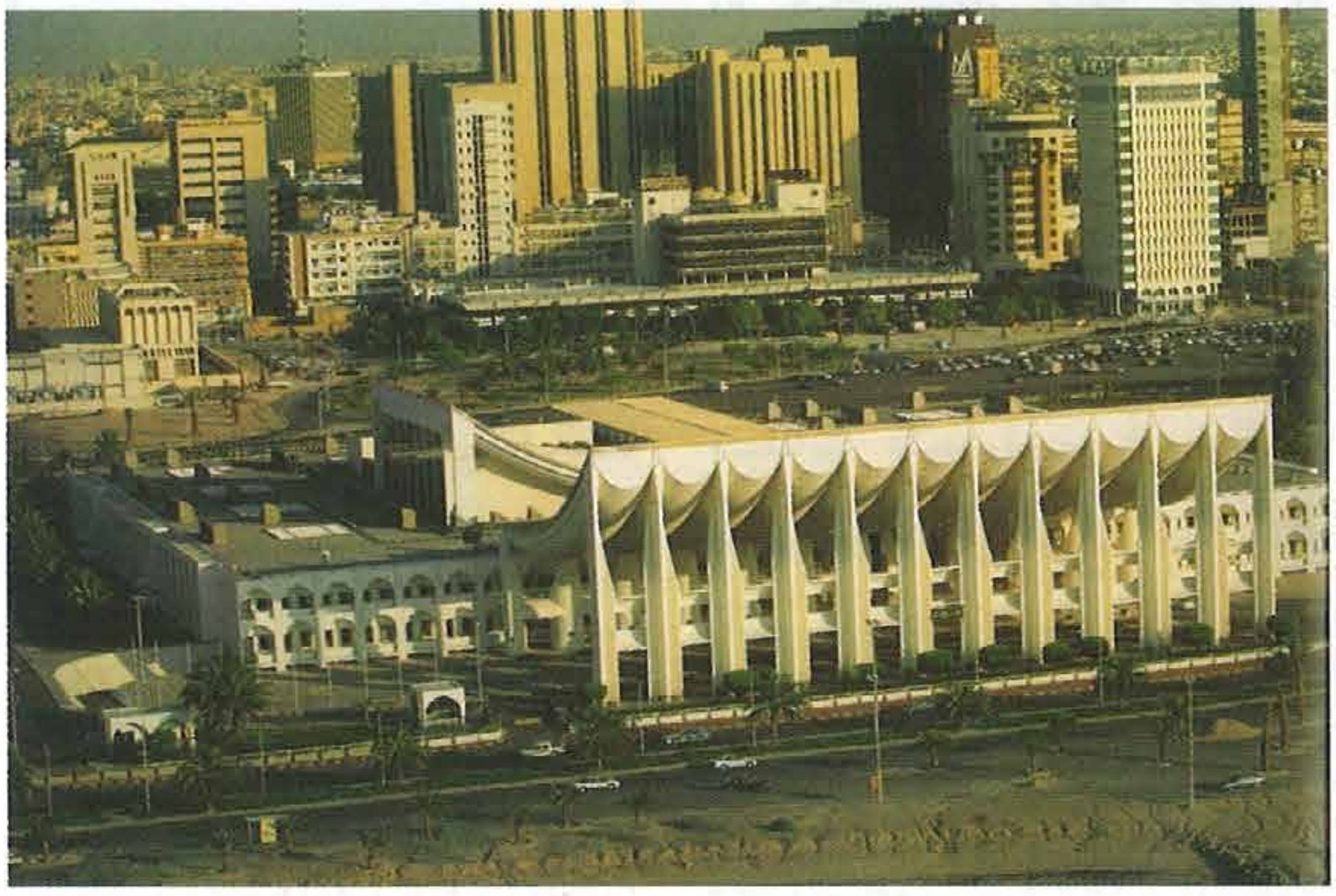

الطبيعة الإنسانية تجنح نحو عدم الاتزان في الانفعالات وردود الأفعال، وذلك في ما لو تعرّض الفرد للضغوطات والتحديات، وواجه مشكلات مادية أو نفسية، أو ابتُلي بمحنة أو فتنة، أو انتقل من حالة الحاجة الملحَّة إلى الغنى المفاجئ، أو من الهزيمة إلى النصر غير المتوقَّع، أو من الضعف إلى القوَّة والمنَعَة.. وهذا ما عبَّرت عنه الآيات التالية بكل وضوح: (إِنَّ الإِنسَانَ خُلِقَ هَلُوعاً، إِذَا مَسَّهُ الشَّرُّ جَزُوعاً، وَإِذَا مَسَّهُ الْخَيْرُ مَنُوعاً) (المعارج:١٩-٢١).

وصْف الحالة:

ولأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وصف رائع يفصِّل فيه تناقضات الشخصية الإنسانية وانفعالاتها المتباينة، قال: [لقد عُلِّق بنياط هذا الإنسان بضعة هي أعجب ما فيه، و ذلك القلب، له مواد من الحكمة و أضداد من خلافها، فإن سنح له الرجاء أزلّه الطمع، و إن هاج به الطمع أهلكه الحرص، و إن ملكه اليأس قتله الأسف، و إن عرض له الغضب اشتد به الغيظ، و إن أسعده الرضا نسي التحفظ، و إن عاله الخوف شغله الحذر، و إن اتسع له الأمن استلبته الغرة، و إن أصابته مصيبةٌ فضحه الجزع، و إن أفاد مالاً أطغاه الغنى، و إن عضته الفاقة شغله البلاء، و إن جهده الجوع قعد به الضعف، و إن أفرط به الشبع كظّته البطنة، فكلُّ تقصير به

• الطبيعة الإنسانية تجنح نحو عدم الاتزان في الانفعالات وردود الأفعال

• وصف الإمام علي الإنسانَ بأنه: إن سنح له الرجاء أزلّه الطمع، وإن هاج به الطمع أهلكه الحرص

مضر، و كل إفراط له مفسد].
(نياط: عِرق مرتبط بالقلب)
(كظّته البطنة: آلمه الشبع)
معالجة المشكلة:

لما كانت حالة عدم الاتزان في الشخصية أمراً غير مرغوب فيه وفق التربية الإيمانية، فقد قدّم القرآن الكريم منهجاً عبادياً وعملياً وفكرياً وأخلاقياً لمواجهة هذه الحالة، قال تعالى بعد وصف الحالة السابقة عند الإنسان: ﴿إِلاَّ الْمُصَلِّينَ، الَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ دَائِمُونَ، وَالَّذِينَ فِي أَمْوَالِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ، لِّلسَّائِلِ وَالْمَحْرُومِ، وَالَّذِينَ يُصَدِّقُونَ بِيَوْمِ الدِّينِ، وَالَّذِينَ هُم مِّنْ عَذَابِ رَبِّهِم مُّشْفِقُونَ، إِنَّ عَذَابَ رَبِّهِمْ غَيْرُ مَأْمُونٍ، وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ، إِلاَّ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ فَإِنَّهُمْ غَيْرُ مَلُومِينَ، فَمَنِ ابْتَغَى وَرَاء ذَلِكَ فَأُولَئِكَ هُمُ الْعَادُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ لأَمَانَاتِهِمْ وَعَهْدِهِمْ رَاعُونَ، وَالَّذِينَ هُم بِشَهَادَاتِهِمْ قَائِمُونَ، وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلاتِهِمْ يُحَافِظُونَ، أُوْلَئِكَ فِي جَنَّاتٍ مُّكْرَمُونَ﴾ (المعارج:٢٢-٣٥).

• المعدن الحقيقي للإنسان لا يظهر مع استدامة النعم والرخاء، وإنما في حالات الشدة والابتلاءات

متى يظهر المعدن الحقيقي؟

ولا يمكن الحكم على الفرد الملتزم بهذا المنهج من خلال تقييمه في حالة الرخاء المستدام والنعيم المتواصل ورتابة الحياة، فالمعدن الحقيقي للإنسان إنما يظهر في المحن والابتلاءات والتغيرات المفاجئة التي تُحدث هزة في الوجدان الإنساني، وحينها يمكن معرفة مدى تأثر هذا الفرد بما التزم به.

• فترة الانتخابات تمثّل اختباراً حقيقياً للشخصية ومدى الاتزان الانفعالي والتفاعلي مع الأحداث والمتغيرات

الانتخابات،الاختبار الحقيقي:

وفترة الانتخابات تمثّل اختباراً حقيقياً للشخصيـــة ، ومدى اتزانه الانفعالي والتفاعلي مع الأحـــداث والمتغيرات والتصادمـــات وحســـابات ونتائج الخســـارة والفوز.. وللأسف فإن كثيراً من المعايير والأخلاقيات الإيمانية تتعرض للتهميش والتغافل والتجاوز، وبمسوِّغات وتبريرات تأخذ الطـــابع الديني في أغلب الأحيان.

فإلى أي مدى يلتزم المرشحون (الإسلاميون) و(المتأسلمون) بما جاء في الحديث الشريف: [من روى على مؤمن رواية يريد بها شينه وهدم مروَّته أخرجه الله من ولايته إلى ولاية الشيطان، فلا يقبله]؟! وإلا بماذا نفســـر رسائـــل الهواتـــف النقالة والإيميلات والمنشورات التي تنتشـــر بين الناس لتُسقط هذه الشخصية أو تلـــك من المرشَّحـــين باتهامات وأقاويل وأحداث مغلوطة؟! ألا يُعدّ تمرير هذه (الروايات) إلى الآخـــرين

مساهمـــةً في نشـــــر الباطل والدخول في ولاية الشيطان؟! أم أن قلم الملائكة الكرام مرفوع في فترة الانتخابات، ويقال للناخبين والمرشحين ومن يحوم في فلكهم ويعايش أجواء الانتخابات: افعلوا ما شئتم، فقد غفر الله لكم؟!

• إلى أي مدى يلتزم المرشحون (الإسلاميون) و(المتأسلمون) بما جاء في الحديث الشريف بحرمة إسقاط شخصية الآخرين؟

ومن المؤسف أن يكون منبع هذه التصرفات الصبيانية ـ أحياناً ـ أناس يدّعون التديُّن والالتزام بأخلاق الإسلام!!

استروا عوراتكم:

وهذه دعوة للجميع لأن يتفكّروا في كلمات النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وتبعات مخالفته حيث قـــال: (يا معشـــــر من آمن بلسانه ولم يفِضْ الإيمان إلى قلبه، لا تؤذوا المسلمين ولا تتبعوا عوراتهم، فإنه من تتبع عورة أخيه المسلم تتبع الله عورته، ومن تتبع الله عورته يفضحه ولو في جوف بيته).

شرف الانتخابات:

من المفـــترض أن يتبنى المرشحون والناخبون والمفاتيح الانتخابية ـ ومن سواهم ـ ميثاقَ شرف يقتضي الالتزام بأخلاقيات المنافسة الشريفة التي تبتعد عن التجريح وهتك الحرمات والتجسس والنميمة والكذب وإثارة النعرات والبهتان والغيبة، وأن يكون معيار النجاح هو ما يقدِّمه المرشح من عطاء إيجابي يعود بالفائدة على الوطن والمواطنين.



لغة القرآن بين المجاز والرمزية الباطنية

١٢ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ / ١٧ مايو ٢٠٠٨

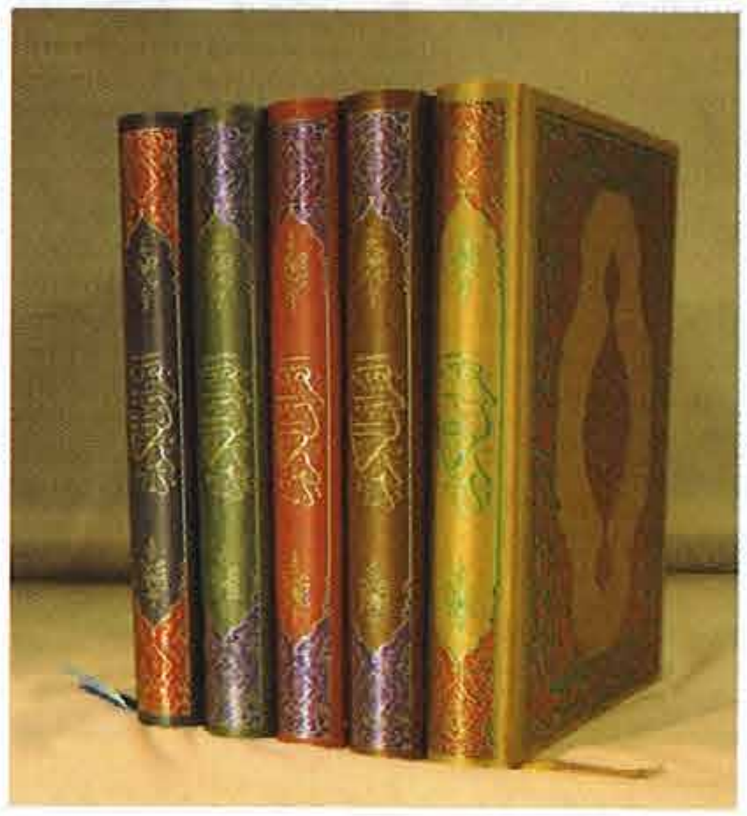

أكدت عدة آيات على عربية القرآن، كقوله تعالى: (قُرْآنًا عَرَبِيًّا غَيْرَ ذِي عِوَجٍ لَّعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) (الزمر:٢٨)، وقوله تعالى (إِنَّا أَنزَلْنَاهُ قُرْآنًا عَرَبِيًّا لَّعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ) (يوسف:٢). ولاتقتصر عربية القرآن على استخدام الكلمات العربية وأسس تركيب الجملة فيها، بل تتعدى ذلك إلى أساليب اللغة في البيان وإيصال الفكرة، لأن للغة العربية خصائص فنية لابد من مراعاتها ونحن نحاول فهم النص القرآني. فالقلب كلمة عربية، وعبارة (أنت في قلبي) مصاغة بالأسلوب العربي في تركيب الجملة، ولكن المتكلم لا يريد المعنى الحرفي للجملة، بل يريد معناها المجازي، فهو يريد أن يقول أن الطرف الآخر عزيزٌ عليه وأنه يحبه، وهذه من الخصائص الفنية في اللغة. وفي كلامنا كثيراً ما نستخدم هذا الأسلوب من الكلام، فنقول عند تلقّي الأمر (على راسي) و (من عيوني الثنتين) وهكذا، وكلا الطرفين يفهمان أن المقصود هو المعنى المجازي لا الحرفي.

المجاز في القرآن: والقرآن الكريم في صياغته للجمل لم يبتعد عن هذه الخصائص الفنية، بل استخدمها بشكل واسع، ومن ذلك قوله تعالى (فَآمِنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَالنُّورِ الَّذِي أَنزَلْنَا وَاللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) (التغابن:٨)، فالمُنزَل هو القرآن، إذ لا يُراد بالنور المعنى الحرفي، بل الهداية وهو من خصائص القرآن، وبالتالي يكون من باب المجاز.

المبالغة في القول بالمجاز: ومن جهة أخرى فقد بالغ بعض المفسرين في الانصراف عن المعنى الحقيقي للآيات الكريمة، وتعقيد المعنى المراد من النص القرآني، وإدخال لغة القرآن في دهاليز الرمزية والباطنية... فإن من أسس الاستخدام السليم للغة أن يكون المعنى المجازي قريباً من الفهم العرفي، وله علاقة باللفظ، وأما إذا كان فهمه يستدعي جهداً فوق العادة فإن ذلك سيكون قبيحاً، كما أنه سينقض الغرض المهم من إنزال القرآن وهو الهداية وبيان الحقائق مع إمكانية التفكر والتدبر والتعقّل.

المتشابه والرمزية: ولكن، ألم يتحدث القرآن عن وجود المتشابه في النص القرآني؟ فلماذا لا تكون تلك الرمزية والطريقة الباطنية نوعاً من أنواع المتشابه القرآني؟

والجواب على ذلك بسيط،

فالمتشابه هو الذي يحتمل أكثر من معنى، فنرجع في فهمه إلى المحكَم لنتعرّف على المراد منه ضمن الطريقة المتداولة في الكلام العربي والفهم العُرفي للغة، وأما الرمزية فتعني أن ما تعنيه الآية يمثّل سراً لا ينطبق عليه الأسلوب العرفي في استخدام اللغة وفهم المعنى.

والخبر التالي يضع النقاط على الحروف: سأل أحدهم الإمام جعفراً الصادق عليه السلام: (روي عنكم أن الخمر والميسر والأنصاب والأزلام رجال!! فقال عليه السلام: ما كان الله عز وجل ليخاطب خلقَه بما لا يعلمون).

بطون القرآن: أما الأخبار المروية بأن للقرآن بطناً أو أكثر فلنا معها وقفات ثلاث:

١ـ بعضها روايات باطلة ومن إفرازات بعض الحركات الدخيلة على منهج مدرسة أهل البيت عليهم السلام، وهو من فِعل الإسماعيليين والمتصوفة وآخرين.

٢ ـ لا يُراد من بطن الآية أن للآية معنيين أو أكثر، بحيث يريد المتكلم ـ وهو الباري سبحانه ـ كلا المعنيين في آن واحد، كأن أقول لولدي: (صلِّ)، وأنا أريد منه أن يصلي وأن يذهب إلى المدرسة معاً، فمن الواضح أن المراد لابد أن يكون أحدهما، إما الصلاة وإما شيئاً آخر.

• للغة العربية خصائص لابد من مراعاتها ونحن نحاول فهم النص القرآني

٣ ـ أما المراد من بطن القرآن فيوضحه الخبر التالي: فعن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (ظهره: الذين نزل فيهم القرآن، وبطنه: الذين عملوا بأعمالهم، يجري فيهم ما نزل في أولئك). وهذا يعني أن المراد من بطن الآية انطباقها على الأحداث المتجددة فيما لو تكررت الشروط أو تشابهت المواقف، لا بمعنى أن الآية نزلت في الأحداث المتجددة وقصدَتها بذاتها.

ومثال ذلك قوله تعالى (وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) القصص/٥، فهي نازلة في شأن الصراع بين موسى عليه السلام وبين فرعون، وهذا واضح من خلال قراءة الآيات السابقة واللاحقة، قال تعالى (نَتْلُوا عَلَيْكَ مِن نَّبَإِ مُوسَى وَفِرْعَوْنَ بِالْحَقِّ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ * إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعًا يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِّنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ * وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ * وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي الأَرْضِ وَنُرِي فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا يَحْذَرُونَ) (القصص:٣-٦).

وأما الأحاديث التي تقول بأن الآية تخص الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، فهي تعني انطباقها على المورد، لأنه سيكون صراعاً بين الحق والباطل، تماماً كالصراع بين موسى وفرعون، وستكون خاتمة المطاف أن يرث المهدي وأنصاره الأرض بإقامة دولة العدل بإذن الله تعالى.

دعاء القدَح

١٩ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ / ٢٤ مايو ٢٠٠٨

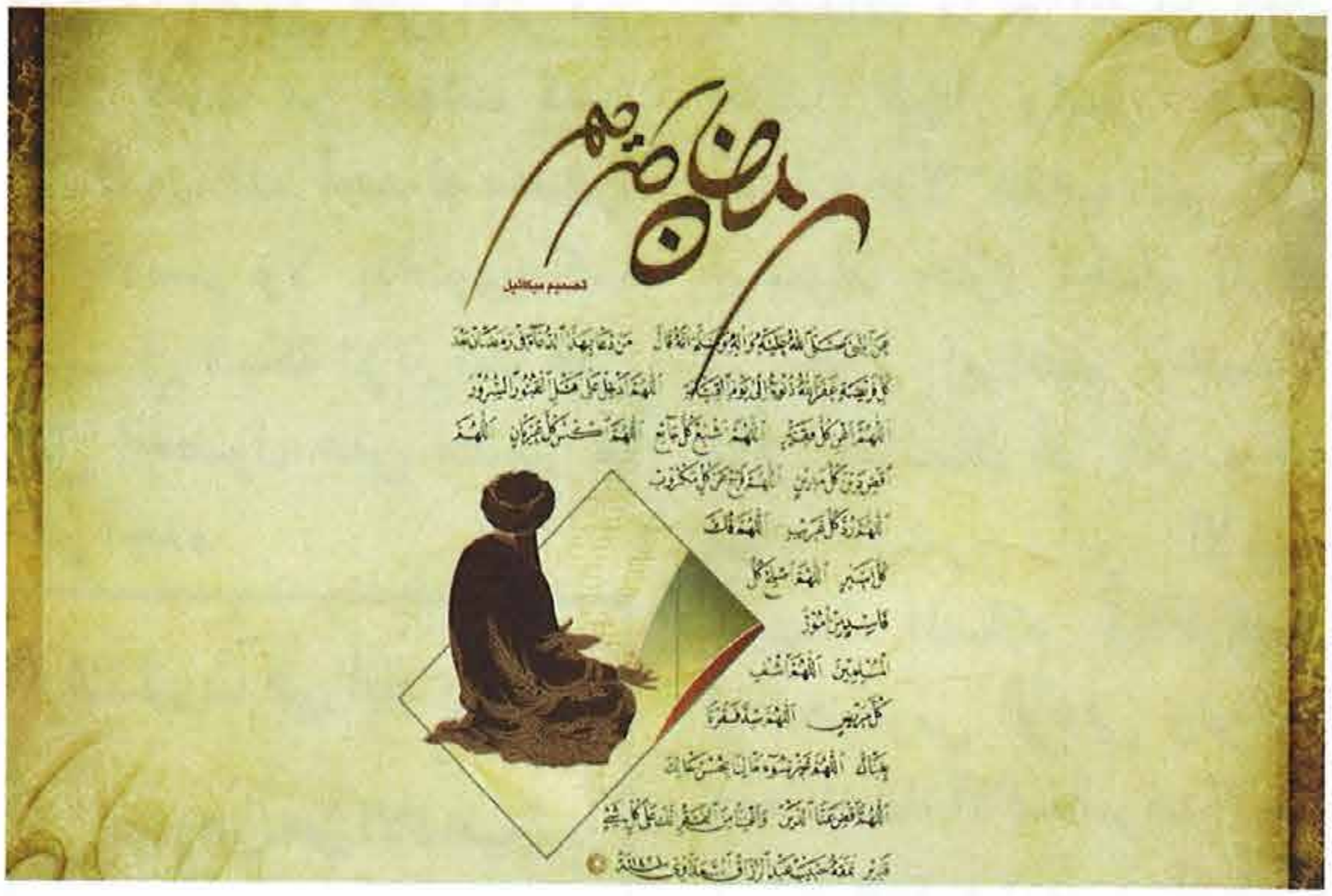

يكاد لا يخلو دين سماوي أو وضعي من عبادة الدعاء، لأن الدعاء نتاج الضعف البشري أمام القوى والتحديات الكبيرة التي لابد وأن يواجهها الإنسان بتنوعاتها، فيكون الحل الأمثل في اللجوء إلى القوة القاهرة التي لا غالب لها واستمداد النُّصرة والمعونة منها.

ولكن قيمـــة الدعاء في الإسلام أنه يمثل الإخلاص في التوجه إلى الله سبحانه وحده لا شريك له، لأنه وحده القادر على كل شئ، والعليم بكل شئ، والذي إذا أراد شيئا فإنما يقول له كن فيكون. وفي دعاء الإمام زين العابدين عليه السلام المروي عن أبي حمزة الثمالي رحمه الله ما يجسِّد هذه الحقيقة حيث قال: (والحمد لله والحمد لله الذي أناديه كلما شئت لحاجتي وأخلو به حيث شئت لسري بغير شفيع فيقضي لي حاجتي، و الحمد لله الذي ادعوه ولا أدعو غيره ولو دعوت غيره لم يستجب لي دعائي، والحمد لله الذي ارجوه ولا أرجو غيره ولو رجوت غيره لأخلف رجائي).

وقد انتشـــرت في أيدي الناس نصـــوص من الأدعية لا أساس لها معتبر، أخذوها مأخذ المسلَّمات، وقرءوها ضمن شعائر خاصة، أملاً في الحصول على الموعود لمن قرأها، وخوفاً من العقاب النازل بمن أنكر فضلها!!

ومن هذه النماذج دعاء جبرئيل عليه السلام، ودعاء القدح.. وقبل الحديث عنهما، لابد من التأكيد على أهمية التدقيق فيما نقرأه من نصوص الدعاء، لأن من الخطأ التسامح في قراءتها انطلاقاً من باب التسامح في أدلة السنن، فمن خلال الدعاء يتم بناء العقيدة والفكر والشخصية الإسلامية، وليس هو مجرد ممارسة فردية خاصة كمن يصلي ركعتين في بيته برجاء أنها مطلوبة من الله تعالى.

وضع النصوص احتساباً:

وليس وضع الحديث في فضائل السور أو في السنن

والأدعية بالشئ الجديد، فقد أكّد أهل الاختصاص على أن هذا كان ديدن بعض أهل الصلاح ممن كانوا يرون ابتعاد الناس عن الدينِ، فوضعوا الأحاديث ترغيباً للناس في العبادة!! جاء في كتاب (تدريب الراوى) للسيوطي و(ميزان الاعتدال) للحافظ الذهبي و(لسان الميزان) للحافظ ابن حجر العسقلاني، واللفظ للأول: [عن ابن مهدي قال: قلت لميسرة بن عبد ربه: من أين جئت بهذه الأحاديث: من قرأ كذا فله كذا؟ قال: وضعتُها أرغِّب الناس]. وفي تدريب الراوي عن حالِ ميسرةٍ هذا: [وكان غلاماً جليلاً يتزهد ويهجر شهوات الدنيا، وغُلِّقت أسواق بغداد لموته، ومع ذلك كان يضع الحديث... وكان أبو داودٍ النخعي أطول الناسٍ قياماً بليل وأكثرهم صياماً بنهار وكان يضع. وقال ابن عدي: كان وهب بن حفص من الصالحين، مكث عشرين سنة لا يكلم أحداً وكان يكذب كذباً فاحشاً].

الملاحظات على دعاء جبريل:

١ـ بحثت في البرنامج الفقهي المحمول على قرص مدمج (CD) المحتوي على أكثر من ٤٧٠٠ كتاب من أمهات كتبِ المسلمين، فلم أجد له مصدراً لا بالاسم ولا بالمحتوى، كما بحثت في شبكة الإنترنت على أمل الحصول على مصدرٍ ما فلم أجده.

• انتشرت في أيدي الناس نصوص من الأدعية لا أساس لها معتبر أخذوها مأخذ المسلَّمات

٢ـ جاء في فضل هذا الدعاء: (يا محمد ما من عبد من أمتك يدعو بهذا الدعاء إلا رزقه الله ثواب أربعة من الأنبياء وأربعة من الملائكة ومن الأنبياء إبراهيم وموسى وعيسى وثوابك يا محمد، ومن الملائكة ثوابي وميكائيل إسرافيل وعزرائيل)!! فهل يُعقَل ذلك؟

٣ـ (يا محمد من قرأ هذا خمسة عشر مرة كنت أنا وأنت وقوف على قبره فيخرج ومن بين يديه براق وسرجه من الياقوت أحمر فينادى أركب يا عبدالله ما جزاك إلا الجنة خالداً فيها وليس عليك حساب ولا عقاب ثم يقال لرضوان خازن الجنان أتركه في جوار إبراهيم ومحمد)!! وأنَّى للإنسان أن ينال درجة سيد البشر وأبي الأنبياء عليهما السلام ليشاركهما في الفردوس الأعلى ولو قرأ هذه الدعاء آلاف المرات؟!

٤ـ (يا محمد من سُرق له شيء أو هرب منه عبد فليتوضأ ويصلي أربع ركعات ويقرأ في كل ركعة فاتحة الكتاب والتوحيد ويدعو بهذا الدعاء ويضعه تحت وسادته وينام فإنه يرى سرقته ومملوكه) وما الضامن أن لا يقع تحت تسويل الشيطان أو تسويلات النفس فيتهم بريئاً أو يسئ الظن به؟!

٥ـ (قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: من آمن بي ولم يأمن بفضل هذا الدعاء ولم يعلمه المؤمنين يكون عقوبته يوم القيامة على الله عز وجل،

وقال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: ويل لمن لا يعرف قدره)!! وهذا من الأساليب التي يتبعها واضعو مثل هذه النصوص بهدف نشرها ولو دفعاً لشرّها!! وهو ما لا نجده في سائر نصوص الدعاء المعتبرة.

الملاحظات على دعاء القدح:

١ـ وجدت له أصلاً في كتاب مهج الدعوات للسيد ابن طاووس رحمه الله، قال هكذا: (و من ذلك دعاء آخر برواية أنس بن مالك عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم عن جبرئيل عليه السلام، و قد روى كثيراً من فضائله، أضربتُ عن ذكرها للاختصار، إذ القصد نفس الدعاء و هو دعاء القدح). فلم يذكر الفضائل ولا مصدر الدعاء.

٢ـ قال المرحوم الشيخ محمد مهدي شمس الدين حول ردِّه لبعض ما جاء في كتب السيد ابن طاووس من نصوص الزيارات: (لا لشكنا في وثاقة السيد ابن طاووس رحمه الله فهو فوق الشبهات وإنما لشكنا في دقة مصادره، ولعلمنا بتزايد التحريف والتصحيف في هذه الفترة المتأخرة مع عدم العناية بالتحقيق والتدقيق).

٣ـ جاء في فضائل هذا الدعاء ـ ولم يذكرها السيد ابن طاووس كما أشرنا مسبقاً ولا أعلم مصدرها ـ :

(قال جبرئيل عليه السلام: ومن أنكر فضله وثوابه يكون مشركاً)!! كيف يمكن لمسلم أن يغدو مشركاً لإنكاره فضل دعاء؟! أي دعاء!! بل لو افترضنا أن مسلماً شيعياً أنكر فضل الصحيفة السجادية بأكملها، فهل يتحوّل إلى مشرك بذلك؟!

• كان ديدن بعض أهل الصلاح ممن كانوا يرون ابتعاد الناس عن الدين، أن يضعوا الأحاديث ترغيباً للناس في العباد

٤ـ (ومن مشى وقرأه لا يتعب ولو كان ألف فرسخ)!! وهذا يفيد في المارثونات!!

٥ـ (ومن واظب عليه أو حمله معه يكون عند الله تعالى بمنزلة عظيمة ولو كان كثير الذنوب)!! وهذا من أخطر الادعاءات، لأنها تبني عقيدة وسلوك الفرد المسلم بصورة مشوهة، وتدفعه للتساهل في شأن المعاصي، فما أيسر أن يواظب على قراءة دعاء لا يتغرق منه نصف ساعة، لينال بذلك الرضوان الأكبر ولو كان كثير الذنوب!!

مسئوليتنا:

إن مسئولية انتشار هذه الأدعية وأمثالها بهذا المدى الواسع في مجتمعنا تقع على عاتقنا جميعاً، فعلى العلماء أن يظهروا علمهم بجرأة، وعلى أصحاب المكتبات أن يتقوا الله فيما يضعونه بأيدي الناس، وعلى الناس أن يتحلوا بالوعي والبصيرة وأن يراجعوا أهل الاختصاص ويستفتوا مراجع الدين، وبإمكانهم الاعتماد على ما وثق من نصوص الدعاء في الابتلاءات كدعاء الإمام الحسين عليه السلام في صبيحة يوم العاشر من المحرم، وأدعية الصحيفة السجادية.

أزمة الغذاء العالمية

٢٦ جمادى الأولى ١٤٢٩ هـ / ٣١ مايو ٢٠٠٨



٢٥ ألف شخص يموتون في كل يوم لأسباب ترتبط بالجوع، وتقول المديرة التنفيذية لبرنامج الغذاء العالمي التابع للأمم المتحدة: (الجوع و سوء التغذية يتفشيان، نظراً للازدياد الكبير في أسعاء الأغذية، والكثير من المستهلكين يشعرون بالضائقة... من بورندي إلى هاييتي إلى أفغانستان يأكلِ أفقر الفقراء كعكاً مصنوعا من الطين! وطحيناً أصبح لونه أزرق بسبب العفن! أو لا يأكلون في بعض الأحيان لأيام كثيرة). وبلغ عدد الذين يعانون نقصاً في التغذية ٩٥٠ مليون نسمة فقط! كما عمَّت التظاهرات ٢٢ بلداً بسبب الأزمة الغذائية التي يشهدها العالم اليوم، وسقطت حكومة هاييتي بفعلٍ ذلك (المعلومات السابقة نقلاً عن نيوزويك عدد ٢٠٠٨/٥/٢٧).

الموارد الطبيعية:

هل هناك مشكلة في الموارد الطبيعية في الدول الفقيرة؟ الرأسمالية تقول: نعم، فـ (المشكلة الاقتصادية الأساسية هي قلة الموارد الطبيعية نسبياً.. مع أن الحاجات الحياتية تنمو باطراد) الشهيد محمد باقر الصدر: اقتصادنا.

أما الذين يؤمنون بأن الله سخَّر كل شئ لهذا الإنسان إلى يوم القيامة فيقولون بقول الله سبحانه وتعالى (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضَ وَأَنزَلَ مِنَ السَّمَاء مَاء فَأَخْرَجَ بِهِ مِنَ الثَّمَرَاتِ رِزْقًا لَّكُمْ وَسَخَّرَ لَكُمُ الْفُلْكَ لِتَجْرِيَ فِي الْبَحْرِ بِأَمْرِهِ وَسَخَّرَ لَكُمُ الأَنْهَارَ * وَسَخَّر لَكُمُ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ دَائِبَيْنَ وَسَخَّرَ لَكُمُ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ * وَآتَاكُم مِّن كُلِّ مَا سَأَلْتُمُوهُ وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ اللّهِ لاَ تُحْصُوهَا إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) (إبراهيم:٣٢-٣٤).

أفريقيا نموذجاً:

أفريقيا تمثل نموذجاً لخطأ المقولة الرأسمالية، فالقارة الأفريقية تضم قرابة ١٢,٥٪ من مجموع سكان العالم، ولا يتعدى نصيبها من الناتج العالمي ١,٦٪... في الوقت الذي تنتج فيه: ٩٥٪ من الناتج العالمي للماس، ٣٣٪ من الكروم، ٣٣٪ من الكوبالت، ٥٠-٦٥٪ من الذهب، ٩٠٪ من البلاتينيوم، ٢٠-٢٥٪ من اليورانيوم، ٦٥٪ من الكاكاو... إلخ.

الطاقات البشرية:

هل المشكلة في الطاقات البشرية من حيث الكيف في الدول الفقيرة؟ أيضاً الجواب بالنفي، فالهند التي تمثل واحدة من أكبر الدول من حيث تركز الفقراء على مستوى العالم (نحو ٣٥٪ من إجمالي السكان)، تقدم كل عام آلاف المتخصصين في المجالات التكنولوجية المتطورة جداً، حيث يستقبل وادي السيليكون في الولايات المتحدة (مهد صناعة الحاسبات الآلية) ٨٠٪ من خريجي المعاهد التقنية الهندية سنوياً، وشغَل عدد من العلماء والاختصاصيين الهنود مراكز متقدمة جداً في أهم الشركات العالمية، كمدير عام مجموعة سيتي بانك المصرفية، ورئيس خطوط طيران (US Airways).. إلخ.

وقد شهد عام ٢٠٠٦ وحده عودة ٣٥ ألف هندي من الولايات المتحدة إلى المراكز التكنولوجية المتقدمة في الهند.

النظام الاقتصادي العالمي:

يبدو أن المشكلة تكمن في النظام الاقتصادي العالمي الحاكم اليوم تحت طائلة العناوين الثلاثة: الرأسمالية ـ الاقتصاد الحر ـ العولمة الاقتصادية، فاليابان مثلاً تنتج من الأرز ما يزيد على حاجتها، إلا أنها اضطرت لاستيراد ٧٧٠ ألف طن هذه السنة بأمر منظمة التجارة العالمية للمساهمة في رفع سعر الأرز عالمياً. أما المخزون الفائض من الإنتاج المحلي فيتم إطعامه للخنازير والدجاج!

• الأزمة الاقتصادية تعود في الأساس إلى ظلم الإنسان لأخيه على الصعيد الاقتصادي

يقول مايكل بولان ـ أستاذ حائز على منحة نايت في الصحافة ومؤلف كتاب دفاعا عن الغذاء ـ : (إن الأزمة العالمية بشأن ارتفاع الأغذية هي نتيجة مباشرة للقرار الذي اتخذته إدارة بوش عام ٢٠٠٦ بالبدء بتغذية السيارات الأمريكية بالذرة الأمريكية في شكل إيثانول. هذا القرار المشؤوم أدى إلى ارتفاع أسعار الذرة الي دفع بدوره المزارعين إلى زراعة المزيد من الذرة وكميات أقل من الصويا والقمح، مما أدى إلى ازدياد كبير في أسعار كل هذه الحبوب) نيوزويك عدد ٢٠٠٨/٥/٢٧.

الإنسان ظلوم كفار:

وقد لخصت الآية القرآنية أساس المشكلة تحت عنوان (إِنَّ الإِنسَانَ لَظَلُومٌ كَفَّارٌ) وهو ما فسَّره الشهيد الصدر في كتابه اقتصادنا بقوله: (ويتجسد ظلم الإنسان على الصعيد الاقتصادي في سوء التوزيع، ويتجسد كفرانه للنعمة في إهماله لاستثمار الطبيعة وموقفه السلبي منها).

أما إلى أين يتجه العالم؟ فهذا هو المجهول مادام الإنسان ظلوماً كفاراً، ويبدو أن الأزمة ستتفاقم بحدة خلال الأشهر القادمة ما لم يصحُ الضمير العالمي، لأن الإجراءات المقررة حالياً لا تعدو أن تكون كإبر المورفين، ويبقى رقم الـ ٩٥٠ مليون قابلا للزيادة باطّراد.

المرأة والتنمية الاجتماعية

٢ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ / ٧ يونيو ٢٠٠٨

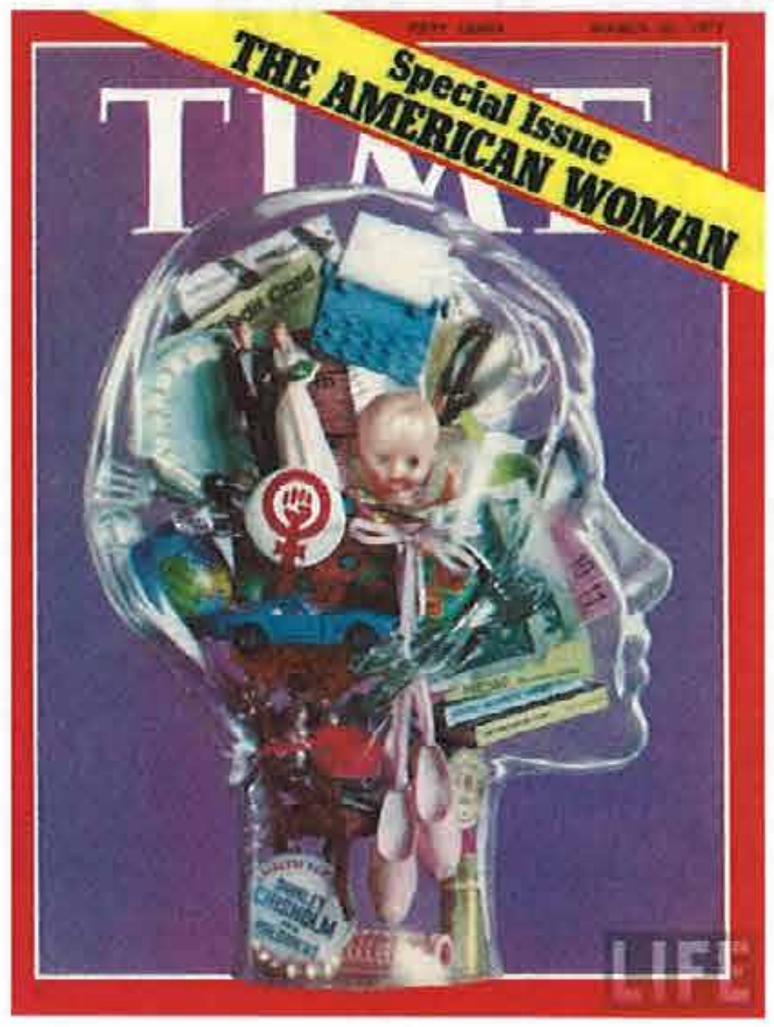

مثّلت سيدتنا فاطمة الزهراء عليها السلام النموذج الأمثل للمرأة المسلمة، المرأة في إنسانيتها وصيانة شخصيتها وحفظ كرامتها ودورها الفاعل علمياً وتربوياً وإيمانياً واجتماعياً، فقد حازت على كمال العقل وجمال الروح وصفاء القلب، فشعَّ نورُها الأزهر حكمةً وخلُقاً وعِلماً.

قال الدكتور علي حسن إبراهيم: (وحياة فاطمة هي صفحة فذة من صفحات التاريخ، نلمس فيها ألوان العظمة، فهي ليست كبلقيس أو كليوبترة استمدت كل منهما عظمتها من عرش كبير وثروة طائلة وجمال نادر... ولكنا أمام شخصية استطاعت أن تخرج إلى العالم وحولها هالة من الحكمة والجلال، حكمة ليس مرجعها الكتب والفلاسفة والعلماء، وإنما تجارب الدهر الملئ بالتقلبات والمفاجآت، وجلال ليس مستمدا من مُلك أو ثراء وإنما من صميم النفس).

المرأة على العهد النبوي:

ومن واقع حياة السيدة الزهـــــراء عليها السلام، والسيدة خديجة بنت خويلد رضي الله عنها، وغيرهما من بيت النبوة وخارجه، علاوة على مشاركة المرأة في بيعة العقبة الثانية وبيعات أخرى، وحضورها الفاعل في الحركة العلمية والثقافية والعسكرية والاجتماعية، فلن يكون من الإنصاف أن ننظر إلى دور المـــــرأة على العهد النبوي نظرة ساذجة وسطحية في مجال التنمية الاجتماعية (أي التحرك الاجتماعي الواعي المنظّم والمنسّق على مختلف الصّعُد، المادية والمعنوية، نحو الأفضل إنسانياً)، وأن نعتبر أن ما نُقل إلينا يعبِّر عن مواقف فردية طارئة، ولا يعكس وجود مشاركة حقيقية في التنمية الاجتماعية التي شهدها مجتمع المدينة المنورة.

المساواة في الإنسانية:

بل لابد أن نعي ـ كمسلمين ـ أنه لا يمكن تحقيق أية عملية تنموية اجتماعية متكاملة في ظل النظرة الدونية للمرأة بما لا يجعلها متساوية في الإنسانية مع الرجل، وفي ظل اعتبار

• حياة فاطمة الزهراء هي صفحة فذة من صفحات التاريخ، نلمس فيها ألوان العظمة

دورها التنموي دوراً هامشياً يسد بعض الفراغات هنا وهناك، كما لا يمكن تفعيل دور المرأة الاجتماعي ما دام البعض يتمسك بالنص الديني الموجَّه لصالح الرجل لا لصالح المجموع الاجتماعي.

مشاركة حقيقية:

فالتنمية الاجتماعية عملية إنسانية لا يحدّها الجنس (ذكر/ أنثى)، والمرأة ـ في التصور الإسلامي ـ عنصر أساس في هذه المسيرة، وبدونها ستبقى العملية بتراء غير فاعلة، وإذا كان العالم قد أدرك متأخراً هذه الحقيقة، فإن الإسلام قد سبقه بقرون مديدة حينما جعل المرأة عِدل الرجل في الولاية الاجتماعية (وَالْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْض) (التوبة: من الآية٧١)، ومَنحها كل ما يحقق لها مشاركتها في القرارات السياسية والاقتصادية والاجتماعية، إلا أن المجتمعات الإسلامية تنازلت عن هذه الركيزة المهمة، وغلَّبت العادات والأعراف، وقرأت النصوص الإسلامية قراءة

• لا يمكن تحقيق أية عملية تنموية اجتماعية متكاملة في ظل النظرة الدونية للمرأة

ناقصة أدّت إلى تعطيل الدور الحقيقي لشريكة الرجل، فكان ذلك عاملاً مهماً في التأخر الذي تشهده مجتمعاتنا على صعيد التنمية الاجتماعية المستدامة.

إذا أدركنا ما سبق سنصل إلى نتيجة حتمية وهي: أنه لابد أن تكون المرأة ـ في الإسلام ـ محوراً مهماً في التنمية وركنها الركين، ولن تستطيع أية عملية تنموية أن تتحق صدقاً إلا إذا أعطتها مكانتها الإنسانية الطبيعية.

ومتى ما تأصّل الثبات في شخصية المرأة، والاطمئنان في قلبها، والأمل بالمستقبل في وجودها، فإنها ستمنح كل المسيرة الاجتماعية طاقة كبرى، وتهيئ لها كل مقومات المسيرة الصالحة المستدامة.

ـ الصورة الأولى لغلاف مجلة التايم الأمريكية الصادرة عام ١٩٧٢ ومخصصة لقضايا المرأة الأمريكية.

ـ اللوحة الثانية للفنان روبرت ويلسون بعنوان:

Young Hijab



• إذا تأصّل الثبات في شخصية المرأة، والاطمئنان في قلبها، فإنها ستمنح المسيرة طاقة كبرى

تدوين السُّـنَّة عند الشيعة

٩ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ / ١٤ يونيو ٢٠٠٨



يمثل أهل بيت النبوة عليهم السلام أعدال القرآن الكريم وقرناؤه، فقد عرّفهم النبي صلى الله عليه وآله وسلم بأنهم أحد الثقلين الذين تركهما بين الأمة، ففي حديث متواتر: (إني تارك فيكم الثقلين: كتاب الله وعترتي، ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا) صحيح مسلم، صحيح الترمذي، مسند الإمام أحمد.

ولذا كان أهل البيت هم حملة علم النبي وحفظة سنته، ومرجعية الناس في أمور الدين، لاسيما الإمام علي عليه السلام، حيث التفّت حوله جموع من الناس ينهلون من علمه الذي أخذه مباشرة عن رسول الله وكتبه بيمينه وحفظه بقلبه وعمل به بجوارحه.

قال السيوطي في كتابه (تدريب الراوي): [كان بين السلف من الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، فكرهها كثير منهم، وأباحها طائفة وفعلوها، منهم: علي وابنه الحسن].

صحابة دوّنوا السُّـنّة:

قام لفيف من الصحابة والتابعين بتدوين السنة، منهم:

١ـ أبورافع، صحابي له كتاب (السنن والأحكام والقضايا).

٢ـ سلمان الفارسي، صحابي روى له البخاري ومسلم ٦٠ حديثاً.

٣ـ أبوذر الغفاري، صحابي. وقد نصّ العـــلامة ابن شهراشـــوب على تدوينهما السنة.

تابعون دوّنوا السنّة:

من التابعين الذين تربوا على يد الإمام علي عليه السلام ورووا عنه:

١ـ الأصبغ بن نباتة المجاشعي، روى عن الإمام عهده إلى مالك الأشتر النخعي، وكذلك وصية الإمام لابنه محمد المعروف بابن الحنفية.

٢ـ ربيعة بن سميع، له كتاب في زكاة النعم ويرويه عن الإمام علي عليه السلام.

٣ـ سليم بن قيس الهلالي، له كتاب باسمه.

٤ـ علي بن أبي رافع، حفظ كثيراً من الأحـــاديث وجمع

• كان أهل البيت هم حملة علم النبي وحفظة سنته، ومرجعية الناس في أمور الدين

كتاباً في أبواب متعددة من الفقه كالوضوء والصلاة.

٥ـ زيد بنِ وهب الجهني، له كتاب خُطب أمير المؤمنين عليه السلام علىَ المنابر والجُمَع والأعياد وغيرها.

أصحاب زين العابدين:

بعد ارتحال الإمام علي عليه السلام عن هذه الدنيا الفانية توجهت أنظار أصحابه إلى ابنه الحسن المجتبى ثم أخيه الحسين الشهيد، إلا أن الظروف السياسية لم تسعفهما للقيام بالدور العلمي الذي نهض به أبوهما علي، حتى سنحت الفرصة للإمام الرابع علي بن الحسين عليه السلام والملقب بزين العابدين، فربى جيلاً من الفقهاء والرواة، وترك عن طريقهم آثاراً من العلم والمعارف. ومن بين من روى عنه سنة النبي وضمّنها في كتب ومدوَّنات:

١ـ جابر بن يزيد الجعفي

٢ـ زياد بن المنذر

٣ـ أبو مخنف لوط بن يحيى بن سعيد، له كتب كثيرة

٤ـ جارود بن المنذر، له عدة كتب

• قال السيوطي: كان بين الصحابة والتابعين اختلاف كثير في كتابة العلم، وأباحها طائفة وفعلوها، منهم: علي وابنه الحسن

مدرسة الباقر والصادق:

ثم جاء دور الإمامين محمد بن علي الباقر، وابنه جعفر الصادق، واستفادا من الظروف السانحة فنشرا من سنة النبي ما استطاعا، فروى عن الباقر معالم الدين عدد ممن بقي من الصحابة ووجوه التابعين وفقهاء المسلمين، وأما الصادق فروى عنه جماعة من أعيان الأمة، منهم: يحيى بن سعيد، وابن جريج، ومالك بن أنس، وسفيان الثوري، وابن عيينة، وأبوحنيفة، وشعبة، وأبوأيوب السجستاني، وغيرهم، وقد قام هؤلاء وغيرهم بتدوين ما سمعوه من الإمامين في كتب خاصة أو ضمن مؤلفاتهم.

• قال الحسن الوشاء: أدركت في مسجد الكوفة ٩٠٠ شيخ، كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد

قال الحسن بن علي الوشاء: أدركت في مسجد الكوفة تسعمائة شيخ كلٌّ يقول: حدثني جعفر بن محمد.

وأما سلسلة سند الإمام جعفر الصادق فيما يرويه من سنن النبي فقد بيّنه بقوله: (حديثي حديث أبي، وحديث أبي حديث جدي، وحديث جدي حديث علي بن أبي طالب، وحديث علي حديث رسول الله، وحديث رسول الله قول الله عزوجل).

ثم تعاقب أئمة أهل البيت بعد الصادق، فغدوا قمماً شامخة في سماء الحديث، وعنهم أخذ المهتمون أحاديث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم فدوّنوها في جوامعهم الحديثية الواحد تلو الآخر.

الفتـــوّة

١٦ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ / ٢١ يونيو ٢٠٠٨

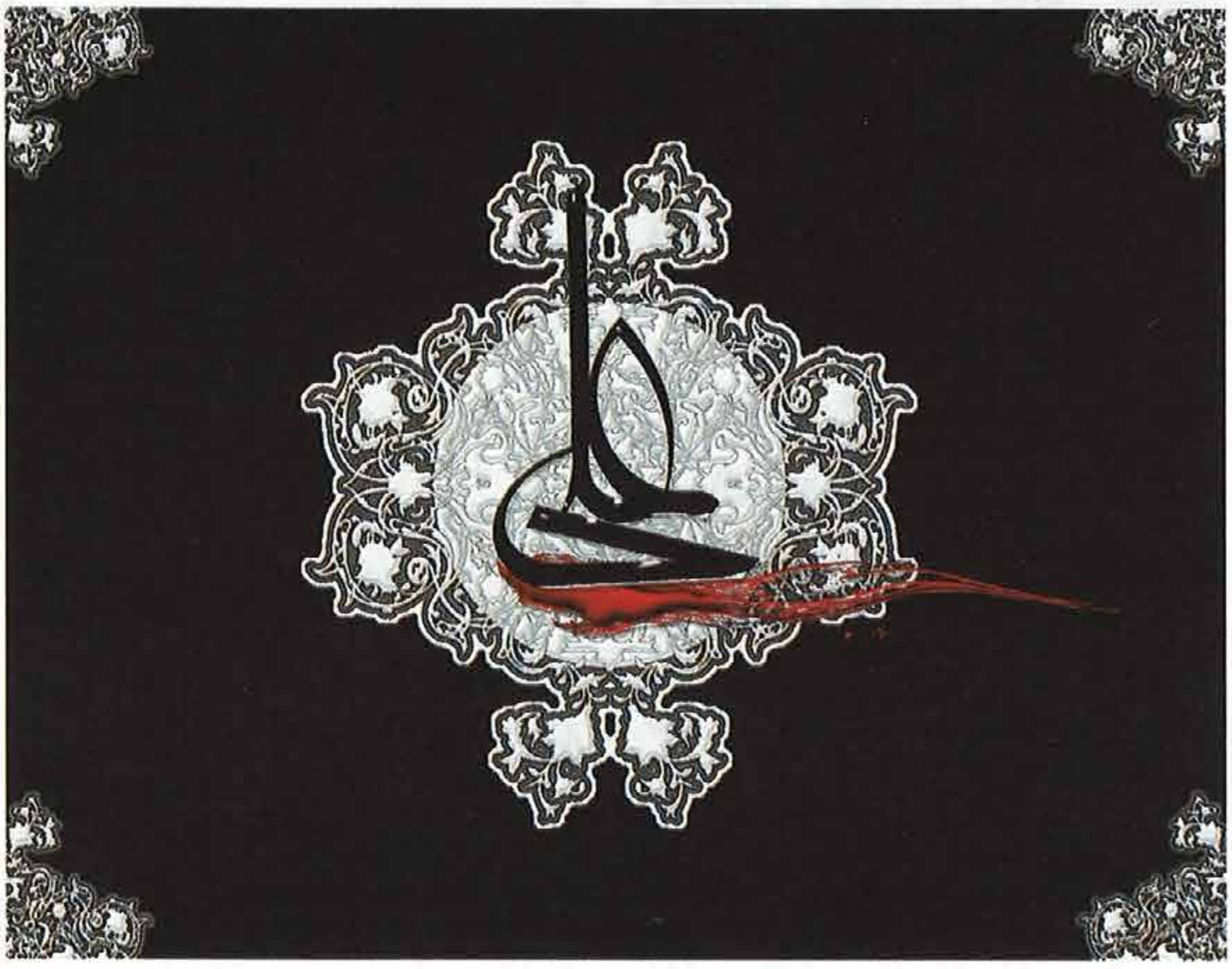

على الرغم من أن مصطلح الفتوة من المصطلحات التي تحمل دلالة راقية في المجتمعات البشرية عبر التاريخ، حتى قال الإمام علي عليه السلام: (ما تزيّن الإنسان بزينة أجمل من الفتوة)، إلا أنك لا تكاد تجد اتفاقاً على الدلالة الكاملة لهذا المصطلح، بل تجد تبايناً في التعريفات التي ذكرها أصحاب الاختصاص، ولعل أبرز سمات الفتوة لمن يتتبع تلك التعريفات والنماذج المقدمة في التصاوير التاريخية هي: الشجاعة ـ الشهامة ـ القوة الجسمانية ـ الكرم.

الفتوة في القرآن:

اعتبر بعض المفسرين أن استخدام مصطلح الفتوة في حق النبي إبراهيم عليه السلام (وَتَاللَّهِ لأَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُم بَعْدَ أَن تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ * فَجَعَلَهُمْ جُذَاذًا إِلاَّ كَبِيرًا لَّهُمْ لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ يَرْجِعُونَ * قَالُوا مَن فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ * قَالُوا سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ) (الأنبياء:٥٧-٦٠)، وأهل الكهف (إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى) (الكهف:١٣)، إنما يأتي من منطلق السمات الشخصية لا من حيث السن، وهو ما يؤكده الخبر المروي عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (أما علمتَ أن أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً، فسماهم الله فتية بإيمانهم؟).

تعديل مفهوم الفتوة:

وإذا كان صورة الفتوة في القصص والروايات والنصوص التاريخية امتزجت بالخمرة والفسوق، فقد سعى الإسلام لإعطاء بُعد قيمي للفتوة يكون أساسه الإيمان

• اختلف أصحاب الاختصاص في تعريف الفتوة، إلا أن من أبرز سماتها: الشهامة والكرم

بالتوحيد، ويتقوّم بالتقوى وبمكارم الأخلاق ومعالي الأمور، وقد قرن الله سبحانه فتوة إبراهيم الخليل عليه السلام بالتوحيد وكسر الأصنام والشجاعة في ذلك، كما ربط فتوة أصحاب الكهف بإيمانهم وهدايتهم، وهذه الصورة انعكست أيضاً في قول الإمام جعفر الصادق عليه السلام: الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (من آمن بالله واتقى فهو الفتى)، وقوله: (أتظنون أن الفتوة بالفسق والفجور؟ كلا، إنما الفتوة والمروَّة طعام موضوع، ونائل مبذول، واصطناع المعروف، وأذى مكفوف. فأما تلك فشطارة وفسق).

ومن طريف ما روي في هذا المجال ما ذكره ابن أبي الحديد المعتزلي: (سأل شقيق البلخي جعفر بن محمد الصادق عليه السلام عن الفتوة فقال: ما تقول أنت؟ قال: إن أُعطينا شكرنا وإن مُنعنا صبرنا. قال: إن الكلاب عندنا بالمدينة هذا شأنها، ولكن قُل: إن أعطينا آثرنا وإن مُنعنا شكرنا).

• قال الإمام الصادق:

أما علمتَ أن أصحاب الكهف كانوا كلهم كهولاً، فسماهم الله فتية بإيمانهم؟

مبدأ الفتوة:

قال ابن المعمار البغدادي الحنبلي: (فأما مبدأ الفتوة ومنشؤها فإبراهيم الخليل، خليل الله الرحمن، وهو أبو الفتيان.. ولم تزل الفتوة عنه تتصل بالأنبياء والصدّيقين، حتى وصلت إلى نبينا عليه السلام، وهو أفتى الفتيان، ومنه عليه السلام فتوة علي

• قال ابن المعمار الحنبلي:

لم تزل الفتوة تتصل بالأنبياء حتى وصلت إلى نبينا عليه السلام وهو أفتى الفتيان، ومنه فتوة علي

رضي الله عنه، ومن فضيلة فتوَّته التي هتف بها الهاتف، وجاد بنفسه على فراش النبي صلى الله عليه وسلم). ويقصد بالهاتف ما سمعه الناس يوم أحد من نداء: (لا فتى إلا علي).

على خطى علي:

وقال ابن أبي الحديد: (ما أقول في رجل أحب كل أحد أن يتكثَّر به، و ودَّ كل أحد يتجمل ويتحسن بالانتساب إليه، حتى الفتوة.. فإن أربابها نسبوا أنفسهم إليه، وصنفوا في ذلك كتباً، وجعلوا لذلك إسناداً أنهوه إليه وقصَروه عليه، وسمّوه سيد الفتيان، وعضدوا مذاهبهم بالبيت المشهور المروي أنه سُمع من السماء يوم أحد: لا سيف إلا ذو الفقار ولا فتى إلا علي... قالوا إنما هتف الملَك يوم أحد بقوله: لا سيف إلا ذو الفقار، ولا فتى إلا علي، لأنه كسر الأصنام، فسُمِّي بما سُمِّي به أبوه إبراهيم الخليل حين كسرها وجعلها جذاذاً).

سيد الفتيان:

وأنشد ابن داغر الحلي

قوله:
حيّـا الإلهُ كتيبةً مرتادُها..
يُطوى له سهلُ الفَلاووهادُها..
قصدتُ أميرَ المؤمنين بقبةٍ..
يُبنى على هام السِّماكِ
عمادُها..
وفدْتُ على خيرِ الأنام
بحضرةٍ..
عند الإلهِ مكرَّم وفادُها..
فيها الفتى وابن الفتى وأخو
الفتى..
أهل الفتوة ربُّها مقتادُها..
فله الفخارُ قديمُه وحديثُه..
والفاضلاتُ طريفُها وتِلادُها..
مولى البرية بعدَ فقْـدِ نبيِّها..
وإمامُها وهُمامُها وجوادُها..
وإذا القُرومُ تصادمَت في
معركٍ..
والخيلُ قد نسجَ القتامُ
طرادُها..
..... إلى أن قال:
فترى هناك أخا النبيِّ محمدٍ..
وعليه من جَهدِ البلاء
جِلادُها..
متردياً عند اللِّـقا بحسامِه..
متصدياً لكُماتِها يصطادُها..
عضَـدَ النبيَّ الهاشميَّ بسيفِه..
حتى تقطَّع في الوغا
أعضادُها.

• قال ابن المعمار الحنبلي:
لم تزل الفتوة تتصل
بالأنبياء حتى وصلت
إلى نبينا عليه السلام
وهو أفتى الفتيان،
ومنه فتوة علي

قدوة الشباب:
وهكذا فإن من أراد من الشباب أن يتمثل الفتوة في شخصية يجعلها قدوة له، فعليه بالإمام علي عليه السلام، فهو مظهر الفتوة الكاملة، في إيمانه وتقواه وكرمه وشجاعته وشهامته وإيثاره ومعالي أخلاقه ودفاعه عن الحق، وكم من شاب أضاع طريق الفتوة وهو يقصدها، حين بنى قوته العضلية لجذب انتباه الفتيات أو للاستقواء على الآخرين، أو سعى لتحسين مظهره الخارجي ليكون محط مديح الناس ومثار إعجابهم، فالفتوة في العقل وفي الروح وفي الأخلاق كما أنها في البدن.

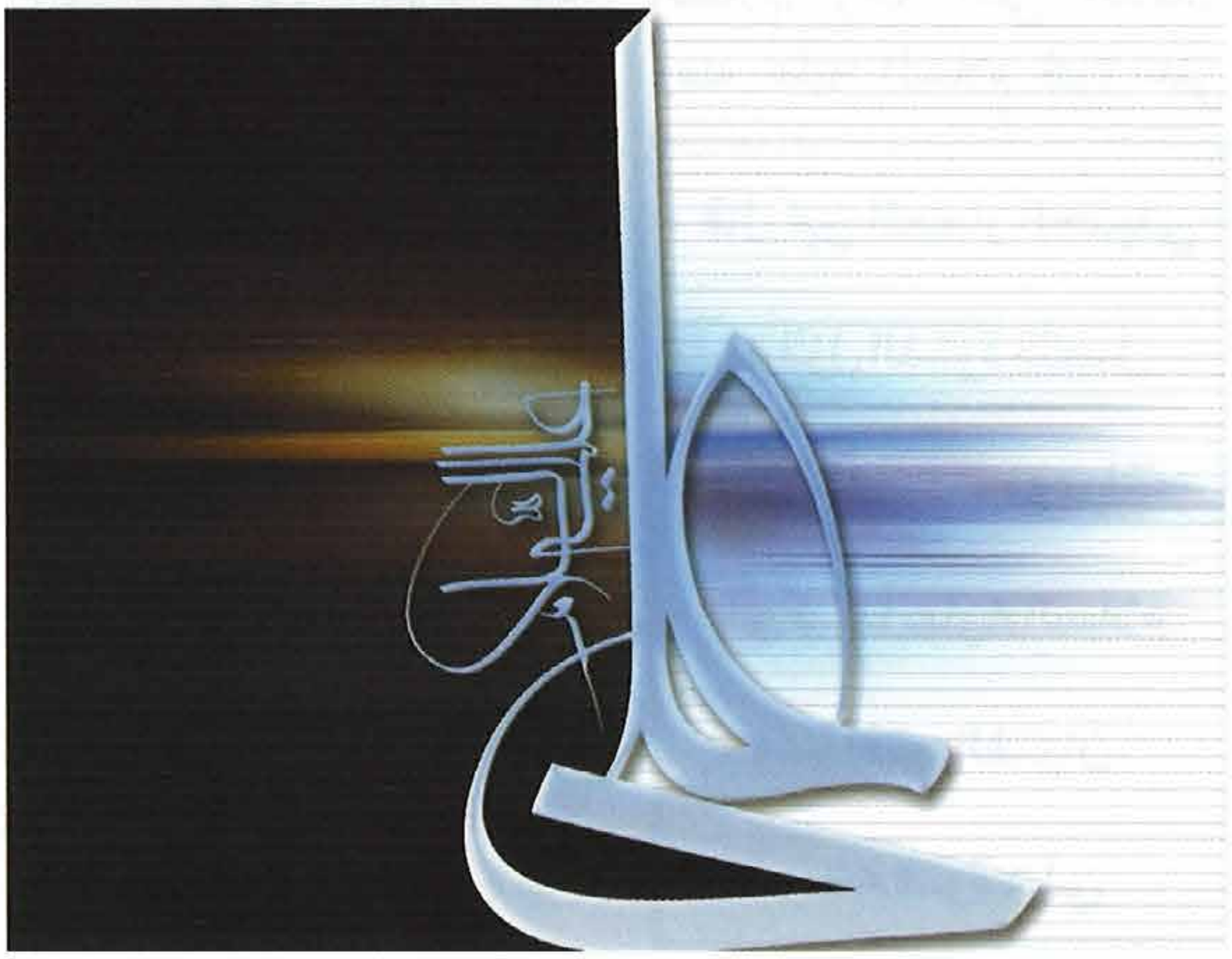

حقيقة الخرافة

٢٣ جمادى الآخرة ١٤٢٩ هـ / ٢٨ يونيو ٢٠٠٨

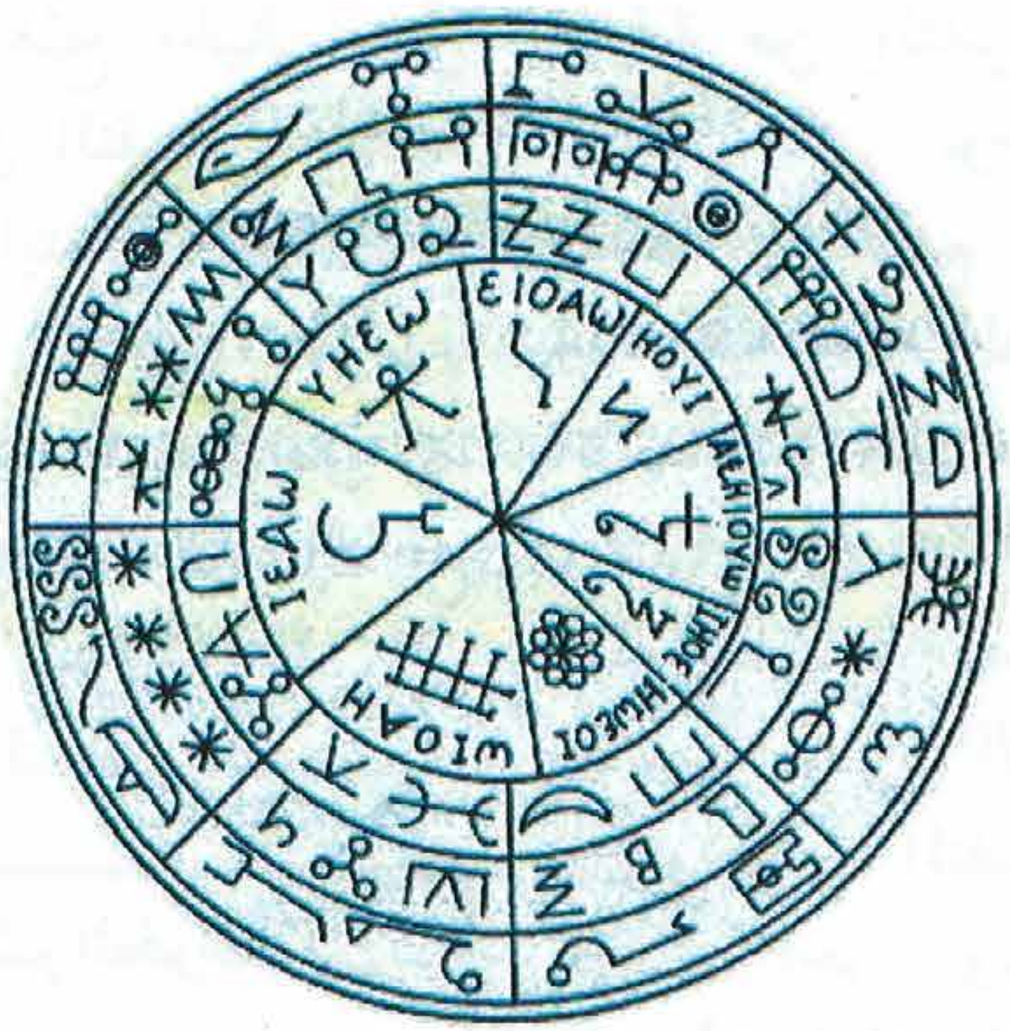

FIGURE II. GNOSTIC MAGICAL TALISMAN[35]

ـ مَن التقى فتاة عفيفة صباح خروجه من منزله، كان ذلك نذيراً له بيوم مشؤوم، ومن التقى فتاة (فاسدة) كان ذلك فألاً له.

ـ إذا كره القنّاص أو الصيّاد أن يعود خائباً، فلا ينبغي له أن يكتفي بمنع صدقته عن شحّاد يصادفه في طريقه إلى موقع القنص أو الصيد ـ فحسب ـ بل يجب أن يشتمه بصوت منخفض!!

ـ إذا أراد الإنسان ألاّ يخضع لسلطة الساحرات، فعليه أن يبصق على قطع الأظافر بعد تقليمها!!

ـ من أراد أن يطرد سوء الطالع فليمسك الخشب، شرط أن يكون مستديراً غير مطلي!!

(معجم الخرافات لبيار كانافاجيو)..

بمثل هذه الخرافات عانت المجتمعات البشرية طوال التاريخ ـ حتى في عصر التقدم التكنولوجي ـ من تسلط الجهل والأوهام والمخاوف غير المبرَّرة، وأحاط الإنسان نفسه بمجموعة من القيودِ والأغلال التي زادته رهقاً، وأعاقت حركته، ودفعته نحو أفعال عبثية. فكان من مسؤولية الأنبياء عليهم السلام أن يزيحوا عن ستار الحقيقة، ويحطموا الأوهام، ويفكّوا قيود الجهل والخرافة، قال الله سبحانه وتعالى في وصف النبي محمد صلى الله عليه وآله وسلم: (يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ) (الأعراف:١٥٧).

الخرافة في الميزان:

وقد عقد العلامة السيد محمد حسين الطباطبائي رحمه الله تعالى في تفسيره الميزان بحثاً حول منشأ الخرافة نلخّصه بالترتيب التالي:

١ـ الآراء والعقائد المتعلقة

بما ينبغي فعله وما لا ينبغي تتحقق من خلال اتباع ما يوصل إلى الخير الذي فيه سعادة الإنسان أو النافع فيها، واجتناب ما ينتهي إلى شقائه أو يضره في سعادته، وأما الاعتقاد بما لا يعلم كونه خيراً أو شراً فهو اعتقاد خرافي.

٢ـ فطرة الإنسان تبعثه نحو الكمال الحقيقي، ولذا فمن المفترض أن لا يخضع إلى الرأى الخرافي المأخوذ جهلا.

٣ـ ولكن الأحاسيس التي يثيرها الخيال ـ وأهمها الخوف والرجاء ـ ربما أوجبت له القول بالخرافة، لثبات الصورة الخيالية في ذهنه للشئ المخوف أو المرجوّ وعودتها كلما تجدد الموقف.

٤ـ مثال ذلك: إذا بات الإنسان وحده في وادٍ مقفر، والليل داج مظلم، فترى أن خياله يصوِّر له كل صورة غيرٍ واضحة تترائى له: غولاً مهيباً يقصده بالإهلاك أو روحاً من الأرواحٍ، وربما صوّر له حركة وذهاباً وإياباً وصعوداً في السماء ونزولاً إلى الأرض، ثم لا يزال الخيال يتكرر، ولربما نقله لغيره فأوجد فيه حالاً نظير حاله، ولا يزال ينتشر، وهو موضوع خرافي لا ينتهي إلى حقيقة.

٥ـ وربما هيَّج الخيال حسَّ الدفاع عن النفس وحفظها، فيلجأ إلى ابتداع أعمالٍ لدفع شر هذا الموجود الموهوم، ويحث غيره على العمل بها للأمن من شره، فيتحوّل مع الزمن إلى سُنَّة خرافية.

العلماء والتحدّي الصعب:

• تنتشر الخرافة في مجتمعنا، وكالنار في الهشيم، لغياب الأرضية المعرفية السليمة في قضايا ما وراء الطبيعة

أضاف العلامة رحمه الله: (ولم يزل الإنسان منذ أقدم أعصار حياته مبتلى بآراء خرافية حتى اليوم، وليس كما يُظَن من أنها من خصائص الشرقيين، فهي موجودة بين الغربيين ـ مثلهم ـ لو لم يكونوا أحرص عليها منهم.

ولا يزال الخواص من الانسان ـ وهم العلماء ـ يحتالون في إمحاء رسوم هذه الخرافات المتمكنة في نفوس العامة من الناس بلطائف حيلهم التي توجب تنبّه العامة وتيقّظهم في أمرها، وقد أعيا الداء الطبيب، فإن الإنسان لا يخلو من التقليد والاتباع في الآراء النظرية والمعلومات الحقيقية من جانب، ومن الإحساسات والعواطف النفسانية من جانب آخر، وناهيك في ذلك أن العلاج لم ينجح إلى اليوم).

أقول: وما أكثر ما تنتشر الخرافة في مجتمعنا ـ وكالنار في الهشيم ـ لغياب الأرضية المعرفية السليمة في قضايا ما وراء الطبيعة، لا سيما معارف القرآن الكريم، والاستسلام للمتكسّبين من وراء الحلول الوهمية التي يقدّمونها تحت عناوين مختلفة وبلباس الدين في أحيان كثيرة.

الوسواس

٢ رجب ١٤٢٩ هـ / ٥ يوليو ٢٠٠٨

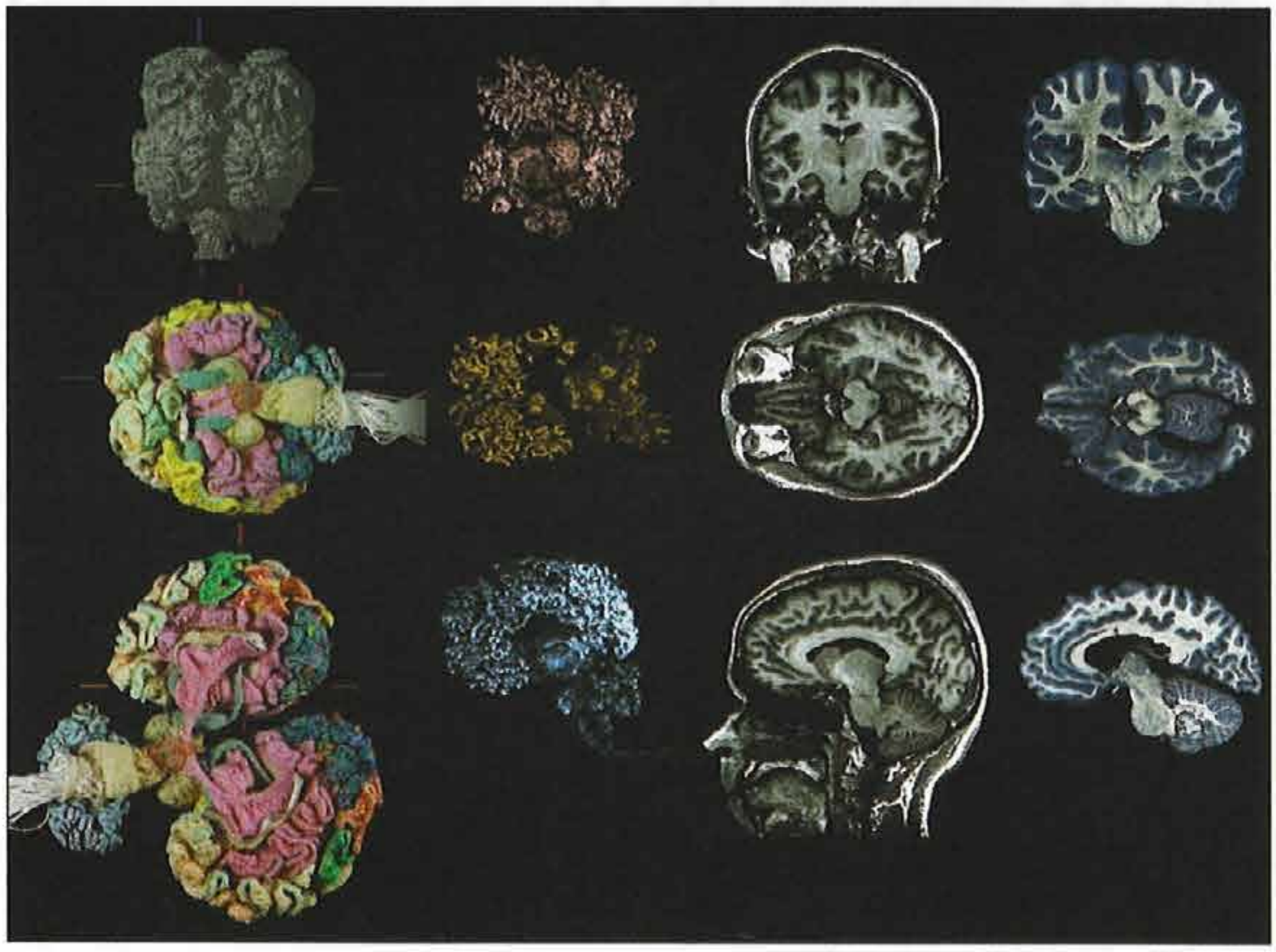

(بوجاسم) رجل شارف الخمسين من عمره، نحيل تعلو بشرته صُفرة تحكي معاناته، عندما تستمع إليه تجد حالة التردد والقلق وعدم الرضا تنبع من كلماته، مشكلته الكبرى أنه شخص وسواسي في الطهارة وفي الوضوء وفي الصلاة.. زوجته تحكي معاناتها ومعاناة أبنائها معه، وكيف فقد الكثير من وزنه وأهمل أسرته وفشل ابنه دراسياً واجتماعياً، والنتيجة أنه حوّل حياتهم إلى جحيم... وبوجاسم واحد من كثيرين يعانون ذات المشكلة، فما حقيقة الوسواس، وكيف عالجت النصوص الدينية هذه المشكلة؟ وهل يقع التعارض بين العلم والدين في هذا الأمر؟

الوسوسة في القرآن:

عندما تحدث القرآن الكريم عن الوسوسة، لم يتعرّض للوسواس الذي يصيب الناسٍ وفق المفهوم الدارج علمياً وعرفاً، ولذا قال الراغب الأصفهاني في كتابه المفردات: الوسوسة: الخطرة (الفكرة) الرديئة، وأصله من الوسواس وهو صوت الحلي والهمس الخفي.

ويمكن أن نقسّم الآيات التي تحدثت عن الوسوسة إلى:

١ـ الحديث الخفي لشيطان الجن: (فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِن سَوْآتِهِمَا) (الأعراف:٢٠)

٢ـ حديث شيطان الإنس في التحريض على الباطل: (من شر الوسواس الخناس، الذي يوسوس في صدور الناس، من الجنة والناس) (الناس:٤-٦).

٣ـ الأفكار الذاتية أو حديث النفس: (وَلَقَدْ خَلَقْنَا الإِنسَانَ وَنَعْلَمُ مَا تُوَسْوِسُ بِهِ نَفْسُهُ) (ق:١٦).

• كيف عالجت النصوص الدينية مرض الوسواس؟ وهل يقع التعارض بينها وبين الوسائل العلمية؟

وكل هذه الآيات القرآنية لا علاقة لها بالموضوع، وسبب هذا الخطأ يعود إلى استخدام مادة (وسوس)، والحقيقة أن المشكلة التي نبحث حولها ترتبط بحالة مرضية نفسية أو عقلية أو نفسية/عقلية. كما أن البعض يخلط بين كثرة الشك وبين الوسواس، وهذا خطأ آخر، فكثرة الشك قد تكون لعدم التركيز الذهني، أو للهزات العاطفية الحاصلة لدى الفرد، أو نتيجة أفكار تتوالى بفعل حديث النفس أو الإلقاءات الشيطانية، دون أن تصل إلى حد مرضي، فهي حالات مؤقتة وذات تأثير بسيط. نعم قد تتطور نتيجة عوامل وراثية أو بيئية أو نفسية لتتحول إلى مرض الوسواس القهري، ولكل منهما معالجة مختلفة من عدة نواحي، ولذا قال المرجع الراحل السيد أبوالقاسم الخوئي في بيان حكم كثير الشك: (ولكنه يختص بغير الوسواسي ، وأما الوسواسي - وهو من لا يكون لشكه منشأ عقلائي بحيث لا يلتفت العقلاء إلى مثله - فلا يعتني بشكه مطلقاً).

• البعض يخلط بين كثرة الشك وبين الوسواس، ولكلٍّ أسبابه وطرق علاجه

كثرة الشك:

تكرر الفكرة أو العمل نتيجة الرغبة في الدقة أو الالتزام الديني وغير ذلك، دون أن يصل الأمر إلى الحد المرضي، وهذا ما عالجته غالبية النصوص الدينية، ومنها:

مثال ١ـ عن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم لرجل أخبره عن نفاقه: والله ما نافقت ولو نافقت ما أتيتني، تعلمني ما الذي رابك، أظن العدو الحاضر أتاك فقال لك: من خلقك؟ فقلت: الله خلقني، فقال لك: من خلق الله؟ قال: إي والذي بعثك بالحق لكان كذا. فقال: إن الشيطان أتاكم من قِبل الأعمال فلم يقو عليكم، فأتاكم من هذا الوجه لكي يستزلكم، فإذا كان كذلك فليذكر أحدكم الله وحده. (معالجة معرفية + ذكر الله لترسيخ العقيدة).

مثال ٢ - عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام - وقد سئل عن الوسوسة وإن كثرت - : لا شئ فيها، تقول: لا إله إلا الله. (معالجة معرفية + تهوين الأمر كي لا يتطور + الذكر).

مثال ٣ - عن الإمام علي عليه السلام: صوم ثلاثة أيام من كل شهر، أربعاء بين خميسين، وصوم شعبان، يذهب بوسواس الصدر، وبلابل القلب. (معالجة عملية عبادية).

مثال ٩ - عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام - لما سئل عن كثرة شك الرجل في عدد الركعات: لا تعوِّدوا الخبيث من أنفسكم بنقض الصلاة

• قد تتطور كثرة الشك نتيجة عوامل وراثية أو بيئية أو نفسية لتتحول إلى مرض الوسواس القهري

• لا يكفي أن يكرر الوسواسي ذكراً معيناً، بل قد يستفحل مرضه ويأخذ منحى آخر

فتُطمعوه، فإن الشيطان خبيث يعتاد لما عُوِّد، فليمض أحدكم في الوهم، ولا يكثرنّ نقض الصلاة، فإنه إذا فعل ذلك مرات لم يعد إليه الشك... إنما يريد الخبيث أن يُطاع، فإذا عُصي لم يعد إلى أحدكم. (معالجة عملية).

الوسواس القهري:

كل النصوص السابقة لا تعالج الحالة المرضية المستفحلة، وفي مثل هذه الحالة:

١ـ لا يكفي أن يكرر المريض ذكراً معيناً، بل قد يستفحل المرض عنده ويأخذ منحى آخر.

٢ـ لا يكفي أن نعلّمه الحكم الشرعي، لأن لديه عوامل ضاغطة (الفكرة ـ المزاج ـ السلوك).

٣ ـ لايكفي أن نوحي له أن ذلك من الإيمان، بل قد يجده مبرِّراً لما يفعل.

والمعالجة الصحيحة تكمن في تشخيص الحالة بعرض الحالة على الطبيب النفسي المختص، ومعرفة هل المرض نفسي أم عقلي أم نفسي/عقلي، لأن نقصاً في المادة العاملة على توصيل المعلومات في الدماغ، أو ضعفاً في نقاط التوصيل، أو خللاً نفسياً حاداً كالاكتئاب أو القلق قد تكون هي السبب وراء ذلك، ولذا تتم المعالجة وفق التشخيص السليم عن طريق بعض الأدوية لتعديل التركيب الكيميائي في الدماغ، أو بواسطة الجلسات العلاجية النفسية.

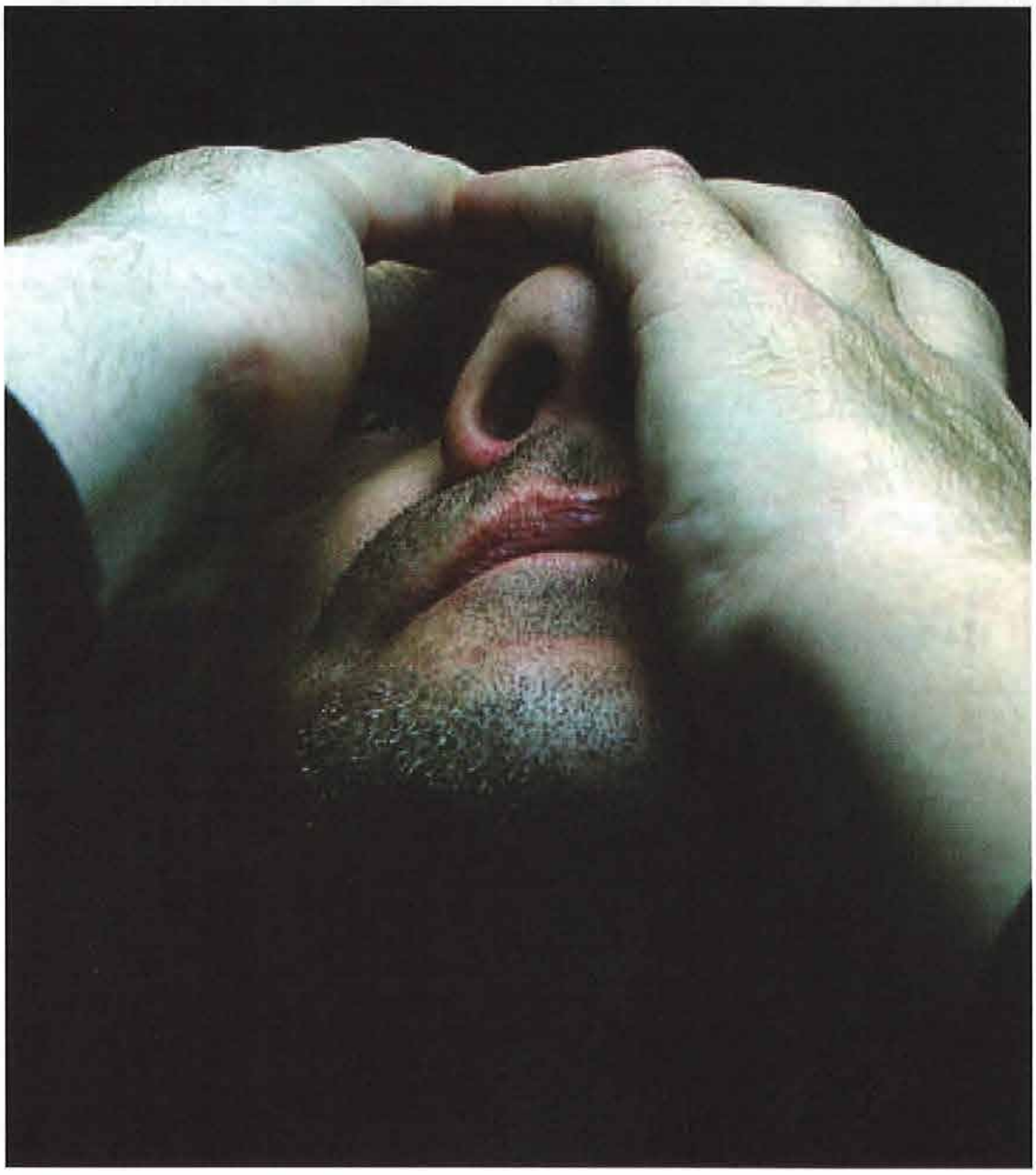

المفكر المسيري في ذمة اللّه

٩ رجب ١٤٢٩ هـ / ١٢ يوليو ٢٠٠٨



غيّب الموت فجر الخميس ٢٠٠٨/٧/٤ الباحث والمفكر المصري الدكتور عبد الوهاب المسيري، مؤلف موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية - إحدى أهم الأعمال الموسوعية العربية في القرن العشرين - عن عمر ناهز السبعين عاماً.

بدأت معرفتي بمؤلفات الدكتور المسيري من خلال كتابه (فقه التحيز أو إشكالية التحيز)، وأعجبني طرحه الجرئ ومعالجته الجديدة لبعض القضايا الحياتية، فبدأت أبحث عن مؤلفات أخرى، فوجدت أن السمة العامة لهذا المفكر هي التحرر من الطرح الاجتراري لما يتداول في الساحة الفكرية، ومحاولة الغوص في أعماق الحياة بفلسفتها ومتغيراتها، والجدِّية في نقد الأوضاع اعتماداً على أسس واقعية، ودراسة الحقائق القائمة على الأرض، لا في طيات الكتب ومن خلال سرقة أفكار الآخرين.

• للمفكر الراحل عبدالوهاب المسيري قلم جرئ ومعالجات جديدة للقضايا الحياتية

نبذة عن حياة الفقيد:

ولد عبد الوهاب المسيري في مدينة دمنهور في مصر عام ١٩٣٨، وحصل على إجازة في الأدب الإنكليزي من جامعة الإسكندرية عام ١٩٥٩ ودرجة الماجستير في الأدب الإنجليزي والمقارن من جامعة كولمبيا الأمريكية عام ١٩٦٤ وشهادة الدكتوراه في الأدب الإنكليزي والأمريكي والمقارن من جامعة رتجرز الأمريكية عام ١٩٦٩، وعمل في كأستاذ ومحاضر في عدد من الجامعات الأمريكية والعربية، كما ترأس مؤسسات ومراكز دراسات عديدة، لاسيما في مجال الدراسات الصهيونية، ويعتبر الراحل المسيري أحد أبرز المؤرخين العالميين المتخصصين في الحركة الصهيونية.

ومما كان يميز المفكر الراحل أنه اختبر أبرز الأرضيات الفكرية قبل أن ينتقل إلى أرضية الإسلام، ويعتبرها الأساس في انطلاقته الفكرية ومعالجته لقضايا الإنسان. والمسيري، في هذا الصدد، يرفض أن يصنف كمتخصص في الدراسات الصهيونية، لأن

• مما يميز المسيري أنه اختبر أبرز الأرضيات الفكرية قبل أن ينتقل إلى أرضية الإسلام

المشكلة في العالم العربي، كما يصرح بذلك، أن التصنيف لا يتم حسب المنهج والاتجاه الفكري، وإنما حسب الموضوع الذي يكتب فيه.

الحداثة الغربية في فكر المسيري:

يعجبني في هذا المقام أن أنقل للقارئ نموذجاً من فكر الدكتور المسيري، لأفتح المجال للمهتمين بالتوجه إلى ما كتبه المفكر الراحل في دراساته، أملاً في أن يجد القارئ العربي ما يملأ عقله بما هو جد لا هزل، وبما يمثل العمق لا القشر، قال: [التحدي الأكبر الآن يأتي من الحداثة الغربية الداروينية، وإنَّ فَهم كُنه هذه الحداثة مسألة أساسية في التعرف على أولوياتنا، فهذه الحداثة لها جاذبية شديدة، مثل الخطاب الفلسفي المادي، وهو خطاب مريح لأنه يتوجه للمسائل مباشرة: الحواس الخمس، الرغبات الجسدية.. والإنسان يتميز بهذا الجانب، وكما أقول مازحاً: إن الفلسفة المادية تتعامل مع الإنسان من خلال قانون الجاذبية، ومن السهل على الإنسان أن يسقط في الوحل على أن يصعد إلى النجوم أو حتى يتطلع إليها.. والفلسفة المادية تبسِّط الأمور فكرياً وإجرائياً، وبالتالي لها جاذبية خاصة؛ تماما مثل الوثنيات القديمة، حيث نجد أن لها عبادات سهلة، لأنك تجد إلهك أمامك تعبده، وتطلب منه طلبات مباشرة، وإن لم يعجبك أكَلْتَه.. والحداثة الغربية ورثت هذا ومن هنا جاذبيتها الكبرى.

لكن الحداثة لها ثمن إنساني مرتفع؛ وقد نجحت منظومة الحداثة الغربية في تقديم نفسها وإخفاء الثمن؛ حيث تقدم أفلام هوليود، والأفلام الإباحية.. وبلا شك الإباحية تمتع الإنسان على مستوى من المستويات، لكنها في المقابل تفتت الأسرة والمجتمع، وفي النهاية يبدأ الجميع في إعادة حساباته، وبالتالي أرى أنه من أولى الأولويات أن نفتح الملف المتعلق بثمن التقدم؛ وهو ملف لم يُفتح إلى حد الآن، نعم فُتح بشكل عشوائي، ولكن لا بد من مراكمة ثمن التقدم، ثمن تفكك الأسرة، ثمن التلوث البيئي، ثمن التلوث الأخلاقي، ثمن تسارع إيقاع الحياة سواء في ارتفاع الضغط أو تزايد السرطان أو اللجوء إلى الحبوب المهدئة.

ولا بد أن يكون الثمنِ الكيفي والكمّي واضحا، وأن نعمل على تحويل الثمن

• من أقواله: التحدي الأكبر الآن يأتي من الحداثة الغربية الداروينية، وفَهم كُنه هذه الحداثة مسألة أساسية في التعرف على أولوياتنا

الكيفي إلى ثمن كمّي أيضاً، وهي مسألة ليست صعبة.. فتفكك الأسرة مثلاً، يؤدي إلى عدم استقرار الأطفال، ويبدأ التخريب في المدارس، ثم تتزايد تكلفة التعليم وهكذا.. بمعنى آخر بإمكاننا تحويل الكيف إلى كم، ليس بدقة، وإنما الأساس أن نقدم

• من أقواله: الحداثة الغربية مرتبطة تمام الارتباط بالإمبريالية؛ فالغربي ما كان ليحقق ما حققه من تقدم لولا النهب الاستعماري الذي استمر زهاء أربعة قرون

فاتورة التقدم للناس فيدركوا بسرعة ثمن الحداثة.

من جانب آخر، ينبغي أن يعرف الناس أن الحداثة الغربية مرتبطة تمام الارتباط بالإمبريالية؛ فالإنسان الغربي ما كان بمقدوره أن يحقق ما حققه من تقدم لولا النهب الاستعماري الذي استمر زهاء أربعة قرون، ومن ناحية أخرى، لا بد أن نبين للناس ـ أيضاً ـ أن المنظومة الحداثية مرتبطة بالاستهلاكية والتوجه نحو اللذة.. وقد تمكن الإنسان الغربي أن يحقق معدلات عالية من الاستهلاك واللذة، ومرة أخرى عن طريق النهب الاستعماري.

مؤلفاته:

للراحلِ المسيري ٦٠ كتاباً مطبوعاً منها ٢٣ كتاباً عن الصهيونية والصراع العربي الإسرائيلي هي: نهاية التاريخ: مقدمة لدراسة بنية الفكر الصهيوني ـ موسوعة المفاهيم والمصطلحات الصهيونية ـ موسوعة اليهود واليهودية والصهيونية: نموذج تفسيري جديد (ثمانية مجلدات) ـ الفردوس الأرضي: دراسات وانطباعات عن الحضارة الأمريكية ـ قضية المرأة بين التحرر والتمركز حول الأنثى ـ كما نشر عشرة كتب للأطفال، وترجمت كتبه إلى اللغات الفارسية والبرتغالية والتركية والفرنسية.



الإمام علي في شعر أبي تمام

١٦ رجب ١٤٢٩ هـ / ١٩ يوليو ٢٠٠٨



حبيب بن أوس بن الطائي (١٨٨ هـ ـ ٢٣١ هـ)، شاعر وأديب، يُعد أحد أمراء البيان. ولد في (جاسم) من قرى حوران بسوريا، ورحل إلى مصر، ثم إلى بغداد، وكان موصوفاً بالظّرف وحسن الأخلاق وكرم النفس. في حداثته كان يسقي الماء في المسجد الجامع، ثم جالسِ الأدباء فأخذ عنهم، وكان فطناً فهماً يحب الشعر، فلم يزل يعانيه حتى قال الشعر وأجاد، وبلغ المعتصم العباسي خبره فحمله إليه وهو بسامراء، و قدَّمه على شعراء وقته. قال الحسين بن إسحاق: قلت للبحتري: الناس يزعمون أنك أشعر من أبي تمام. فقال: والله ما ينفعني هذا القول ولا يضر أبا تمام، والله ما أكلت الخبز إلا به، ولوددت إن الأمر كما قالوا، ولكني والله تابع له لائذ به آخذ منه، نسيمي يركد عند هوائه، وأرضي تنخفض عند سمائه.

قال له ابن الزيات: يا أبا تمام، إنك لتحلّي شِعرك من جواهر لفظك ودرر معانيك ما زيد حسناً على بهيِّ الجواهر في أجياد الكواعب، وما يدخر لك شيء من جزيل المكافأة إلا ويقصر عن شعرك في الموازرة.

ولأبي تمام مما أفرغه في قالب التأليف ديوان الحماسة الذي سار به الركبان و استفادت به الأجيال بعده، جمع فيه عيون الشعر ووجوهه من كلام العرب، جمعه بدار أبي الوفاء ابن سلمة بهمدان عندما اضطرته الثلوج إلى الالتجاء إلى هذه المدينة أثناء أوبته من زيارة عبد الله بن طاهر، ورتبه على عشرة أبواب خص كل باب بفن و قد اعتنى بشرحه جمع كثير من أعلام الأدب.

ولاء أبي تمام لآل البيت:

عُرف أبوتمام بولائه وتشيعه لآل البيت عليهم السلام، وله في مدحهم قصائد عدة،

وخصّ علياً عليه السلام بأبيات رائعة، أولها:

أظبية حيث استنت الكثب العـفر..
رويدك لا يغـــتالك اللـــوم والزَّجرُ..
أسري حذاراً لم يقيدك ردة .. فيحسر ماء من محاسنـــك الهذرُ..
أراك خلال الأمر والنهـــي بوة..
عداك الردى ما أنت والنهـــي والأمرُ؟!
إلى أن قال في علي علـــيه السلام:
أخوه إذا عُد الفِخار وصهرُه.. فلا مثلُه أخٌ ولا مثلُه صِهرُ..
وشدّ به أزرَ النبيِّ محمدٍ..
كما شدَّ موسى بهارونِـــه الأزرُ..
وما زال صبّاراً دياجير غمرةٍ.. يمزّقها عن وجهه الفتـــحُ والنصرُ..
هو السيفُ سيفُ الله في كـــل مشهدٍ..
وسيفُ الرســـول لا دَدان ولا دثَرُ..
فأيُّ يدٍ للذمّ لم يبرَ زندُها..
ووجهُ ضـــلالٍ ليس فيه له أثَـرُ..
ثوىً ولأهلِ الدين أمنٌ بحدّه..
وللواصمـــين الدِّين في حدّه ذُعرُ..
يُسدّ به الثغـــرُ المخوفُ من الرَّدى..
ويُعتـاصُ من أرضِ العدوِّ به الثَّغرُ..
بأُحدٍ وبدرٍ حين ماجَ برجلِه..
وفرسانه أحد وماج بهم بدرُ..
ويوم حنين والنضير وخيبر..
وبالخندق الثاوي بعقوتِه عمرو..
سمـــا للمنايا الحُمـــــرِ حتى تكشفَّت..
وأسيافُه حمرٌ وأرماحُه حمرُ..
مشـــاهد كان الله كاشـــفَ كَرْبها..
وفارجه والأمر ملتبس إمرُ..
ويوم الغدير استوضح الحق أهله..
بضحياء لا فيها حجاب ولا سِترُ..
أقام رسول الله يدعوهم بها..
ليقربهم عرف وينآهم نكرُ..
يمدُّ بضَبعيْه ويعلم: أنه..
وليٌّ ومولاكـــم فهـــل لكم خبرُ..
يروح ويغدو بالبيان لمعشر..
يروح بهم غمرٌ ويغدو بهم غمرُ..
فكان لهم جهرٌ بإثبات حقه..
وكـــان لهم في بزِّهـــم حقِّه جهرُ..
أثم جعلتم حظَّه حد مرهف..
من البِيضِ يوماً حظ صاحبه القبرُ..
بكفِّي شقيٍّ وجَّهته ذنوبـُه..
إلى مرتـــعٍ يرعى به الغيُّ والوزرُ.

• بلغ الخليفة المعتصم خبره فحمله إليه وهو بسامراء، وقدَّمه على شعراء وقته

• عُرف أبوتمام بولائه وتشيعه لآل البيت، وله في مدحهم قصائد عدة

توضيح: الددان: الكليل، والدثر: الرجل النؤوم الكسول.

الحكمة الجعفرية

٢٤ رجب ١٤٢٩ هـ / ٢٧ يوليو ٢٠٠٨

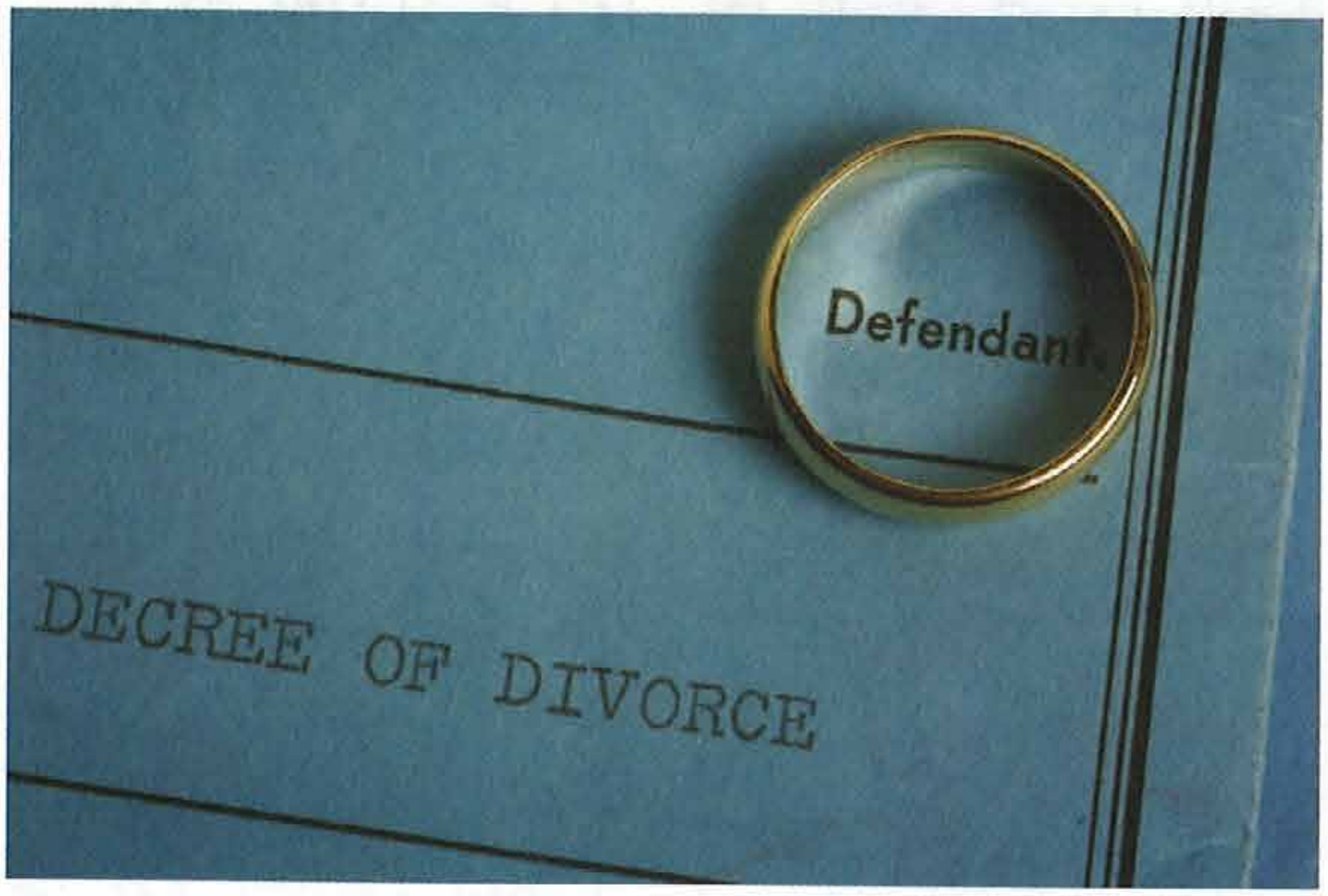

انطلاقاً من الدستور الكويتي، واحتراماً لحقوق المواطنين والمقيمين فقد أنشأ قسم المحكمة الجعفرية في الكويت قبل عقود، وهو بحد ذاته يعد إنجازاً مهماً في بلد يحترم التعدد المذهبي، إلا أنني أود أن أسجّل مجموعة من الملاحظات في إطار أحكام الطلاق الصادرة من هذه المحكمة وفق المعطيات الواقعية، أملاً في إعادة النظر في أوضاع المحكمة، و تحريك القضية على المستوى الرسمي بحثاً عن الحلول المناسبة.

لماذا قضايا الطلاق؟

واختياري لخصوص مسألة الطلاق ينبع من خصوصية أحكام هذا التشريع السماوي في الفقه الجعفري (الإمامي)، وهو ما توضحه النصوص التالية:

١ـ عن عمرو بن رياح عن أبي جعفر عليه السلام قال: قلت له: بلغني أنك تقول: مَن طلّق لغير السنّة (أي وفق سنة النبي) أنك لا ترى طلاقه شيئاً؟ فقال أبوجعفر عليه السلام: ما أقوله، بل الله عزوجل يقوله، أما والله لوكنا نفتيكم بالجور لكنا شراً منكم لأن الله عزوجل يقول: (لولا ينهاهم الربانيون والأحبار عن قولهم الإثم وأكلهم السحت لبئس ما كانوا يصنعون).

٢ـ وعن الإمام الصادق عليه السلام: لا يقع الطلاق إلا على كتاب الله والسنة، لأنه حدٌّ من حدود الله عزّ وجلّ، يقول: (إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاءَ فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ)، ويقول: (وَأَشْهِدُوا ذَوَيْ عَدْلٍ مِنْكُمْ)، ويقول: (وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَنْ يَتَعَدَّ

• تم إنشاء المحكمة الجعفرية في الكويت قبل عقود، وهو بحد ذاته يعد إنجازاً مهماً في بلد يحترم التعدد المذهبي.. ولكن..

حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ)، وأن رسول الله صلى الله عليه وآله رد طلاق عبدالله بن عمر لأنه كان على خلاف الكتاب والسنة.

وفي حديث آخر أنه طلقها ثلاثا وهي حائض.

٣ـ قال الفقهاء: الطلاق السنّي هو الطلاق الجامع للشرائط التالية:

• الطلاق الفاقد لشرط من الشروط كان طلاقاً بدعياً باطلاً لا قيمة له، والعلاقة الزوجية باقية

ـ يشترط في المطلِّق: البلوغ، والعقل، والقصد، والاختيار.

ـ ويشترط في المطلَّقة: كونها زوجة دائمة وطاهرة من الحيض والنفاس (وفي المسألة استثناءات)، وطاهرة في طهر لم يجامعها زوجها فيه (وفيها استثناءات)، وأن تُعيّن المطلّقة.

ـ ويشترط في الطلاق: أن يكون بصيغة خاصة، وأن لا يكون معلّقاً على شئ (كقدوم أحد من السفر)، وشهادة رجلين عادلين.

وما كان فاقداً لشرط منها كان طلاقاً بدعياً باطلاً لا قيمة له، والعلاقة الزوجية باقية على حالها.

ملاحظات:

١ـ عدم تعيين العدد الكافي من القضاة الشيعة، حيث يقوم بعض قضاة أهل السنة بهذا الدور، ومع احترامي الكامل لأشخاصهم، إلا أنني أتساءل عن مدى إحاكتهم بتفاصيل أحكام الفقه الجعفري وفتاوى الفقهاء في هذا الإطار، وعن مدى تطبيق الأحكام على مفرداتها الخارجية.

٢ـ في الحالات التي يُقدِم فيها الزوج على الطلاق برغبته، فهل يلتزم القاضي عند أخذ التوكيل من الزوج للطلاق بإجراء صيغة الطلاق أمام شاهدين عدلين، والتحقق من توفر سائر الشرائط؟ وما آلية ذلك؟

٣ـ من خصوصيات الفقه الجعفري أنه في الحالات التي يرفض فيها الزوج أن يطلق، لابد أن يكون القاضي مجتهداً جامعاً للشرائط، أو مجازاً من قبله، بينما القضاة من أهل السنة وكثير من القضاة الشيعة لا يتوفر فيهم هذا الشرط.

نتائج الوضع السابق:

١ـ الزوجة تصبح مطلقة قانوناً، وزوجة شرعاً.

٢ـ يمكنها الزواج ـ بعد العدة

• من خصوصيات الفقه الجعفري أن يكون القاضي مجتهداً جامعاً للشرائط، أو مجازاً

ـ من الناحية القانونية، فلو أقدمت على ذلك جهلاً أو عمداً، بطل النكاح، وحرمت على الزوج الثاني مؤبداً.

٣ـ لا تستحق نفقة من زوجها الأول، لأنها طليقته قانوناً، بينما تستحقها شرعاً (إن لم تكن ناشزاً).

٤ـ يمكن للزوج استغلال هذا الوضع، وإبقاء زوجته معلّقة، لعلمهما بتفاصيل الأحكام

الشرعية وبطلان مثل هذا الطلاق.

وهناك حالات عديدة في مجتمعنا ـ وللأسف ـ شهدت هذا الوضع، وهي تعاني من آثار شرعية واجتماعية ونفسية سيئة.

محكمة الاستئناف:

يتوفرٍ في محكمة الاستئناف ـ حالياً ـ اثنين من القضاة الجعفريين المجازين من قبل المجتهد لإصدار أحكام الطلاق الآنفة الذكر، فلو استأنف أحد الزوجين الحكمٍ، كان الحكم الصادر شرعيا، إلا أن الحاجة قائمة لزيادة عدد القضاة الذين يجب أن تتوفر فيهم الشرائط، ولضمان استمرارية هذا الوضع في المستقبل أيضاً.

• الحاجة قائمة لزيادة عدد القضاة الذين يجب أن تتوفر فيهم الشرائط

يتوفر فيها أي من القضاة الجعفريين المجازين، وعليه لو استأنف أحد الزوجين، وأبطل القاضي حكم محكمة الاستئناف، فالنتائج الشرعية المترتبة ستكونٍ مشابهة لما ذكرناه مسبقاً، فقدٍ تتزوج المطلقة طلاقا شرعيا بحكم قاضي الاستئناف، ثم يُبطل قاضي التمييز الحكم، مما يعني أنها زوجة الثاني شرعاً، وهي زوجة الأول قانوناً!!

محكمة التمييز:

أما محكمة التمييز فلا تحرّك جاد:

ختاماً أقول لكل المسئولين وأعضاء مجلس الأمة: المسألة لا تحتمل التأخير، فكلما بادرنا في إيجاد الحلول المناسبة كلما قللنا من الآثار السلبية المترتبة على الأنكحة الباطلة والطلاقات غير الشرعية، وهي مسئولية شرعية ووطنية نُساءل عنها جميعاً.

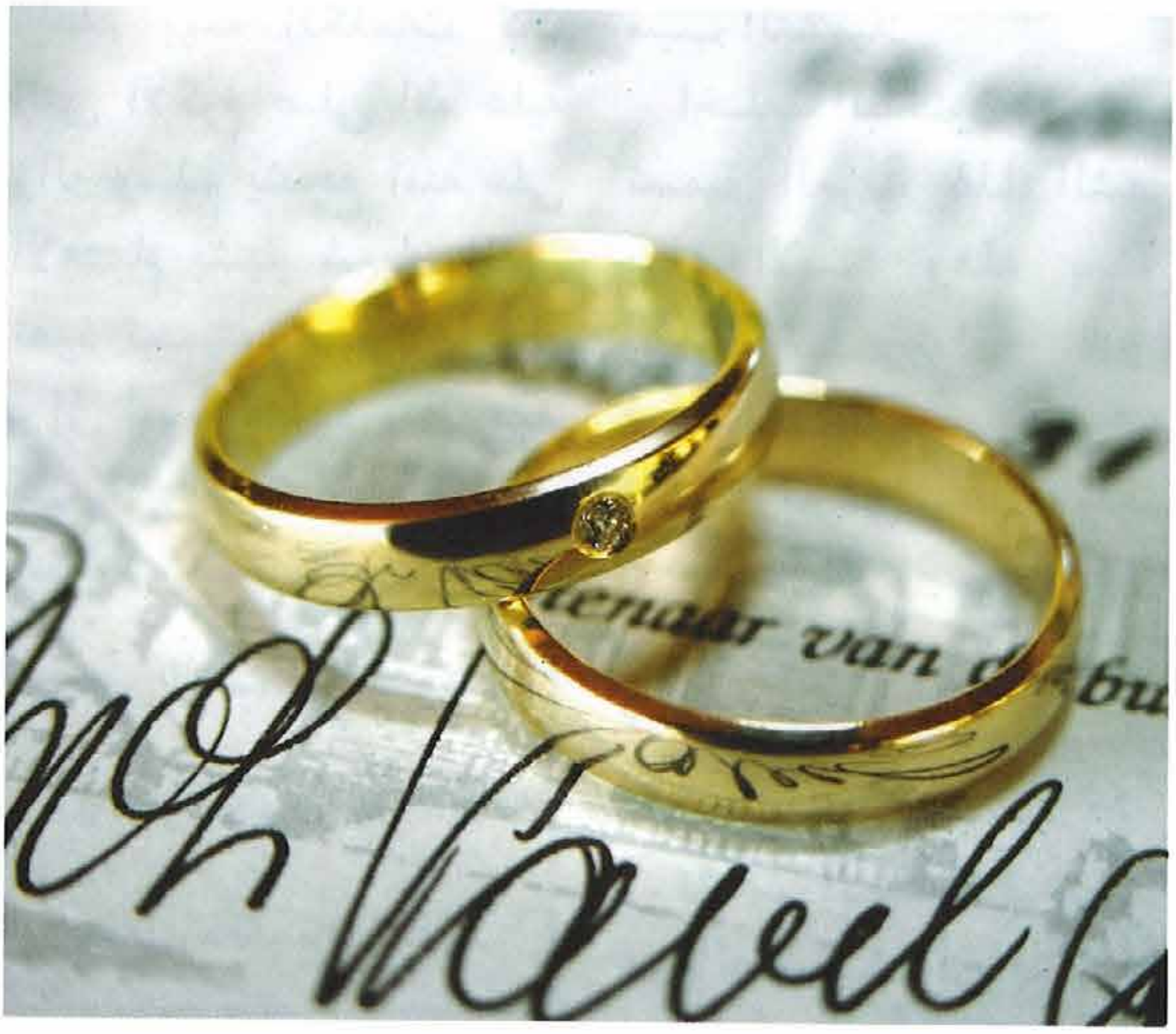

• المسألة لا تحتمل التأخير، فكلما بادرنا في إيجاد الحلول كلما قللنا من الآثار السلبية

على أعتاب شعبان

١ شعبان ١٤٢٩ هـ / ٢ أغسطس ٢٠٠٨



شعبان شهري، من صامَ يوما من شهري وجبت له الجنّة.. بهذه الكلمات كان النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم يشجع أمته على الاهتمام بشهر شعبان الذي تعود تسميته ـ على ما قيل ـ إلى نحو عام ٤١٢ م في عهد كلاب بن مرة الجد الخامس لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

• قال رسول اللّه:
شعبان شهري،
من صامَ يوماً من شهري
وجبت له الجنّة

سبب التسمية:

اختلف الباحثون في سبب تسمية العرب لهذا الشهر بهذا الاسم، وهذه بعض الآراء:

١ـ لتشعّب الناس بحثاً عن الكلأ والمرعى بعد قعودهم عن القتال في رجب، باعتباره من الأشهر الحرم.

٢ـ لتفرقهم وتشعبهم في طلب المياه.

٣ـ تشعّب الأغصان فيه.

٤ـ لأنه شَعَب ، أي ظهر من بين شهري رمضان ورجب. ولما كانت العرب تنسأ (تؤجِّل) الأشهر الحُرُم، فقد كانت تُدخل رجب في شعبان ويطلقون عليهما الرجبان.

أسماؤه:

كانت ثمود تسمي شعبان بـ (مَوهلء) ، وقد نظم أبو سهل عيسى بن يحيى هذه الشهور مبتدئاً بموجب، وهو شهر محرَّم فقال :

شهور ثمود موجبٍ ثم موجر..
ومورد يتلو ملزماً ثم مصدرُ..
وهو بر يأتي ثم يدخل
هوبلُ..
وموهلء قد يقفوهما ثم ديمرُ..
ودابر يمضي ثم يقبل حيفل..
ومسبل حتى تم فيهن أشهر..

• من الأسماء القديمة
لشهر شعبان: موهاء،
عادل، كسع، واغلة

ومن الأسماء التي أُطلقت عليه قبل مجيء الإسلام بزمن طويل واستعملته العرب العاربة (عادل)، ولربما سمي كذلك لأنهم كانوا يعدلون به رجب في النسئ. وقد ورد اسم عادل فيما نظمه الصاحب بن عباد لإحدى السلاسل التي كانت تطلق على الشهور في الجاهلية فقال :

أردت شهور العرب في الجاهلية..
فخذها على سَرْد المُحَرَّم تشترك..
فمؤثر يأتي ومن بعدُ ناجر..
و خوان مع صوان يجمع في شرك..
حنين وزبا والأصم وعادل..
ونافق مع وغل ورنّة مع بُرك..

ومن الأسماء الأخرى التي أطلقتها عليه العرب العاربة اسم (كُسع). ويقال كَسَعه بكذا إذا جعله تابعاً. ومن أسمائه الأخرى التي ذكرها البيروني: (واغلة)، والواغل هو الداخل على شراب ولم يُدع إليه، وذلك لهجومه على شهر رمضان.

• إذا كان العرب قد ربطوا هذا الشهر بشئون حياتهم وملذاتهم، فقد سعى النبي الأكرم إلى إضفاء بُعد معنوي راق

فضله:

وإذا كان العرب قد ربطوا هذا الشهر بشئون حياتهم من زراعة ورعي وغزو وملذات، فقد سعى النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم إلى إضفاء بُعد معنوي راق لهذا الشهر، فنسبه إلى نفسه الكريمة، وأبدى فيه اهتماماً خاصاً بالعبادات وأعمال البر والاستعداد لشهر الله العظيم

• كان رسول الله يصوم هذا الشّهر ويوصل صيامه بشهر رمضان، وكان الإمام السجاد يوصي بصيامه حُبّاً للنبي

شهر رمضان المبارك، كما اعتبر أن الخير فيه هو أساسٍ تسميته، سواءً أكان خيراً مادياً كالماء والكلأ، أو معنوياً كالثواب الجزيل والهبات الرحمانية، فعنه صلى الله عليه وآله وسلم: (شهر شعبان تشعّب فيه الخيرات).

من أعمال شعبان:

وفي الأخبار أنه كان صلى الله عليه وآله وسلم يصوم هذا الشّهر ويوصل صيامه بشهر رمضان، وروي عن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام أنّه قال: (كان السّجاد ـ أي الإمام علي بن الحسين ـ عليه السلام إذا دخل شعبان جمع أصحابه وقال: يا أصحابي، أتدرون ما هذا الشّهر؟ هذا شهر شعبان، وكان النّبي صلى الله عليه وآله وسلم يقول: شعبان شهري. فصوموا هذا الشّهر حُبّاً لنبيّكم وتقرّباً إلى ربّكم، أقسم بمن نفسي بيده لقد سمعت أبي الحسين عليه السلام يقول: سمعت أمير المؤمنين عليه السلام يقول: من صام شعبان حُبّاً لرسول الله صلى الله عليه وآله وسلم

وتقرّباً إلى الله، أحبّه الله وقرّبه إلى كرامته يوم القيامة وأوجب له الجنّة. وعن الإمام جعفر الصّادق عليه السلام أنّ رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم كان إذا رأى هلال شعبان أمر منادياً ينادي في المدينة: (يا أهل يثرب، إنّي رسولُ رسولِ الله إليكم، ألا إنّ شعبان شهري، فرحم الله من أعانني على شهري). ثمّ قال: إنّ أمير المؤمنين عليه السلام كان يقول: (ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله عليه السلام ينادي في شعبان، ولن يفوتني أيّام حياتي صوم شعبان إن شاء الله تعالى، ثمّ كان عليه السلام يقول: صوم شهرين متتابعين توبة من الله.

• عن أمير المؤمنين:

ما فاتني صوم شعبان منذ سمعت منادي رسول الله ينادي في شعبان، ولن يفوتني أيّام حياتي



وقد ورد ـ في خصوص هذا الشهر ـ بالإضافة إلى الصيام الحث على الإكثار من الاستغفار والصلاة على محمد وآله

من مناسبات هذا الشهر:

وفي هذا الشهر المبارك تتوالى الذكريات التي تربط الماضي بالحاضر، فتعطي للمؤمنين شعوراً بالامتداد في الزمن، وقوةً في الانتماء، ودافعيةً لتجديد روح العطاء. ومن بين أهم تلك المناسبات:

١ـ مولد سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليهما السلام في الثالث من شعبان عام ٤ للهجرة.

٢ـ مولد أخيه قمر بني هاشم أبي الفضل العباس بن علي عليه السلام في الرابع من شعبان عام ٢٦ للهجرة.

٣ـ مولد الإمام علي بن الحسين بن علي زين العابدين عليه السلام في الخامس من شعبان عام ٣٨ للهجرة.

٤ـ مولد الإمام محمد المهدي ابن الإمام الحسن العسكري عليه السلام في الخامس عشر من شعبان عام ٢٥٥ للهجرة.

طلِّقني

٨ شعبان ١٤٢٩ هـ / ٩ أغسطس ٢٠٠٨

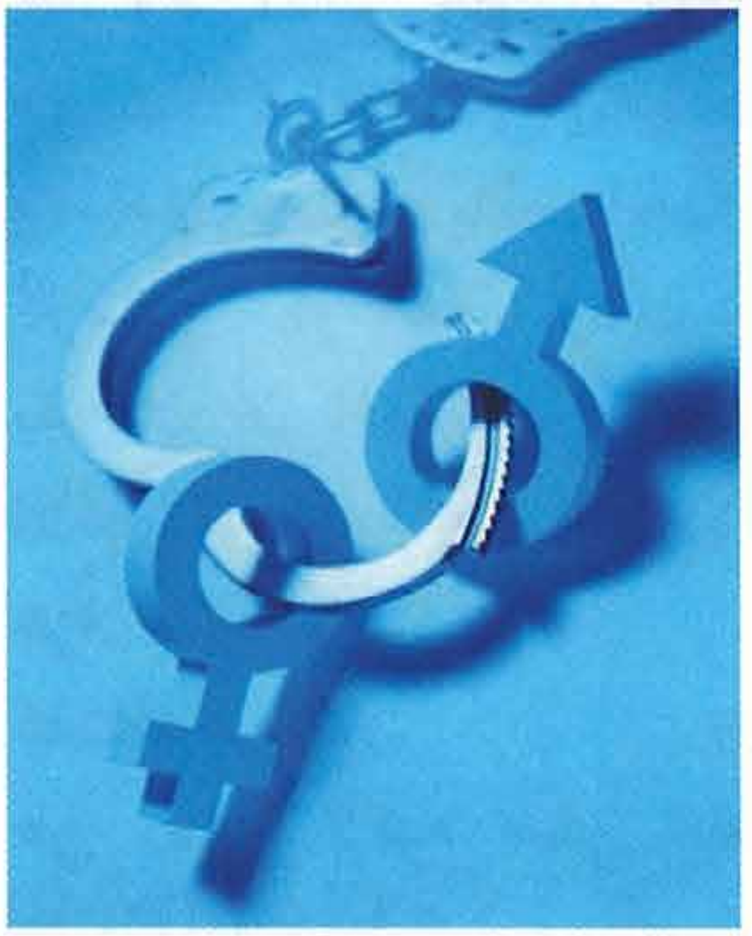

(ن) فتاة في العشرين من عمرها، لم يمضِ على عقد قرانها أكثر منَ شهر، تقف مع والدها أمام إحدى غرف المحكمة بانتظار الدخول على قاضٍي الأحوال الشخصية، أملاً في الحصول على الطلاق من زوجها (ج) الذي لا يكبرها أكثر من ثلاث سنوات.

على وجهها مزيج من مشاعر الغضب والحزن، وعيناها المحمرّتان تقولان الكثير... أما الأب فإنه لا يفتأ يتمتم بكلمات تفوح منها رائحة اللوم والعتاب، وهو يسعى لإخفاء حالة الإحراج التي يشعر بها جرّاء كونه في مثل هذا الوضع الذي لا يحسده عليه أحد...

الأب: قلت لكِ لا فائدة تُرجى منه.. فحاله لا تنصلح...

وترد البنت المنكوبة: أنتم أجبرتموني على الزواج.. أردتُ أن أكمل دراستي فأجبرتموني على الزواج.

الأب: لن تتنازلي عن فلس واحد.. لابد أن نُحرق قلبه كما أحرق قلبك الصغير.. أنا يعاملني بهذه الطريقة؟ تمهّلي حتى ندخل على القاضي حتى تعلمي ما سأفعل.

وتدخل (نون) مع أبيها، لتبقى في دهاليز المحكمة وأروقتها أشهراً طويلة حتى يصدر القرار النهائي، فهي ليست أوّل من تقدم بطلب الطلاق، ولن تكون آخر زوجة... فمثلها بالمئات.

تعددت الأسباب والطلاق واحد:

كثيرة هي الدراسات والاستبانات المنشورة بخصوص أسباب الطلاق، إلا أن (ضيق الصدر) من العوامل الرئيسة، وفي المقابل فإن (شرح الصدر) من العوامل المهمة لضمان استمرار العلاقة الزوجية.

فضيق الصدر قد يبلغ حدَّ ما في قول الله عزوجل (حَتَّى إِذَا ضَاقَتْ عَلَيْهِمُ الأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ وَضَاقَتْ عَلَيْهِمْ أَنفُسُهُمْ) (التوبة:١١٨)، وشرح الصدر من الأهمية بمكان حتى منَّ الله به على نبينا الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم حين توجه إلى ربه بالخطاب: (أي رب، أنه

- شرح الصدر من العوامل المهمة لضمان استمرار العلاقة الزوجية ونجاحها

قد كان أنبياء قبلي، منهم من سخَّرت له الريح، و منهم من كان يحيي الموتى) فكأنه يطلب من الله أن يعطيه ما يقوّي به شأنه، فجاءه الخطاب القرآني: (أَلَمْ نَشْرَحْ لَكَ صَدْرَكَ * وَوَضَعْنَا عَنكَ وِزْرَكَ * الَّذِي أَنقَضَ ظَهْرَكَ * وَرَفَعْنَا لَكَ ذِكْرَكَ) (الشرح:١-٤)، لأن شرح الصدر يعني أن يكون قلب الإنسان واسعاً كالبحر، لا تظهر فيه المؤثرات السلبية، وإذا ظهرت سرعان ما تختفي وتزول، ويبقى البحر.

موسى يطلب شرح الصدر:

شرح الصدر كان هو المطلب الأول للنبي الكريم موسى عليه السلام حين أمره الله أن يبلّغ كلمته لفرعون (اذْهَبْ إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) (طه:٢٤)، فقال عليه السلام (رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) (طه:٢٥)، فما الذي كان يخافه موسى عليه السلام؟ (رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى) (طه:٤٥)، و (رَبِّ إِنِّي أَخَافُ أَن يُكَذِّبُونِ... وَلَهُمْ عَلَيَّ ذَنبٌ فَأَخَافُ أَن يَقْتُلُونِ) (الشعراء:١٢-١٤).

وهذا يعني أنه عند طغيان الطرف الآخر الذي نتعامل معه، وتجاوزه الحد في أدب التعامل ومراعاة طبيعة العلاقة، وقيمة الإنسان، وعندما يفرط الطرف الآخر فيشتم ويسيء، فنحن بحاجة حينئذ أن يكون قلبنا كالبحر الذي يستقبل الماء الآسن، ويواجه الريح العنيفة، فلا يتأثر، وإذا تأثر سرعان ما يعود إلى حالته السابقة، ويبقى قوياً قادراً على النهوض من جديد والاستمرار في طريقه.

• إن كثيراً من المشكلات التي تواجه الزوجين مردّها ضيق الصدر عند الطرفين

طلاق ضيق الصدر:

وعلى ما تقدّم، فإن كثيراً من المشكلات التي تواجه الزوجين ـ لاسيما حديثي العهد بالزواج ـ مردّها ضيق الصدر عند الطرفين، ومتى ما تحلى الطرفان بسعة الصدر، فإن بمقدورهما أن يُكملا مشوار الحياة... وإن كبا أحدهما أخذ الآخر بيده، لأن المسألة عندهما ليست مسألة تحدٍ ولا (كسر عظم)، وإنما هو كيان توافقا على إنشائه، وتعاهدا على بذل الجهد لترسيخ أركانه، ولأنهما يدركان أن العفو عن زلل الآخر لن يزيد مَن عفا إلا عزاً.

كلمات من نور:

عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (من صبر على خلق امرأة سيئة الخلق واحتسب في ذلك الأجر، أعطاه الله ثواب الشاكرين).

وعن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (ثلاث من النساء يرفع الله عنهن عذاب القبر ويكون محشرهن مع فاطمة بنت محمد عليها السلام: امرأة صبرت على غيرة زوجها، وامرأة صبرت على سوء خلق زوجها، وامرأة وهبت صداقها لزوجها، يُعطي الله كل واحدة منهن ثواب ألف شهيد، ويكتب لكل واحدة منهن عبادة سنة).

شُبهة سرداب الغيبة

١٥ شعبان ١٤٢٩ هـ / ١٦ أغسطس ٢٠٠٨

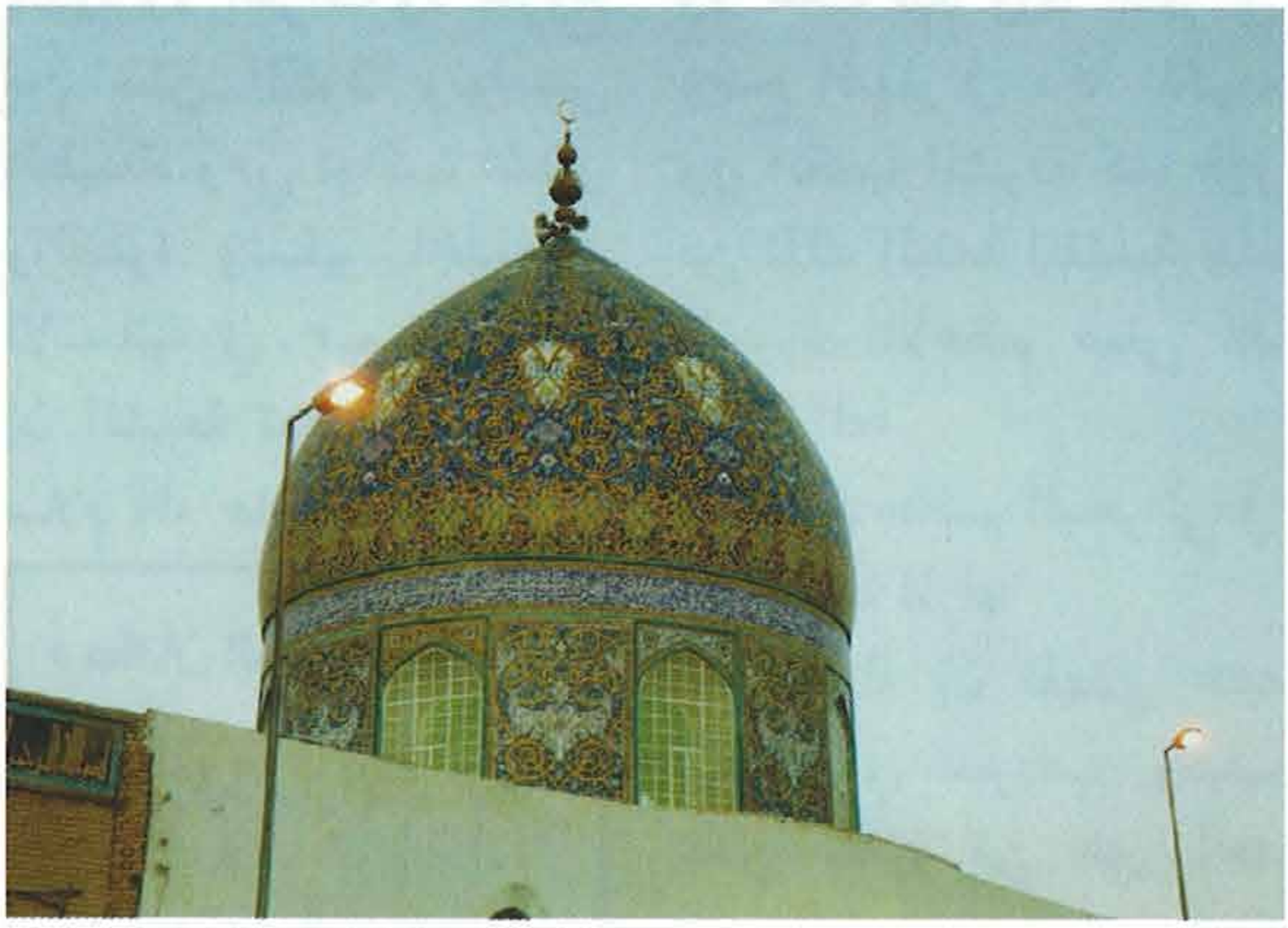

عند الحديث عن تفاصيل عقيدة المسلمين الشيعة بخصوص الإمام المهدي المنتظر عليه السلام، تثار مسألة (سرداب الغيبة) كمؤاخذة عليهم، وملخّص الإشكال أن الشيعة يقولون بأن المهدي دخل في السرداب فغاب فيه، وأنهم يتوقعون خروجه منه في آخر الزمان.

وحقيقة الأمـــر أن إثارة هذه الشبهة ليـــس بالأمر المستحدث، وقد خاض فيه ابن كثير وابن خلـدون وابن تيمية وآخرون، ولعلهم أخذوا ذلك عن بعض الأحاديث الموضوعة ومما يتداوله بعض العوام من الناس في ذلك الزمان، دون أن يكون ذلك هو حقيقة المعتقد الذي يؤمن به المسلمون الشيعة.

التحقيق أولاً:

وأستغل هذه الفرصة لأشير إلى قضية مهمة لعلها تكون سبباً لتقريب وجهات النظر، وتقليل موارد الاختلاف والتشنج القائم بين المذاهب الإسلامية، وفي ما يقوم به هذا الطرف من تسجيل النقاط ضد الطـــرف الآخر، فمن المفترض أن يكـــونَ أساس البحث والنقاش قائماً على ما يقرره العلماء والمختصّون من كل مذهب حول قضية ما، لا أن تكون الروايات والأخبار الواردة في الكتب ـ وبعضٍ تلك الكتب غير معتمدة أصلا ـ هي الأساس في البحث، لأن كثيراً من الروايات والأخبار المبثوثة في الكتب والمتراكمة عبر القرون لا أصل لها، وهي من موضوعات أهل الأهواء أوالمدلّسين أوالزنادقة أو أصحاب المصالح السياسية وغيرها، وهو ما أكّده المختصّون في المذاهب الإسلامية المختلفة.

قضية السرداب:

وأما السرداب المجاور لمرقد الإمامين علي الهادي والحسن العسكري عليهما السلام في سامِراء، فقد حظي بالاحترام والذِكر ـ كما يوجد عليه

شباك أثري وضعه عليه الخليفة العباسي الناصر لدين الله والمتوفى سنة ٦٢٢ هـ ـ بسبب أن هذا المكان الشريف كان مصلى لأئمة ثلاثة من أئمة أهل البيت: الإمام الهادي وابنه الحسن العسكري وابنه المهدي المنتظر عليهم السلام، لا لأن الإمام المهدي قد غاب فيه أو أنه سيظهر منه، وهو في هذا يماثل محراب النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم، وهو مصلاّه الموجود في مسجده بالمدينة المنورة، وكذلك محراب التهجّد الموجود في المسجد النبوي الشريف، وكلاهما مقصودان من قبل المسلمين، وسببٌ لتزاحمهم للصلاة عندهما. ومما قرّره علماؤنا في ما له علاقة بقضية السرداب:

١ـ الشيخ باقر شريف القرشي في كتابة حياة الإمام المهدي:

(إن عقيدة الشيعة في الإمام المنتظر عليه السلام بل وفي غيره من مجالاتها العقائدية نقية مشرقة كالشمس مشتقة من صميم الإسلام ومأخوذة من أئمة الهدى الذين أذهب الله عنهم الرجس وطهرهم تطهيراً ولم تؤخذ ـ والحمد لله ـ من كذاب ووضاع ومنحرف عن دينه، وليس في جميع بنودها شذوذ ولا انحراف ولا خروج من سنن الكون ونواميس الطبيعة، وهي تواكب المنطق والفطرة وتساير المجتمعات الإنسانية في جميع عصورها. إن الشيعة تعتقد بأن الإمام سلام الله عليه قد غاب عن أبصار السلطة التي كانت تراقبه كأشد ما تكون المراقبة لتصفيته جسدياً، فغيابه عن الظالمين كغياب جده رسول الله صلى الله عليه وآله عن أبصار قريش حينما أحاطت بداره لقتله، فخرج من بين أيديهم إلى يثرب، وأناب مكانه في فراشه وصيه وباب مدينة علمه ـ الإمام أمير المؤمنين عليه السلام ـ والقوم لا يشعرون. وتعتقد الشيعة اعتقاداً صريحاً بأن الإمام المنتظر عليه السلام لا يظهر من السرداب الذي في سامراء ولا غاب فيه، وإنما يظهر في وضح النهار في مكة المكرمة وفي الكعبة المشرفة، كما ظهر من تلك البقعة المقدسة جده الرسول الأعظم صلى الله عليه وآله).

• كان السرداب مصلى لثلاثة من الأئمة، ولا يعتقد الشيعة بأن الإمام المهدي قد غاب فيه

٢ـ السيد هاشم البحراني في كتابه غاية المرام:

(فأما قوله إن المهدي عليه السلام في سرداب وكيف يمكن بقاؤه من غير أحد يقوم بطعامه وشرابه، فهذا قول عجيب وتصور غريب، فإن الذين أنكروا وجوده عليه السلام لا يوردون هذا، والذين يقولون بوجوده لا يقولون: إنه في سرداب، بل يقولون: إنه حي موجود يحل ويرتحل ويطوف في الأرض).

٣ـ النوري في كشف الأستار:

(نحن كلما راجعنا وتفحصنا لم نجد لما ذكروه أثراً، بل ليس في الأحاديث ذكر للسرداب أصلاً).

٤ - العـــلامة صدر الدين الصدر في كتابه المهدي:

(ما نسبه إلينا - من غيابه في السرداب - كثير من خواص أهل السنة، فلا أعرف له مدركاً، ولم أجد له مستنداً).

٥ـ الأربلي في كشف الغمة:

(والذين يقولون بوجوده لا يقولون إنه في سرداب، بل يقولون إنه موجود يحل ويرتحل ويطوف في الأرض).

٦ـ العلامة محسن الأمين في كتابه أعيان الشيعة بعد ذكر الشُّبهة:

(ذلك لا أصل له ولا يعتقده ذو معرفة من الشيعة، بل الشيعة تعتقد بوجود المهدي حياً في هذه الدنيا، يرى الناس ويرونه ولا يعرفونه، وقد رفع مولانا الصادق عليه السلام في الأحاديث السابقة المروية عنه في المهدي عليه السلام استبعاد ذلك بأن إخوة يوسف تاجروه وبايعوه وخاطبوه وهم إخوته فلم يعرفوه، قال عليه السلام: «وما تنكر هذه الأمة أن يكون الله يفعل بحُجَّته ما فعل بيوسف، أن يكون يسير في أسواقهم ويطأ بسطهم وهم لا يعرفونه، حتى يأذن الله عز وجل أن يعرِّفهم نفسه، كما أذن ليوسف»...

وقد نشأت شبهة أن الشيعة يعتقدون بوجود المهدي في سرداب بسر من رأى من زيارتهم لذلك السرداب وتبرّكهم به وصلاتهم فيه، وزيارة المهدي عليه السلام فيه، فتوهموا أنهم يقولون بوجوده في السرداب، وتقوَّل بعضهم عليهم بأنهم يأتون في كل جمعة بالسلاح والخيول إلى باب السرداب ويصرخون وينادون يا مولانا اخرج إلينا، وقال إن ذلك بالحلة، ثم شنَّع عليهم تشنيعاً عظيماً ونسبهم إلى السخف وسفاهة العقل، وهذا ليس بعجيب من تقوّلاتهم الكثيرة على الشيعة بالباطل، وهذا الذي زعمه هذا القائل لم نره ولم نسمع به سامع من غيره، وإنما أخذه قائله من أفواه المتقوّلين، أو افتراه من نفسه، حتى أنه لم يَفهم أن السرداب بسامراء لا بالحلة، وسبب زيارة الشيعة لذلك السرداب وتبركهم به أنه سرداب الدار التي كان يسكنها الإمامان علي بن محمد الهادي وابنه الحسن بن علي العسكري وابنه الإمام المهدي عليهم السلام، وتشرَّف بسُكناهم له).

• إن المسلمين اليوم بحاجة إلى الحوار القائم على الأسس العلمية، بعيداً عن التشنج

وخلاصة القول: إن المسلمين اليوم ـ جميعاً ـ بحاجة إلى الحوار الهادئ القائم على الأسس العلمية، بعيداً عن التشنّج والتعنّت و كيْل التهم، كما هم بحاجة إلى قراءة متجددة ـ وعلى نفس الأسس ـ للموروث الحديثي والتاريخي والفقهي والتفسيري، لأنني على يقين بأن كثيراً مما يتراشق به أتباع المذاهب قابلٌ لإعادة النظر فيه وتكوين مشتركات تكون باعثة على التقريب، ودافعة لأسباب الاختلاف والتنازع.

ـ الصورة للقبة المبنية على السرداب في سامراء.

صلاة الجمعة.. الفريضة الغائبة

٢٢ شعبان ١٤٢٩ هـ / ٢٣ أغسطس ٢٠٠٨

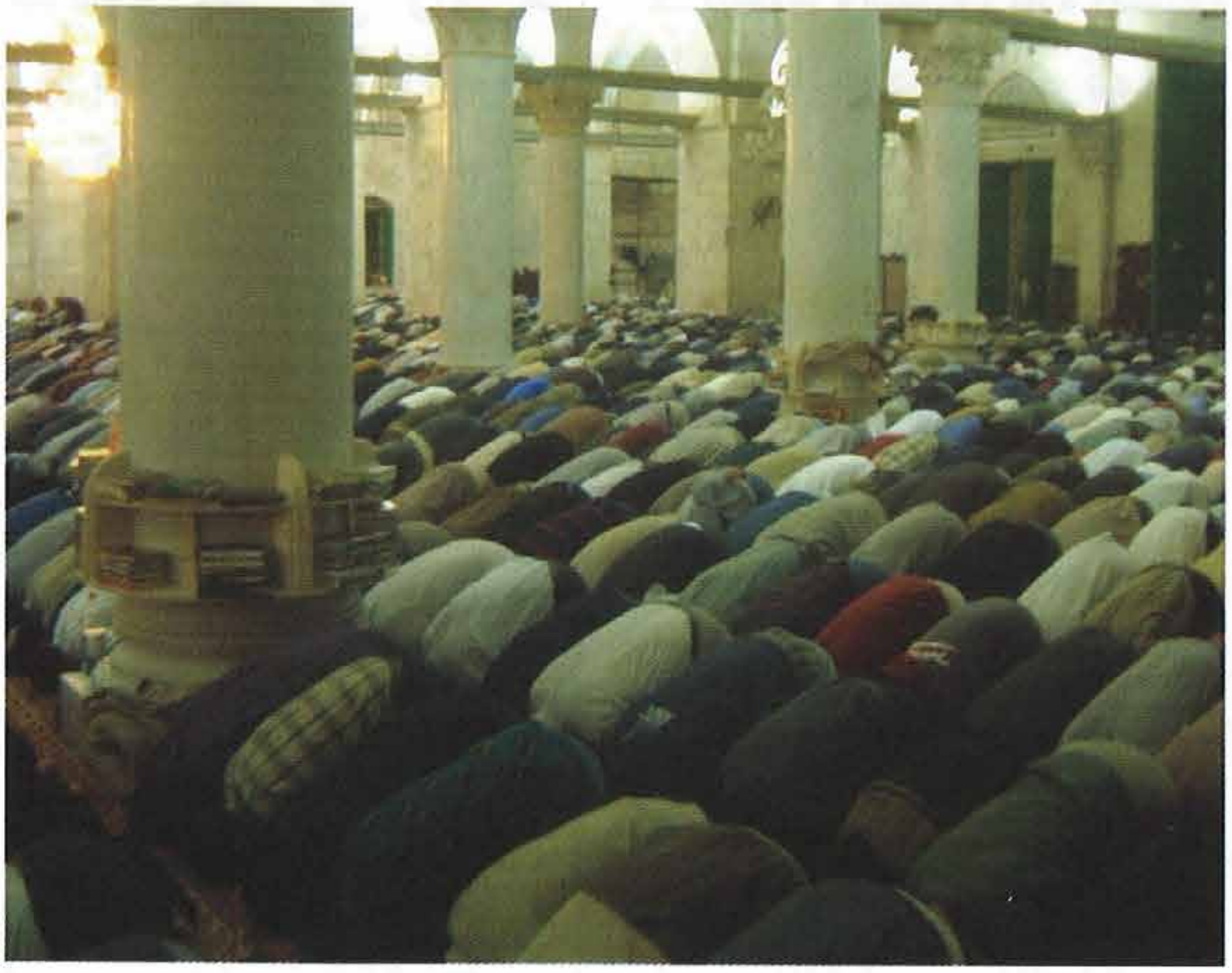

لمّا شرّع الله عزوجل أفضلية الجماعة في أداء الصلوات اليومية، أراد للمسلمين أن يعيشوا آفاق الأخوَّة الإيمانية في خضم عروج أرواحهم وتساميهم عن عالم المادة، لئلا تتحوَّل هذه الصلاة إلى وسيلة تخدير تُبعِد المسلم عن الواقع الذي يعيشه، أو وسيلة انكفاء تُحلِّق به في أجـــواء المدينة الفاضلة، بعيداً عمّا يدور حوله من صـــراعٍ بين الحق والباطل.

ومن هنا انطلق الرفض القرآني للبدعة التي جاء بها رهبان النصارى حين انسحبوا من مواقع العمل، وانقطعوا إلى الله، رغبةً في التقرّب إليه، وطلباً لنيل رحمته، متناسين أنَّ من أهمّ مواقع الرضا عند الله عزوجل العمل على نشر دينه والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وإحقاق الحق وإبطال الباطل، وتعزيز مواقع الدين وحصـــون الإيمـــان، ونشر الفضيلة ومحاربـة الرذيلـــة،

وترسيخ العدل الاجتماعي، وإصلاح ذت البين، وتحقيق السِّلم الأهلي. قال عزوجل: (ثُمَّ قَفَّيْنَا عَلَى آثَارِهِم بِرُسُلِنَا وَقَفَّيْنَا بِعِيسَى ابْنِ مَرْيَمَ وَآتَيْنَاهُ الإِنجِيلَ وَجَعَلْنَا فِي قُلُوبِ الَّذِينَ اتَّبَعُوهُ رَأْفَةً وَرَحْمَةً وَرَهْبَانِيَّةً ابْتَدَعُوهَا مَا كَتَبْنَاهَا عَلَيْهِمْ إِلاَّ ابْتِغَاء رِضْوَانِ اللَّهِ فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا فَآتَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا مِنْهُمْ أَجْرَهُمْ وَكَثِيرٌ مِّنْهُمْ فَاسِقُونَ) (الحديد:٢٧).

تشريع صلاة الجمعة:

ثم أوجب الله عزوجل على المسلمين صلاة الجمعة التي لا يصح أداؤها إلا جماعة، وشرّع مكان ركعتين منها خطبتين،

• إقامة هذه الصلاة من قبل أتباع مدرسة أهل البيت شهدت إقبالاً وإدباراً لعدة عوامل

يتلقى من خلالها المصلُّون كلمات الموعظة والنصيحة، ويحثّهم الخطيب على التقوى والعمل الصالح، ويطرح عليهم هموم المسلمين وما يُصلح أحوالهم، ويدلّهم إلى سبيل الهداية والرشاد.

وإلى ذلك أشار المرجع الراحل الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله (ت ١٤٠٠ هـ) في كتابه (الفتاوى الواضحة) حيث قال: [وهي من أهمّ شعائر الإسلام، قال الله سبحانه وتعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ ءَامَنُوا إذا نُودِيَ للصَّلاةِ مِنْ يَوْم الجُمُعَةِ فَاسْعَوا إلى ذِكر اللهِ وَذَرُوا البَيْعَ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُوْنَ). وجاء في الحديث عن الإمام الصادق عليه السلام: (ما من قدم سعت إلى الجمعة إلاّ حرّم الله جسدها على النار). وقد ميّز الله سبحانه وتعالى صلاة الجمعة عن سائر الصلوات اليومية ـ على ما يأتي ـ بأن أوجب أداءها ضمن صلاة جماعة، وأمر بتوحيدها في كل منطقة، ولم يسمح بالتأخر عن حضورها إذا أقيمت إلا بأعذار خاصة. وبذلك كانت صلاة الجمعة تعبّر عن اجتماع أسبوعي موسّع لعامّة المصلين والمؤمنين].

وقد بيّنت بعض النصوص الشريفة المروية عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم وعن آله الأطهار عليهم

> • صلاة الجمعة من أهم شعائر الإسلام، وأوجب الله أداءها ضمن صلاة جماعة، وأمر بتوحيدها في كل منطقة، ولم يسمح بالتأخر عنها

السلام معطيات هذه الصلاة على الصعيد الفردي والعام من قبيل غفران الذنوب، تخفيف أهوال يوم القيامة، دخول الجنة، تحريم الجسد على النار، معرفة الناس بما يصلح أحوالهم.

عزوف أتباع مدرسة أهل البيت عنها:

إلا أن إقامة هذه الصلاة من قبل أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام شهدت إقبالاً وإدباراً، وذلك نتيجة عوامل عدة يمكن تلخيصها في النقاط التالية:

١ـ الظلم الذي لاقاه أهلُ البيت عليهم السلام وشيعتهم من قِبل كثير من الخلفاء والسلاطين والولاة، وبما أن هذه الصلاة كانت تُؤمّ مِن قِبل أولئك الحكام أو من يعيّنونهم، فإنها أحدثت حالة من النفور، مما دفع بعضهم إلى مقاطعة هذه الصلوات والتغيب عنها، والنص التالي يعكس هذه الحقيقة، فعن عبد الملك بن أعين عن أبي جعفر الباقر عليه السلام قال: (قال عليه السلام: مثلُك يهلك ولم يُصلِّ فريضة فرضها الله؟ قال: قلت: كيف أصنع؟ قال: صلوا جماعة ـ يعني صلاة الجمعة ـ) وعن زرارة بن أعين قال: (حثَّنا أبوعبدالله عليه السلام على صلاة الجمعة حتى ظننت أنه يريد أن نأتيه، فقلت: نغدو عليك؟ فقال: لا، إنما عنيت عندكم).

٢ـ ويمكن أن نضيف إلى ذلك ما دأبت عليه الدولة الأموية

من تعميم اللعن لأمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في خطبة يوم الجمعة وغيرها، قال ياقوت الحموي (ت ٦٢٦ هـ) في كتابه (معجم البلدان) في معرض كلامه عن سجستان: (لعن علي بن أبي طالب رضي الله عنه على منابر الشرق والغرب). ومن الواضح أن هذه الممارسة دفعت محبّي آل البيت وأتباعَهم إلى اتخاذ موقف سلبي بعدم حضور صلاة الجمعة التي كان يؤمّها الخليفة أو الوالي أو المعيّن من قِبَلهما.

• صلاة الجمعة تُقام اليوم بشكل واسع من قبل المسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت في الكويت والعراق وإيران والبحرين ولبنان

٣ـ لما كانت صلاة الجمعة تحتلِ موقعاً إعلامياً سياسياً هاماً، فمن الواضح أن إقامتها من قبل فقهاء مدرسة أهل البيت عليهم السلام في ظل حكومات كانت معادية للعترة الطاهرة ولأتباعهم، وتفرض إعلان الولاء للسلطان بالاسم في الخطبة، لن تعني سوى توظيف وتجيير هذه الصلاة بخطبتيها لخدمة ذلك السلطان، وتكون صلاة الجمعة بوقاً إعلامياً للحكام آنذاك، لاسيما وأن الدعاء للخليفة أو السلطان كان مما اعتاد الخطباء أن يلهجوا به في خطبهم، وهذا يعني إضفاء الشرعية عليهم وعلى أفعالهم وسياساتهم.

٤ـ موقف بعض السلاطين الشيعة من إقامة هذه الصلاة، إذ منعوا من إقامتها تذرّعاً ببعض الفتاوى، ولا يُستبعَد أن تكون بعض الأهداف السياسية هي الدافع الحقيقي لموقف السلاطين هذا.

٥ـ الفتوى المشهورة بعدم الوجوب العيني لصلاة الجمعة، بمعنى أن المكلف مخير يوم الجمعة بين إقامة الظهر وبين صلاة الجمعة.

حال صلاة الجمعة اليوم:

أما اليوم، فإن صلاة الجمعة ـ وبحمد الله ومنِّه ـ تُقام بشكل واسع من قبل المسلمين من أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام في مدن العراق، بما فيها المدن المقدسة النجف وكربلاء والكاظمين، وإيران، بما فيها العاصمة طهران والمدينتان المقدستان مشهد الرضا وقم، وفي الكويت والبحرين والقطيف والإحسلء والشام ولبنان وأفغانستان، آملين أن تحظى هذه الصلاة بمزيد من العناية والاهتمام، فإنه لم يذكر القرآن الكريم أي صلاة بمثل ما تكلم به عن صلاة الجمعة المباركة.

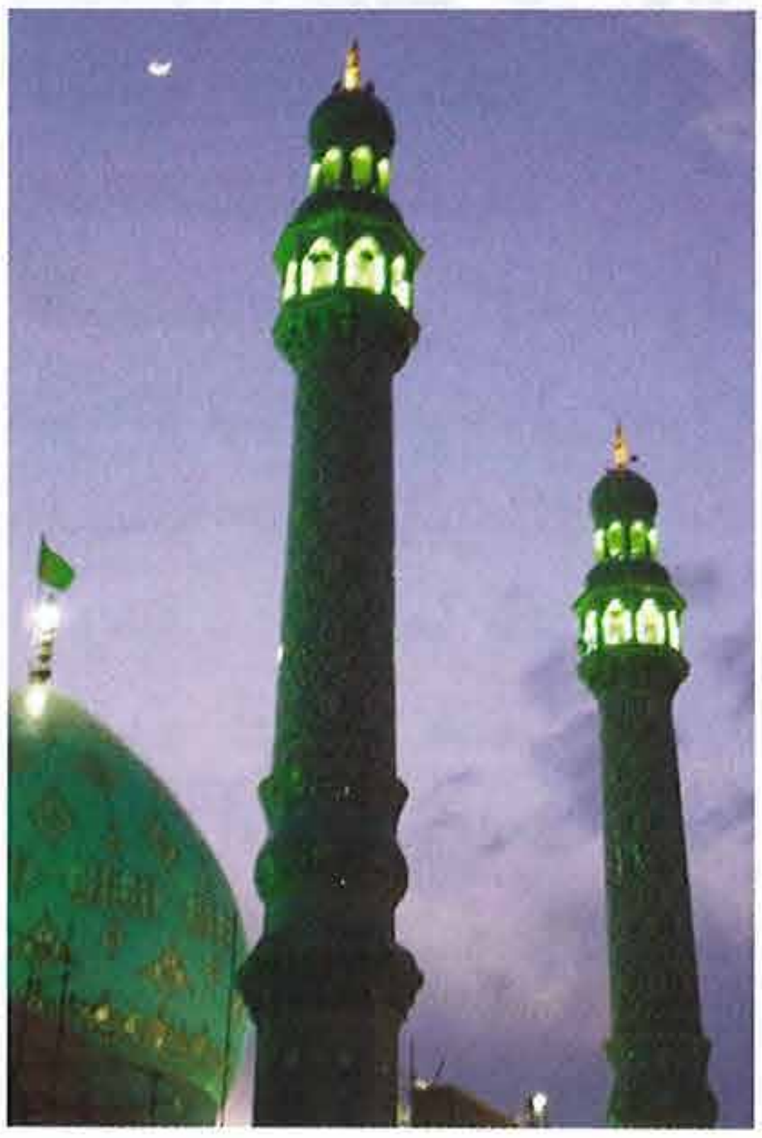

الهلال المدلل

٢٩ شعبان ١٤٢٩ هـ / ٣٠ أغسطس ٢٠٠٨



حضرت في الأسبوع الماضي محاضرة قيّمة للفلكي عادل السعدون، تناول فيها الأسس والمعايير العلمية التي من خلالها يتم تحديد الأشهر القمرية، وبيّن من خلالها دقة المعلومة التي يقدّمها الفلكيون بخصوص ولادة الهلال وإمكانية الرؤية ومناطقها وما إلى ذلك. وفي أثناء المحاضرة كان البعض يردد عبارة (القمر دلّوع = مدلّل)، تعبيراً عن الاختلاف في مطالع الأهلة وتوقيتها وتأثر القمر في حركته بعوامل كثيرة تحتاج إلى حسابات ورصد ومتابعة دائمة.

غياب المعلومات:

وما لفت انتباهي هو غياب كثير من المعلومات والحقائق عن أكثر الحضور، وهم يمثلون شريحة مثقفة ومتعلمة من المجتمع، ولعل كثيراً من عدم الرضا و (التحلطم) مع بداية شهري رمضان وشوال يعود إلى:

١ـ غياب المعلومات الأساسية عن كيفيـــة تكوّن الأشهر القمرية والعوامـل المؤثرة في ذلك.

٢ـ فقدان الثقة بالفلكيـــين في خصوص تحديد بدايات الأشهر (على الرغم من الاعتماد عليهم في كثير من القضايا كتحديد الكسوف والخسوف ومواقيت الصلاة)، ولعل بعض المشايخ وعلماء الدين والمبلّغين يتحملون جزءً من المسئولية من خلال تسفيه كلام الفلكيين، واعتباره من التخرّصات والرجم بالغيب

٣ـ تأكيد بعض الفقهاء على ضرورة الاعتماد فقط على الرؤية بالعين المجردة دون الأخذ بعين الاعتبار النتائج العلمية التي يقدمها الفلكيون في تحديد موعد ولادة الهلال أو إمكانية رؤيته أو استحالتها أو غير ذلك، على الرغم من أن

• لعل كثيراً من عدم الرضا حول الاختلاف في تحديد الأهلة يعود إلى غياب المعلومات عن الناس

بعضها وصل إلى درجة العلم واليقين أو أنها سبب لحصول الاطمئنان، وهذا يعني أنها حجة.

٤ـ الخلط بين وظيفة الفلكي والفقيه، فالفلكي يتدخل في وظيفة الفقيه حين يتحدث عن ضرورة التزام كل فرد بالرؤية المحلية في بلده (دون ما لو رؤي في بلدان أخرى)، والفقيه يتدخل في شئون الفلكي حين يقول أن العلم لم يصل إلى حد يمكن أن يُطمأن بنتائجه.

محو أمية فلكية:

كل ذلك يستدعي التفكير الجاد بالنهوض بمشروع محو أمية فلكية على مستوى المجتمع ككل، وأعتقد أننا في الكويت نتميز بوجود متخصصين ومهتمين ومؤسسات ودعم مادي وحكومي وإعلامي لمشاريع من هذا القبيل متى ما تكوّنت القناعة عند أصحاب الشأن.

كما أدعو زملائي مشايخ الدين إلى الاطلاع - وبعمق - على المستجدات العلمية في هذا الإطار، والانطلاق من المساجد في ربط الدين بالعلم في يقينياته، وأود أن أعكس تجربتنا الناجحة في مسجد السيد هاشم بهبهاني، حيث نقوم في كل عام في آخر جمعة من شهر شعبان، وآخر جمعة من شهر رمضان ببيان المسائل الشرعية والفلكية ذات الصلة من خلال وسائل الإيضاح الحديثة، ومن خلال استدعاء المتخصصين للحديث حول هذا الموضوع ومستجداته، وفي المساهمة برصد الأهلة شهرياً في الكويت بالتعاون مع اللجنة الكويتية لرصد الأهلة والتي يرأسها سماحة الشيخ صادق بوعباس.

• لابد من التفكير الجاد بالنهوض بمشروع محو أمية فلكية على مستوى المجتمع الكويتي ككل

المزاوجة بين الدين والفلك:

لقد كان لعلماء الفلك المسلمين في العصور المتقدمة الفضل الكبير في النتائج العلمية التي يستفيد منها المختصون هذا اليوم، كما أنها قدّمت خدمات جليلة إلى علماء الدين في مساعدتهم في قضايا من قبيل تحديد اتجاه القبلة ومواقيت الصلاة وما إلى ذلك، بل إن علم الفلك - بصورة تخصصية - كان من المقررات الرئيسية في الدراسات الدينية، الأمر الذي يستدعي إعادة التفكير في القطيعة الحاصلة بينهما في مجال تحديد الأشهر القمرية، لما في ذلك من أثر مهم في تخفيف القلق الذي يشعر به الناس كلما اقترب شهر رمضان.

• نحن بحاجة إلى وفع القطيعة الحاصلة بين الفقهاء والفلكيين في مجال تحديد الأشهر القمرية

أعوذ باللّه

٦ رمضان ١٤٢٩ هـ / ٦ سبتمبر ٢٠٠٨



روى ابن تغري بردي صاحب كتاب (النجوم الزاهرة) أن الوزير الصاحب شمس الدين موسى كان في شبابه نحيف البدن، قليل الأكل، مصاباً بالربو، وقد لزمته الحمى، ولا يخرج حتى يلبس الفراء صيفاً وشتاءً، فلما عُزل من منصبه وصار في عهدة والي القاهرة، أخذ يعذبه ألوان العذاب، فضربه في اليوم الأول ٢٠٠ سوط، ثم سكب عليه الماء والملح والخل والجير، حتى حسب الناس أنه قد مات، ولكنه أصبح في اليوم التالي حيا، فضربه وعقد له المقرعة، حتى كانت إذا نزلت على جنبيه أحدثت فيه ثقوباً. وبعد المعاقبة كان يُرمى عرياناً في الشتاء على البلاط فيتمرّغ عليه، وهو لا يعي من شدة الضرب، ثم عصروه في كعبه وصدغيه، وقد ضُرب مرة فسقط من ظهره قطعة لحم بقدر الرغيف!! ثم عوقبت زوجته، وكانت مثله ضعيفة وحاملاً، فولدت وهي تُعصر بالمعصرة!!

ما الذي يحوّل الإنسان إلى مخلوق عديم الإحساس ميّت القلب متجرّد عن المشاعر بهذه الصورة التي تجعله يتلذذ ويتفنن في تعذيب ضحاياه حتى تحسب أنها أساطير من نسج الخيال... ولولا ما أثبتته الأدلة والصور والشهادات الكثيرة لجزّاري العصر من قبيل المقبور صدام وكرادزيتش وستالين؟

القلب عند علماء الأخلاق:

قال الشهيد السيد دستغيب: (كما أن الأجسام عُرضة للسلامة والمرض، فقلبه كذلك عرضة للسلامة والمرض، وسلامة القلب هي أن تكون الخواص والآثار الإنسانية كافة ظاهرة فيه، وأمراض القلب كلها إنما هي نقيض الفطرة الأولى للإنسان).

قال الشاعر:

إن شكا القلب اشتكى باقي الجسد.. ظُلْمُ أهل الخَوْر من ضعف الأسد.

والحقيقة أن النصوص

الإسلامية أشارت إلى عوامل عديدة تحوّل منبع الهداية والمعرفة والخير عند الإنسان ـ أي القلب ـ إلى مسخ تستحوذ عليه الوساوس، وتتراكم عليه آثار المعاصي فيفقد خصائصه تدريجياً، ولا يعود قادراً على التمييز بين الحق والباطل، وبين الخير والشر، ثم تنقلب عنده الموازين، حتى لا يقبل حقاً، ولا يجيش منه عواطف الخير، ولا تبلغه الحكمة والموعظة والعبرة، ولا يخفض صاحبه رأساً أمام عظمة الله وقدرته وآياته المحسوسة، فيصل إلى درجات كبيرة من الانحطاط السلوكي والأخلاقي، وبمبررات لا نهاية لها.

عن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (لمّتان: لمة من الشيطان ولمة من الملاك، فلمّة الملاك: الرقة والفهم، ولمّة الشيطان: السهو والقسوة). واللمة هنا بمعنى التأثير من خلال الخاطرة.

شقاء قاسي القلب:

وإذا وصل القلب إلى حد القسوة، وبتعبير القرآن

• النصوص الإسلامية أشارت إلى عوامل تحوّل القلب إلى مسخ تستحوذ عليه الوساوس، وتتراكم عليه آثار المعاصي فيفقد خصائصه تدريجياً

الكريم (ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّن بَعْدِ ذَلِكَ فَهِيَ كَالْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً وَإِنَّ مِنَ الْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ الأَنْهَارُ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ الْمَاء وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ اللَّهِ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ) (البقرة:٧٤)، فمصير صاحبه الشقاء لا محالة، فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم (من الشقاء جمود العين وقسوة القلب وشدة الحرص في طلب الدنيا والإصرار على الذنب)، وأما آثار ذلك الشقاء فعديدة، منها:

١ـ في ضلال مبين: قال الله تعالى (أَفَمَنْ شَرَحَ اللَّهُ صَدْرَهُ لِلإِسْلامِ فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ فَوَيْلٌ لِلْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ أُولَئِكَ فِي ضَلالٍ مُبِينٍ) (الزُّمر:٢).

٢ـ الأبعد من الله: عن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (إن أبعد الناس من الله القاسي القلب).

٣ـ من المغضوب عليهم: عن الإمام جعفر الصادق عليه السلام: (إن الله جعل الرحمة في قلوب رحماء خلقه، فاطلبوا الحوائج منهم، ولا تطلبوها من القاسية قلوبهم، فإن الله تعالى أحلّ غضبه عليهم).

٤ـ لا أثر للدعاء: وعنه عليه السلام: (إن الله لا يستجيب دعاء بظهر قلب قاس).

• إذا مُسخ القلب فإن صاحبه يصل إلى درجات كبيرة من الانحطاط السلوكي والأخلاقي، وبمبررات لا نهاية لها

هل سجد الملائكة لآدم؟

١٣ رمضان ١٤٢٩ هـ / ١٣ سبتمبر ٢٠٠٨



لما صدر الأمر الإلهي للملائكة بالسجود بعد أن خلق آدم عليه السلام، فخضعوا للإرادة الإلهية، هل كان سجودهم لآدم أم لله سبحانه؟ فإن كان لله، فلم جاء الخطاب (اسْجُدُوا لآدَمَ) (البقرة:من الآية ٣٤)، وإن كان لآدم، فكيف يجوز السجود لغير الله؟

القول الأول: السجود لله

ذهب بعض المفسرين إلى أن السجود كان لله سبحانه، وآدم عليه السلام مجرد قِبلة للسجود وبمثابة الكعبة، فالمسلم يتجه بسجوده نحو الكعبة، إلا أنه يسجد لله سبحانه.

القول الثاني: السجود لآدم

تحيةً وتكرمةً له، وخضوعاً لله بطاعته وتنفيذ أمره، فالسجود بحد ذاته ليس عبادة، فـ (العبادة هي نصب العبد نفسه في مقام العبودية وإتيان ما يثبت ويستثبت به ذلك) الطباطبائي: تفسير الميزان، فلربما سجد إنسان لآخر بقصد الاحترام والتحية لا أكثر، كما في بعض الثقافات الآسيوية، ولربما سجد بقصد الاستهزاء به أو من باب التمثيل.

وبالطبع فإن هذا لا يبرر أن نسجد لغير الله لأن (الذوق الديني المتخذ من الاستيناس بظواهره يقضي باختصاص هذا الفعل به تعالى، والمنع عن استعماله في غير مورده تعالى، وإن لم يقصد به إلا التحية والتكرمة فقط) تفسير الميزان.

ولذا فإن الله لم يأمر بالسجود لآدم بمعنى العبادة له حتى على مستوى المظهر؛ لأنَّ الله لا يرضى بعبادة غيره

• اختلف المفسرون في ماهية السجود الذي أتى به الملائكة: هل كان لله أم لآدم؟

وإن كان من أقرب خلقه إليه. ولذلك، لم يكن ردّ فعلٍ إبليس على المسألة اعتراضاً على منافاة ذلك للإخلاص لله وللإيمان بوحدانيته، بل اعتراضاً على أن يكون عنصر التراب أفضل من عنصر النّار، كما أننا لا نجد من الملائكة استغراباً للأمر، في ما يمكن أن يحمله، حسب هذا الفرض، من المنافاة للتوحيد في العبادة.

السجود للمستكبر:

وإذا كان المسلمون قد دخلوا في جدال عميق في تفاصيل هذه القضية، فإنّ الأهم من ذلك مسألتان:

١ـ الاستكبار المتمثل في النموذج الإبليسي، فمشكلة المستكبرين أنهم يستغرقون في جانب من جوانب الذات، ويغفلون عن الجوانب الأخرى التي تكشف عن الضعف والحاجة، كما يغفلون عن حقائق الحياة وسنن الله في أرضه، مما يوقعهم في الشَّرَك ذاته الذي وقع فيه إبليس حين ركّز على المادة (تراب/ نار) وتغافل عن الروح

• مشكلة المستكبرين أنهم يستغرقون في جانب من جوانب الذات ويغفلون عن الجوانب الأخرى التي تكشف عن الضعف والحاجة

والعقل اللذان يمثلان العمق الحقيقي للقيمة الإنسانية.

٢ـ الخضوع للمستكبر بما يتجاوز حد السجود الشكلي، وذلك من خلال الانسحاق التام أمام إرادته، وهو ما حذّر منه القرآن الكريم في العديد من آياته المباركة (إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلائِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُوا فِيمَ كُنْتُمْ قَالُوا كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالُوا أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُوا فِيهَا فَأُولَئِكَ مَأْوَاهُمْ جَهَنَّمُ وَسَاءَتْ مَصِيراً) (النساء:٩٧).

• حذّر القرآن من الخضوع للمستكبر بما يتجاوز حد السجود الشكلي وذلك بالانسحاق التام أمام إرادته

ـ الصورة الثانية لرجل يصلي في حرم الإمامين علي الهادي والحسن العسكري بسامراء بعد تفجيره عام ١٤٢٧ هـ ـ ٢٠٠٦ م.

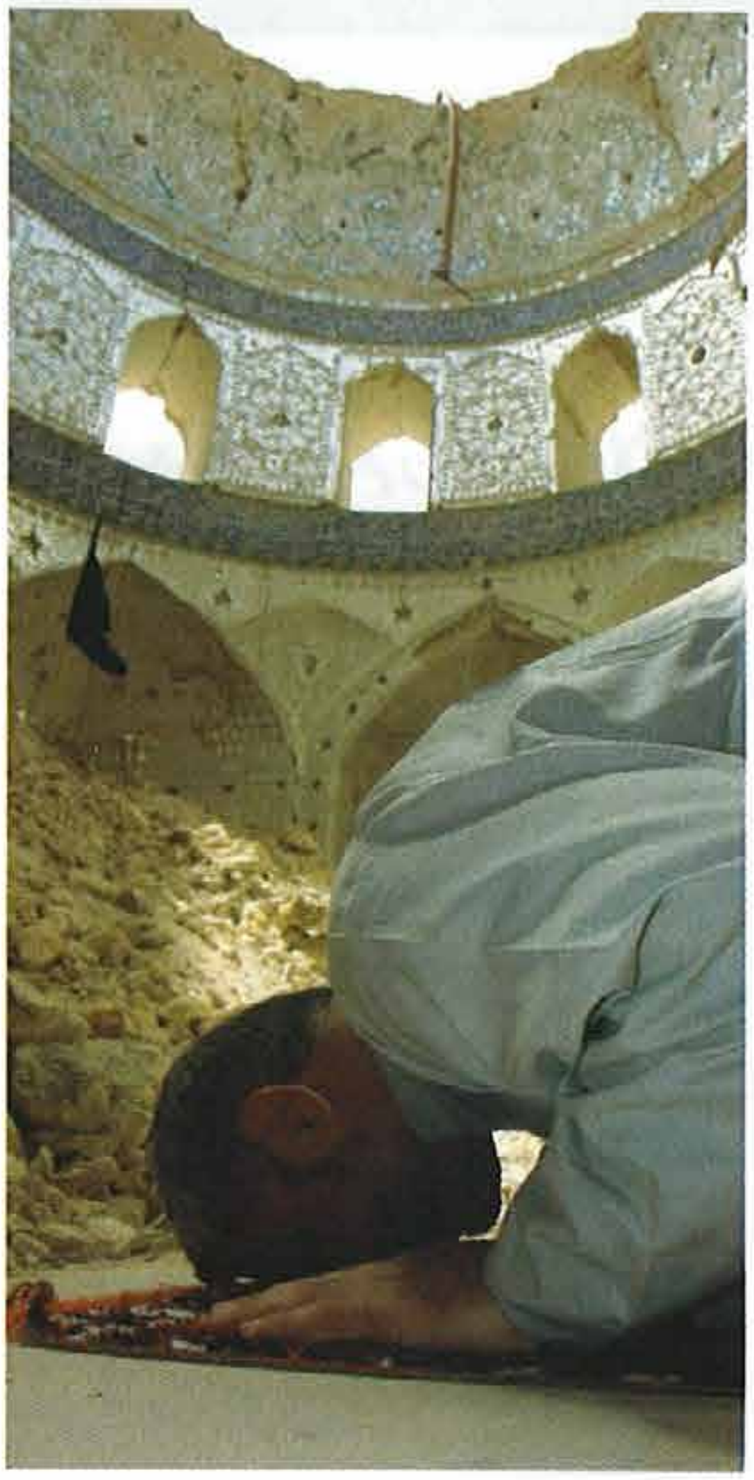

منهج الإصلاح عند الإمام علي

٢٠ رمضان ١٤٢٩ هـ / ٢٠ سبتمبر ٢٠٠٨

علي عليه السلام على عاتقه تحقيقها:

١ـ الإصلاح السياسي:

كان لبعض الولاة على عهد الخليفة عثمان بن عفان دور أساسي في ما وصلت إليه الأمور من فتن جرّت في نهاية المطاف إلى مقتله، إذ اعتبروا أن ما تحت أيديهم من سلطان ملكٌ خالص لهم يتصرفون فيه كيفما شاؤوا، وأن الرعية بمثابة العبيد عندهم، يسوسونهم بمزاجية الحاكم المستكبر (وبتعبير أحدهم: إنما السواد ـ جنوب العراق ـ بستان لأغيلمة قريش!!)، وهو ما مثّل انقلاباً على مفهوم الحكم وفق سيرة النبي صلى



من أهم ما يميز الفترة التي حكم فيها أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام هو نهوضه بمشروع الإصلاح عقب مبايعته مباشرة، وعلى عدة جبهات، ولم تكن عملية سهلة، فلقد برزت العقبات العديدة وسعى الإمام والمخلصون من أصحابه جاهدين لتذليل تلك الصعوبات، بل واضطر الإمام لخوض حروب متتالية في فترات متتابعة، كلّفته الكثير، إلا أنه أصر على المضيّ، لقداسة الهدف الذي خطط للوصول إليه. وإن لم يكن الإمام قد نجح في تحقيق الصورة الكاملة لعملية الإصلاح بسبب قصر مدة حكمه وتتالي الحروب وتجدد التحديات، إلا أنه قدّم نموذجاً عملياً لما ينبغي أن تكون عليه أية حكومة إصلاحية تواجه فساداً قد نخر إلى العظم، وأتى على كل مقوّمات النهوض والتقدم في الدولة.

وفيما يلي أهم العناوين الإصلاحية التي أخذ الإمام

• لم تكن عملية الإصلاح التي أرادها الإمام علي سهلة، فلقد برزت أمامه عقبات عديدة

الله عليه وآله وسلم، وتابَعَه على ذلك الخليفتان أبوبكر وعمر، إذ كان الحاكم في موقع الخدمة للأمة لا الاستعلاء والاستـــغلال. ولم يكـــتف أولئك الولاة وأتباعهم من الإداريين بذلك، فقد اتخذوا سياسات تعسفية تجاه الرعية، وبدأت بعض مظاهر الفساد الأخلاقي والجهر بالمعاصي تتفشـــى علناً في المجتمعات الإسلاميـــة، مما أثار حفيظة الغيـــارى من الصحـــابة والتابعين، ودفعتهم للتصدي لبعض تلك المظاهر.

ولذا جاءت قرارات عزل الولاة في مقدمة القرارات الإصلاحية الحاسمة التي اتخذها الإمام، ولم يسمح لنفسه ولا للآخرين أن يداهنوا في هذا الأمر، انطلاقاً من إيمانه بأصل مبدأ الإصـــلاح واجتثـــاث الفساد من جذوره، ومراعاةً للشعور الشعبي العام وتوافقاً مع النقمـــة العارمـــة التي احتقنت في صـــدور الناس حين ذاقوا الأمرّين من جراء السياسات الهوجـــاء التي سار بها أولئك الولاة. وقد روى الطبري في تاريخه أن المغيرة بن شعبة دخل على الإمام علي عليه السلام فقال له: (إني لك ناصح، وإني أشير عليك بردِّ عمال عثمان عامك هذا، فاكتب إليهم بإثباتهم على أعمالهم، فإذا بايعوا لك واطمأن الأمر لك عزلتَ من أحببت وأقررتَ من أحببت. فقال الإمام : والله لا أدهن في ديني ولا أعطي الدنيّ في أمري).

• تلاعب بعض الولاة بالممتلكات العامة، واتخذوا سياسات تعسفية تجاه الرعية

٢ـ الإصلاح المالي:

فقد حصل بعض الأفراد على امتيازات مالية هائلة وسُخّرت لهم إقطاعات ضخمة، في مخالفة صريحة للسياسة النبوية في العطاء من مداخيل بيت المال مما كان يوزّع بين المسلمين على سبيل المساواة، وظهرت في المقابل طبقة فقيرة تئن من ضغوطات الحياة الاقتصادية في الوقت الذي كانت فيه الفتوحات الإسلامية قد فتحت أبواب النعيم على الأمة.

روى ابن أبي الحديد المعتزلي عن ابن عباس قال: (إن علياً خطب في اليوم الثاني من بيعته بالمدينة فقال: ألا إن كل قطيعة أقطعها عثمان، وكل مال أعطاه من مال الله، فهو مردود في بيت المال. فإن الحق القديم لا يبطله شئ، ولو وجدته قد تُزوِّج به النسلء، وفُرِّق في البلدان لرددته إلى حاله، فإنّ في العدل سعة، ومن ضاق عليه الحق فالجور عليه أضيق).

وروى أيضاً أنه عندما عوتب الإمام على التسوية في العطاء، قال عليه السلام: (أتأمروني أن أطلب النصر بالجور فيمن وُلّيت عليه؟ والله لا أطور به ما سَمَر سميرٍ، وما أمَّ نجم في السماء نجماً. ولو كان المال لي لسويت بينهم، فكيف وإنما المال مال الله؟!).

٣ـ الإصلاح الديني والثقافي والإعلامي:

كان لاتساع رقعة دولة الإسلام، ودخول شعوب عديدة تحت سيطرة الحكم الإسلامي حاملةً خلفياتها الدينية والثقافية والسلوكية، وانشغال كثير من الرعيل الأول من المسلمين بالفتوحات، وفساد بعض الولاة أثرٌ سلبي على صعيد الحفاظ على المضمون الإسلامي للمجتمعات الإسلامية، فبرزت على أثر ذلك مظاهر طالما حاربها النبي صلى الله عليه وآله وسلم، من قبيل شرب الخمر والغناء وشعر المجون وانتشار القصّاصين رواة الأساطير والأحاديث الكاذبة. وقد اتخذ الإمام علي عليه السلام اجراءات في هذا الصدد، ولعل أهم عناوين الإصلاح في هذا الإطار ما جاء في خطاب مبكّر صادر عنه بُعيد تسلمه مقاليد الحكم حيث قال: (إنّ الله تعالى سبحانه أنزل كتاباً هادياً بيّن فيه الخير والشر، فخذوا نهج الخير تهتدوا، واصرفوا عن سمت الشر تقصدوا. الفرائض الفرائض، أدّوها إلى الله تودكم إلى الجنة. إن الله حرّم حراماً غير مجهول، وأحل حلالاً غير مدخول، وفضّل حرمة المسلم على الحُرَم كلها، وشدّ بالإخلاص والتوحيد حقوق المسلمين في معاقدها، فالمسلم من سلم المسلمون من لسانه ويده إلا بالحق، ولا يحل أذى المسلم إلا بما يجب... اتقوا الله في عباده وبلاده، فإنكم مسؤولون حتى عن البقاع والبهائم، وأطيعوا الله ولا تعصوه، وإذا رأيتم الخير فخذوا به، وإذا رأيتم الشر فأعرضوا عنه).

• رفض الإمام كل المحسوبيات في إصلاحاته، ولم يداهن حتى مع أقرب الناس إليه

ومن الإجراءات التي اتخذها على هذا الصعيد ما رواه ابن أبي الحديد من أن علياً كان يأمر بمحاربة شعراء أهل الشام الذين يروّجون شعر الأدْيِرة، وروى أن كعب بن جعيل عندما شرب الخمر وأقام علي بن أبي طالب عليه الحد، غضب ولحق بمعاوية وهجا علياً. كما حرق مركز صناعة الخمور وذلك فيما رواه ربيعة بن زكار قال: (نظر علي بن أبي طالب إلى قرية فقال: ما هذه القرية؟ قالوا: قرية تُدعى زرارة، يُلحَّن فيها ويُباع فيها الخمر... فأتاها بالنيران وقال: اضرموها، فإن الخبيث يأكل بعضه بعضاً.. فاحترقت).

معالم الإصلاح العَلَوي:

١ـ عدم المداهنة ورفض أية محسوبية في العملية الإصلاحية حتى مع أقرب الناس إليه، وقضية أخيه عقيل مشهورة حيث جاءه وقد كبر سنه وفقد بصره وكثر عياله فطالب بزيادة من بيت المال، فقرّب الإمام إلى يده حديدة محماة أوجعته، فقال له: (أتئن من حديدة أحماها إنسانها للعبه، وتجرّني إلى نارٍ سجّرها جبّارها لغضبه؟!).

٢ـ تعيين المراقبين العامّين، فقد تعددت ـ في مصادر التاريخ ـ رسائل الإمام عليه السلام التي كان يبعثها إلى ولاته ويذكر فيها أنه أحيط علماً بسلوك

غير مرضيٍّ عنه قد سلكه الوالي أو أحد موظفيه، وهو ما يعكس حقيقة أنه كان قد عيّن مراقبين مأمونين يقدّمون له التقارير المستمرة حول الأداء الوظيفي للولاة ومن يتبعهم، ففي نهج البلاغة أنه كتب إلى أحد ولاته: (أما بعد، فقد بلغني عنك أمر إن كنت فعلته فقد أسخطت ربك، وعصيت إمامك، وأخزيت أمانتك. بلغني أنك جرّدت الأرض، وأخـذت ما تحت قدميك، وأكلـت ما تحت يديك. فارفع إليّ حسابَك، واعلم أن حساب الله أعظم من حساب الناس. والسلام).

٣ـ اجتثاث الفساد من جذوره، فأنصـاف الحلول لم تكن لتُصلح الأوضاع، ولذا كان يصرّ على عزل بعض الولاة وإجراء القوانين بحذافيرها وإن أغضبت أقواماً وألّبت عليه آخرين.

٤ـ عدم التساهل في إنزال العقوبة بمن يستغـل منصبه لأهدافه الشخصية، ولذا وجّه كتاباً إلى زياد بن أبيه وكان نائباً لابن عباس على البصرة قال فيه: (وإني أقسم بالله قسماً صادقاً لئن بلغني أنك خنت من فيء المسلمين شيئاً صغيراً أو كبيراً، لأشدّنّ عليك شَدّة تدعك قليل الوفر، ثقيل الظهر، ضئيل الأمر، والسلام) نهج البلاغة.

٥ـ تقديـم أسس العمل الإدراي والسياسي لموظفيه، وقد حفظ لنا التاريخ مجموعة من النصوص المدوّنة بعضها يخص الولاة، وبعضها يخص جباة الصدقـات، وبعضها أمراء الجيـوش والأجنـاد. وأوسع وثيقة في هذا الصدد كتابه إلى واليه على مصر مالك الأشتر، وقد استعرضنا هذه الوثيقة ووثائق أخرى في صفحتنا هذه (منتقى الجمان).

> **• أنصاف الحلول لم تكن لتُصلح الأوضاع، ولذا كان يصرّ على عزل بعض الولاة وإجراء القوانين بحذافيرها وإن أغضبت البعض**

٦ـ فتح باب الحرية السياسية المسئولة، بحيث يحق لكل أحد أن يعبر عن رأيه وموقفه السياسي مادام كان منطلقه المصلحة العامة، وأن يناقش الإمام عليه السلام في قراراته، كما لم يحارِب أحداً لمجرد كونه معارضاً، بل إنه أعطى معارضيه الحرية في أن يسألوا وأن يعارضوا، ولكن عندما كانوا يسيئون إلى النظام ويعتدون على الأبرياء فإنه كان يتدخّل. وقد روي أنّ بعض الخوارج كان جالساً في مجلس علي عليه السلام وهو يتحدّث، فقال الخارجي: (قاتله الله كافراً ما أفقهه)، فوثب القوم ليقتلوه، فقال لهم الإمام: (رويداً، إنما هو سبّ بسبّ، أو عفو عن ذنبٍ).

إن ما سبق يمثل عرضاً سريعاً لمنهج ومعالم الإصلاح في سيرة أمير المؤمنين الإمام علي عليه السـلام، وحريٌّ بالمهتمين أن يطّلعـوا على تفاصيل البحث والنصوص من خلال الدراسات التي كتبها جمع من الباحثين والمختصين.

محطات شهر الخير

٢٧ رمضان ١٤٢٩ هـ / ٢٧ سبتمبر ٢٠٠٨



مَن فكّ أغلال الشياطين؟

لا أدري ما السبب الحقيقي وراء الإثارات الطائفية العنيفة والحزبية المقيتة (والتي تدور داخل الطائفة الواحدة أحياناً) حيث تطل علينا كل سنة في شهر رمضان، فتشغل الناس عن قضاياهم الحقيقية، وتعمّق جراحاتهم النازفة؟ هل يقف الإعلام وراء تلك الإثارات وتضخيمها ونقل الفعل ورد الفعل (يذكرني ذلك بفعل النمّامين ولكن بطريقة عصرية) بهدف التكسّب الإعلامي وملء الصفحات بما يجذب القرّاء في شهر يقلّ فيه الإقبال على الصحافة، أو جذب المشاهدين في شهر تحتدم فيه المنافسة بين القنوات الفضائية ولو بخراب بيوتهم؟

أم أن مكمن الخراب في النفوس ذاتها، فهي تَفيض بما امتلأت به من عُقد لتُفرغها حين تتراءى أمامها حالة من الانسجام والوئام تجمع بين كل المسلمين؟ فالنفس المعقّدة لا تتحمل هذه الصورة، والشياطين ـ حسب الأحاديث الشريفة ـ مغلولة في هذا الشهر، ممنوعة من التأثير على النفس البشرية، وهذا يعني أن ما تفيض به تلك النفوس إنما هو من وحي ذاتها المريضة، لا من وساوس الشياطين الرجيمة.

وإذا كان البعض يحمّل الفاعل والرّاد ذات المستوى من المسئولية ويطالبهما بالكف، فإن الإنصاف يستدعي أن يُلام البادئ، وأن يُعذَر صاحب رد الفعل مادام في مقام الدفاع عن النفس في حدود الفعل ذاته، على أن لا نستغرق في نهاية الطريق في مثل هذه النزاعات التي لا تخدم إلا الباطل وأنصاره.

• إن ما تفيض به النفوس من معاصي إنما هو من وحي ذاتها المريضة، لا من وساوس الشياطين الرجيمة

حقوق الإنسان:

تتجلى أروع الصور من مفردات حقوق الإنسان في شهر رمضان، فالتكافل والصدقة وإفطار الصائمين هي سمة هذا الشهر، وقد قدّم النبي صلى الله عليه وآله وسلم والأئمة من أهل البيت عليهم السلام صوراً رائعة في هذا الإطار، فعن الإمام الرابع علي بن الحسين زين العابدين

• تتجلى أروع الصور من مفردات حقوق الإنسان في شهر رمضان كالتكافل والصدقة وإفطار الصائمين

عليه السلام أنه كان إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمَة، وكان إذا أذنب العبد والأمة يكتب عنده: أذنب فلان، أذنبت فلانة يوم كذا وكذا، ولم يعاقبه فيجتمع عليهم الأدب (التأديب)، حتى إذا كان آخر ليلة من شهر رمضان دعاهم وجمعهم حوله ثم أظهر الكتاب ثم قال: يا فلان فعلت كذا وكذا، ولم أؤدبك أتذكر ذلك؟ فيقول: بلى يا ابن رسول الله، حتى يأتيِ على آخرهم، ويقرّرهم جميعاً، ثم يقوم وسطهم ويقول لهم: ارفعوا أصواتكم، وقولوا: يا علي بن الحسين إن ربّك قد أحصى عليك كل ما عملت كما أحصيت علينا كل ما عملنا، ولديه كتاب ينطق عليك بالحق، لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيت إلا أحصاها، وتجد كل ما عملت لديه حاضراً كما وجدنا كل ما عملنا لديك حاضراً، فاعفُ واصفح كما ترجو من المليك العفو، وكما تحب أن يعفو المليك عنك فاعف عنا تجده عفوّاً، وبك رحيماً، ولك غفوراً ولا يظلم ربك أحداً، كما لديك كتاب ينطق بالحق علينا لا يغادر صغيرة ولا كبيرة مما أتيناها إلا أحصاها، فاذكر يا علي بن الحسين ذل مقامك بين يدي ربك الحكَم العَدل، الذي لا يظلم مثقال حبة من خردل، ويأتي بها يوم القيامة وكفى بالله حسيباً وشهيداً، فاعف واصفح يعفُ عنك المليك ويصفح، فإنه يقول: (وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم). وهو ينادي بذلك على نفسه ويلقّنهم، وهم ينادون معه وهو واقف بينهم يبكي وينوح ويقول: ربّ إنك أمرتنا أن نعفو عمن ظلمَنا، وقد عفونا عمن ظلمَنا كما أمرتَ فاعفُ عنا، فإنك أولى بذلك منّا

• كان الإمام السجاد إذا دخل شهر رمضان لا يضرب عبداً له ولا أمَة، وكان يدوّن أخطاءهم ليسامحهم عليها لاحقاً

ومن المأمورين، وأمرتنا أن لا نردّ سائلاً عن أبوابنا، وقد أتيناك سؤّالاً ومساكين، وقد أنخنا بفنائك وببابك نطلب نائلك ومعروفك وعطاءك، فامنن بذلك علينا ولا تخيّبنا فإنك أولى بذلك منا ومن المأمورين، إلهي أكرمتُ فأكرِمْني إذ كنت من سؤّالك،

و جُدْتُ بالمعروف فأخلطني بأهل نوّالك يا كريم. ثم يُقبِل عليهم فيقول: قد عفوتُ عنكم، فهل عفوتُم عني ومما كان منّي إليكم من سوء ملكة؟ فإني مليك سوء لئيم ظالم مملوك لمليك كريم جواد عادل محسن متفضل (أقول: حاشا الإمام ذلك)؟ فيقولون: قد عفونا عنك يا سيدنا، وما أسأت، فيقول لهم قولوا: اللهم اعفُ عن علي بن الحسين كما عفا عنا، فأعتقه من النار كما أعتق رقابنا من الرق. فيقولون ذلك، فيقول: اللهم آمين رب العالمين، اذهبوا فقد عفوتُ عنكم وأعتقت رقابكم رجلاً للعفو عني وعتق رقبتي، فيعتقهم، فإذا كان يوم الفطر أجازهم بجوائز تصونهم وتغنيهم عمّا في أيدي الناس.

الوداع :

شارف شهر الخير على الانتهاء، ومضت معه الساعات المباركة التي كنا فيها في ضيافة الله عزوجل، وما أجلّها من ضيافة ! إكرامٌ في كل لحظة من لحظاتها، وبركات لا تنقطع نزولاً على الصائمين، فهنيئاً لمن صام، ويا حسرةً على من فرّط، ونسأل الله لهم التوفيق في ما يأتي من عمرهم لنيل هذه الكرامة الإلهية والمواهب الربانية. وهنيئاً لمن حصد من شهرِ الخير زاداً من التقوى، وزاداً من حُسن الخُلق، وزاداً من نبضات الرحمة في قلوب قسّتها المعاصي والتمادي في حب الذات ونسيان الآخرة والانغماس في ملذات الدنيا الفانية.

• شارف شهر الخير على الانتهاء، ومضت معه الساعات المباركة التي كنا فيها في ضيافة الله، ونسأل الله لمن فرّط في صيام هذا الشهر التوفيق في ما يأتي من عمرهم لنيل الكرامة الإلهية والمواهب الربانية



الاقتصاد و الأخلاق ـ ١

٥ شوال ١٤٢٩ هـ / ٤ أكتوبر ٢٠٠٨

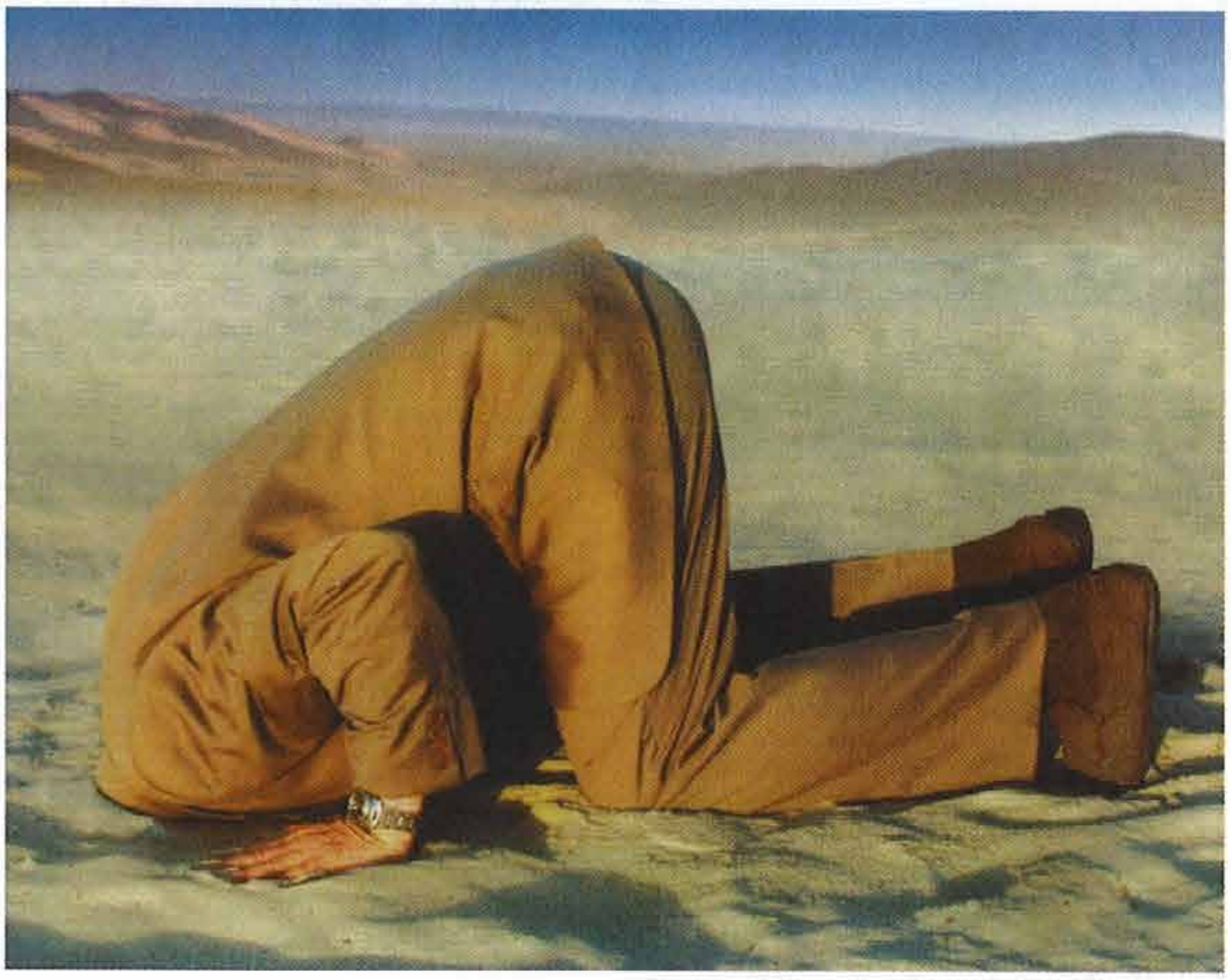

(ركود طويل ومؤلم في حال فشل الكونغرس في معالجة الأزمة المالية التي تعصف بالبلاد.. قطاعات رئيسة بالنظام المالي لأميركا تواجه خطر الإغلاق والمزيد من البنوك قد تنهار وهو ما يهدد بانزلاق الاقتصاد الأميركي إلى الركود.. إن الاقتصاد الأميركي برمته في خطر)... الرئيس الأمريكي.

(الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية الأزمة المالية العالمية الراهنة.. وهي حملة أنجلوساكسونية لتحقيق أرباح كبيرة ومكافآت هائلة للمصرفيين وكبار مديري الشركات)... وزير المالية الألماني.

(أنا قلق إزاء الآثار المترتبة على هذه الأزمة والتي قد تعرض دول العالم الثالث لظروف أشد صعوبة)... رئيس البنك الدولي.

(التكلفة الإجمالية للأزمة المالية العالمية زادت إلى ١,٣ تريليون دولار من التقديرات السابقة التي كانت تدور حول تريليون دولار)... المدير التنفيذي لصندوق النقد الدولي.

مربط الفرَس:

هذه الهزة العالمية (ومركزها الولايات المتحدة) دفعت المهتمين بالشأن الاقتصادي للحديث مجدداً عن الخلل في علاقة الاقتصاد بالأخلاق، حيث شكّل غياب الأخلاق في النظام الاقتصادي الرأسمالي عاملاً رئيساً في ما آلت إليه الأوضاع، وما يمكن أن تصلٍ إليه، وهو ما صرّح به مؤخراً عدد من رجال السياسة والاقتصاد.

الحرية الاقتصادية:

ذهب أنصار المذهب الرأسمالي إلى اعتبار: حرية الإنسان في الحقل الاقتصادي تملكاً واستغلالاً واستهلاكاً هو حجر الأساس الذي ترتكز عليه كل الحقوق

• الولايات المتحدة تتحمل مسؤولية الأزمة المالية العالمية الراهنة.. وهي حملة أنجلوساكسونية لتحقيق أرباح كبيرة للمصرفيين وأمثالهم

والقيم التي تنادي بها الرأسمالية، معتبرين أن الحرية وسيلة لتحقيق المصالح العامة ولتنمية الإنتاج وللتعبير عن الكرامة الإنسانية، وهي في الواقع عناوين براقة لحقائق تختلف تماماً عن مدلولاتها. يقول الفرنسي أندريه كونت سبونفيل في كتابه (هل الرأسمالية أخلاقية): [الصعوبة تكمن في أننا جميعاً نقيم على الدوام في هذه الأنساق في وقت ما، ولا شيء يضمن أنها تتخذ جميعها الوجهة نفسها].

وقالوا: الإنسان في المجتمع الحر يسعى إلى تحقيق مصالحه الخاصة، والتي تؤدي في النهاية إلى توفير المصالح العامة، وعليه فإن ضمان سعادة المجتمع ليس بحاجة إلى القيم الأخلاقية والروحية، لأن كلِ إنسان ـ وإن لم يعرف شيئاً عن تلك القيم ـ يسير طِبقاً لمصلحته الخاصة إذا كفلت له الحرية عملياً، لأنه سيبحث عن كل وسيلة تكفل له نجاح مشروعه على ضوء التنافس القائم مع الآخرين، ومن يتخلف سيفلس مشروعه، فالمنافسة الحرة سيف مسلّط على رقاب المنظمين، يطيح بالضعيف والمهمل والمتكاسل، ويضمن البقاء للأصلح، وفي هذا مصلحة المجتمع بلحاظ الدفع للاستفادة الدائمة بنتاج العقل العلمي والفني وإشباع الحاجات الإنسانية بأقل كلفة ممكنة.

فما الحاجة إذاً إلى القيم وتوجيه النصائح الأخلاقية؟ وما الحاجة إلى المواعظ التي تحث على المساهمة في أعمال البر والإحسان مادام أن الفرد بذاته يندفع نحو ذلك بدافع من مصلحته الخاصة بوصفه جزء من المجتمع؟ حقيقة أم وهم؟

إلا أن التجارب على مدى قرون تؤكد أن تحقيق الصالح العام مع التخلي عن التربية الأخلاقية والقيم الروحية وفي ظل النظرية الرأسمالية أدعى إلى السخرية منه إلى القبول، بعد أن ضج تاريخ الرأسمالية بفجائع وكوارث يقل نظيرها في التاريخ، وتناقضات صارخة بين المصالح الخاصة والعامة، وفراغ هائل أحدثه الاستغناء عن الكيان الأخلاقي والروحي للمجتمع، فامتلأ بدلاً عنها بألوان من الظلم والاستهتار والطمع.

قال فيشر في كتابه ـ تاريخ أوربا الحديث ـ: [كان يؤمّل من الحكومات أن تكبح

• تحقيق الصالح العام مع التخلي عن التربية الأخلاقية وفي ظل الرأسمالية أدعى إلى السخرية منه إلى القبول

بنوع خاص شرور النظام الرأسمالي وآثامه. هذه الشرور التي تظهر في تبديد الجهود نتيجة للمزاحمة المطلقة، وفي عدم حرص الشركات ذات المسؤولية المحدودة على النفع والصالح العام، وفي ضغط مؤثرات الممولين الأثيمة على المجالس النيابية وشؤون التشريع، واستغلال الضعفاء وتسخيرهم، والتفاوت الهائل في الثروة بين إنسان وآخر].

وقد صرّحت المستشارة الألمانية ميركل بأهمية العلاقة بين الاقتصاد والأخلاق بصورة كبيرة، واستشهدت ذات مرة بمقولة الاقتصادي لودفيغ إيرهارد الذي يعد العقل المدبر لنظام اقتصاد السوق الاجتماعي من: [أن اقتصاد السوق الاجتماعي، يعني مسئولية الفرد الأخلاقية تجاه المجتمع].

تعديلات فاشلة:

وقد أدرك الرأسماليون أنفسهم أن النظرية بحاجة إلى تعديل وتجديد، وإلى الاستعانة بجوانب من نظريات اقتصادية أخرى ومنها الاشتراكية، وهو ما دعى إليه الرئيس الفرنسي مؤخراً، بل وتمثّل عملياً في ما قامت به الإدارة الأمريكية مؤخراً، حيث اضطرت إلى التدخل الواسع والعميق والسريع في صميم الممارسات الرأسمالية، إذ قامت الحكومة الفدرالية بتأميم أكثر من مؤسسة اقتصادية ومالية، وتريد أن تضخ ٧٠٠ مليار دولار لتعديل وضع السوق، في الوقت الذي كان يعيّر رأسماليو أمريكا فيه دولاً عديدة بسياسة التدخل ابتغاء الحفاظ على التوازن.

• أدركت الرأسمالية أنهم بحاجة إلى تعديل وتجديد وممازجة مع نظريات أخرى

وتأتي هذه التعديلات من أجل تخفيف حدة العواقب السلبية لتطبيق الحرية الاقتصادية الكاملة، حيث أصبحت الرأسمالية في صيغتها الكاملة شيئاً من التاريخ أكثر من كونها واقعاً مطبقاً في السوق، بل إن الصيغ المعدّلة على الرأسمالية، لاسيما في ظل العولمة الاقتصادية، لم تقدم الحل للمجتمعات البشرية، بل تفاقمت الأزمات الاقتصادية في كثير من الدول، وزادت طبقة الفقراء اتساعاً، وباتت الطبقة المتوسطة شبه معدومة، وازداد الأغنياء ثراءً فاحشاً.

وإذا كانت المصالح الشخصية للفرد وفق الرأسمالية تدفعه أحياناً إلى تحقيق المصالح العامة لأنها في صالحه أيضاً، إلا أنها لا تحقق الجانب الذاتي من تلك القيم، ولا تصنع من الإنسان إنساناً في عواطفه ومشاعره ودوافعه، فإن الأخلاق ليست ذات قيمة موضوعية فحسب، بل هي ذات قيمة ذاتية أيضاً لا تقل عن قيمتها الموضوعية في تكميل الحياة الإنسانية وإشاعة روح السعادة والهناء النفسي فيها.

وسنستعرض في العدد القادم بإذن الله تعالى كيف ربط الإسلام بين الأخلاق وبين العملية الاقتصادية.

الاقتصاد و الأخلاق ـ ٢

١٩ شوال ١٤٢٩ هـ / ١٨ أكتوبر ٢٠٠٨



تطرقنا في القسم الأول من هذا الموضوع إلى آثار الهزة الاقتصادية العالمية (ومركزها الولايات المتحدة) والتي دفعت المهتمين بالشأن الاقتصادي للحديث مجدداً عن الخلل في علاقة الاقتصاد بالأخلاق، حيث شكّل غياب الأخلاق وتسلط الحرية المفرطة في النظام الاقتصادي الرأسمالي ـ بحسب هؤلاء ـ عاملاً رئيساً في ما آلت إليه الأوضاع.

ومن هنا نريد تسليط الضوء على معالم الاقتصاد الإسلامي الذي يتميز بالحضور الأخلاقي الفاعل في العملية الاقتصادية، وهو ما سيتضح من خلال الاطلاع على هيكله العام والذي رسمه الشهيد السيد محمد باقر الصدر رحمه الله في كتابه القيّم (اقتصادنا).

١ـ مبدأ الملكية المزدوجة:

المجتمع الرأسمالي يؤمن بالشكل الفـــردي للملكية كقاعدة عامة، ولا يعتـــرف بالملكيـــة العامة إلا حـــين تفرض الضرورة الاجتماعية القيام بالتأميم (كما حصل مؤخراً في الولايات المتحدة).

أما المجتمع الاشتراكي فالملكية الاشتراكيـــة فيه هي المبدأ العـــام، وقد يعترف بالملكية الفردية استثناء بحكم ضرورة اجتماعية قاهرة.

ويختـــلف الإسلام عن الرأسماليـــة والاشتراكية في نوعية الملكيـــة التي يقررها

- الإسلام يؤمن بالملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة

اختلافاً جوهرياً، فهو يؤمن بالملكية الخاصة والملكية العامة وملكية الدولة، ويخصص لكلٍ من هذه الأشكال الثلاثة حقلاً خاصاً تعمل فيه، ولا يعتبر شيئاً منها حالة استثنائية، أو علاجاً مؤقتاً، ولذا يمكن التعبير عن هذا النوع من الملكية بالملكية المزدوجة.

وليس هناك أدل على صحة الموقف الإسلامي من الملكية من واقع التجربتين الرأسمالية والاشتراكية،فكلتاهما اضطرتا للاعتراف بالشكل الآخر للملكية (أقول: بل وتهاوت الاشتراكية بسرعة في عقر دارها وأصبحت شيئاً من الماضي، كما ترتفع الصرخات من كل مكان لتعديل النظرة الرأسمالية لهذه القضية على أثر الأوضاع الأخيرة في الولايات المتحدة) لأن الواقع برهن على خطأ الفكرة القائلة بالشكل الواحد للملكية.

٢ـ مبدأ الحرية الاقتصادية في نطاق محدود:

وهذا يعني حضور القيم المعنوية والخلقية التي يعتبر الإسلام أنها ضرورية لمنع ظهور سلبيات عديدة على الصعيد الاقتصادي، ويتحقق ذلك بصورتين:

الأولى: التحديد الذاتي الذي ينبع من أعماق النفس ويستمد قوته من المحتوى الروحي والفكري للشخصية الإسلامية، ويتكون طبيعيا في ظل التربية الخاصة التي ينشئ الإسلام عليها الفرد. وهي في واقعها ليست تحديداً للحرية بل إنشاء للمحتوى الداخلي للإنسان الحر انشاءً معنوياً صالحاً، فتؤدي الحرية في ظله رسالتها الصحيحة، لتبرز من خلالها مظاهر الرحمة والعدل وأعمال البر (الزكاة والصدقات وقرض الحسنة وما إلى ذلك).

• لا حرية فيما نصّت عليه الشريعة من نشاطات تتعارض مع المثُل والغايات كالربا

الثانية: التحديد الموضوعي الخارجي الذي يُفرض بقوة الشرع، فلا حرية للفرد فيما نصّت عليه الشريعة الإسلامية من ألوان النشاط التي تتعارض مع المثُل والغايات التي يؤمن الإسلام بضرورتها من قبيل الربا والاحتكار والغش.

٣ـ مبدأ العدالة الاجتماعية:

فقد زوّد الإسلام نظام توزيع الثروة في المجتمع بمجموعة من الضمانات التي تكفل للتوزيع قدرته على تحقيق العدالة الاجتماعية والحفاظ على انسجامه مع القيم التي يرتكز عليها. وعمل على تحقيق ذلك من خلال مبدئين عامين لكل واحد منهما خطوطه وتفصيلاته:

• زوّد الإسلام نظام توزيع الثروة بضمانات تكفل تحقيق العدالة الاجتماعية

أ ـ مبدأ التكافل العام، بأن يُفرض على المسلمين ـ على نحو الوجوب الكفائي ـ كفالة بعضهم لبعض، كل بحسب إمكاناته وبما ترتفع معه حاجة

المحتاجين. وهي ليست ضريبة التفوق في الدخل فحسب، بل وتعبير عملي عن مبدأ الأخوة الإسلامية. كما أن على الدولة مسئولية ضمان معيشة المعوزين والعاجزين بقطع النظر عن الكفالة الواجبة على الأفراد أنفسهم.

ب ـ مبدأ التوازن الاجتماعي، فالإسلام يؤمن بأن التفاوت في الثروات بين الأفراد أمر طبيعي يفرضه الاختلاف في المستويات الفكرية والعملية بينهم، كما يفرضه أيضاً المنطق القائل بأن العمل هو أساس الملكية. إلا أن هذه الحقيقة لا تعني السماح بتفشي حالات الفقر والإعواز بين أفراد المجتمع، بل على الدولى أن تسعى في حدود صلاحياتها إلى إيجاد حالة من التوازن بين أفراد المجتمع في مستوى معيشتهم (لا في مستوى الدخل)، بحيث تسعى لرفع حالة الفقر عن أفراد المجتمع مادام الغنيِ متحققاً عند البعض وممكناً (الغنى هنا يقابل الفقر وليس بمعنى امتلاك ثروة كبيرة). وفي الخبر المروي عن الإمام موسى الكاظم عليه السلام بشأن مسئولية الوالي في أموال الزكاة إن لم تفِ بحاجات المجتمع: [وإن نقص من ذلك شئ ولم يكتفوا به، كان على الوالي أن يموّنهم من عنده بقدر سعتهم حتى يستغنوا]، فالهدف النهائي الذي يحاول الإسلام تحقيقه ويلقي مسئوليته على الوالي هو رفع حاجة المعوزين ورفع مستواهم المعيشي إلى الحد الطبيعي وفق الظروف العامة الحاكمة في ذلك الزمان والمكان.

• الإسلام يؤمن بأن التفاوت في الثروات بين الأفراد أمر طبيعي يفرضه الاختلاف في المستويات الفكرية والعملية بينهم

ـ تم تأجيل نشر هذه المقالة أسبوعاً واحداً عن الموعد المقرر وذلك لما أثير في الصحافة من كلام غير دقيق حول مدخلية علم الفلك في تحديد بدايات الأشهر القمرية، وهو ما استوجب التوضيح من خلال المقالة التالية.



كذب الفلكيون ولو صدقوا !!

١٢ شوال ١٤٢٩ هـ / ١١ أكتوبر ٢٠٠٨

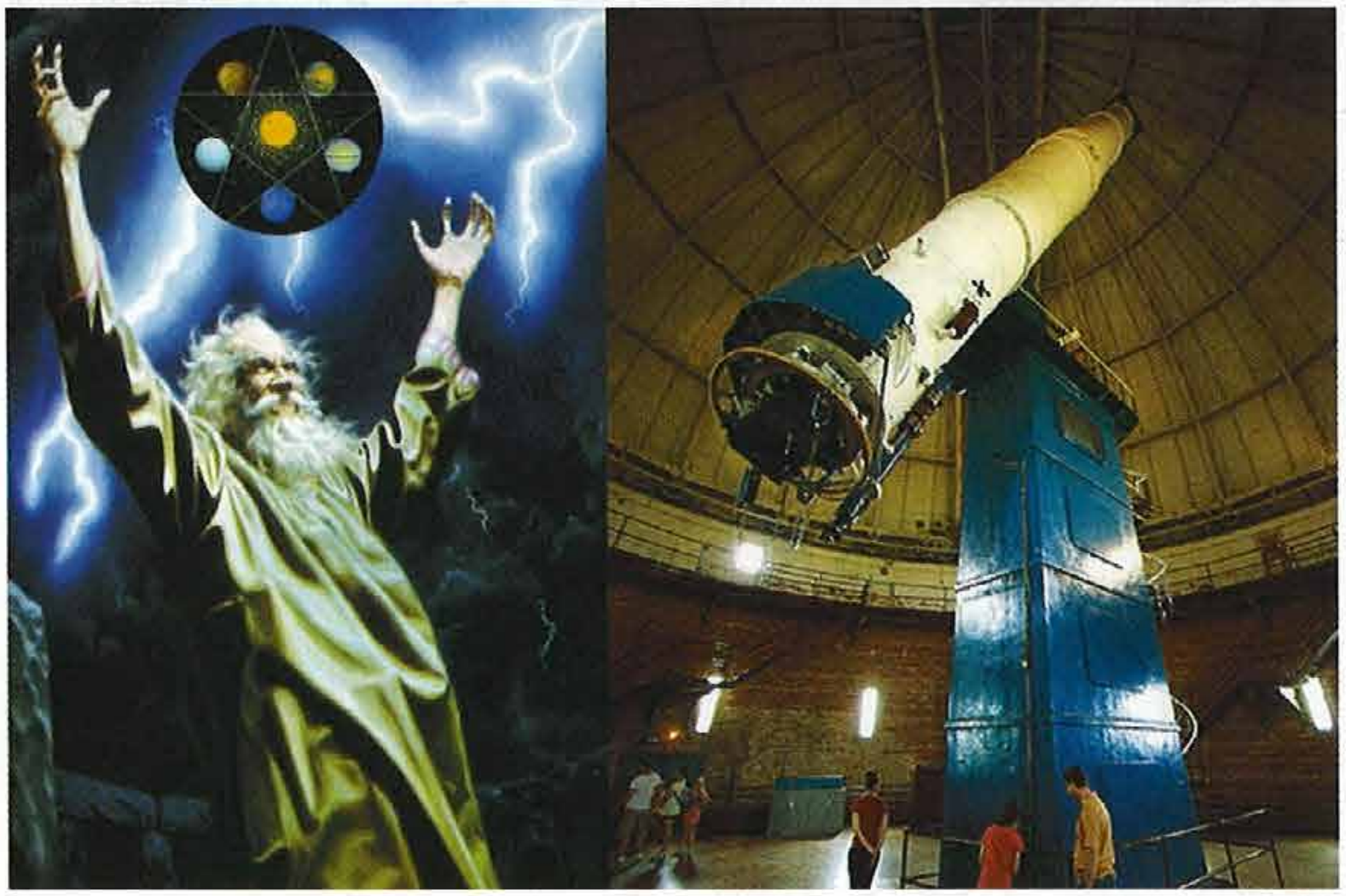

ـ طور علماء الفضاء العديد من الأجهزة الدقيقة التي تستطيع رصد مختلف الأشعة الكهرومغناطيسية المرئية منها و غير المرئية لمختلف الأجرام السماوية مهما اختلف بعدها عن الأرض. و قد بلغت هذه الأجهزة درجة تمكنها من رصد أصغر الأجسام، بحيث أن لو وضعت شمعة على سطح بلوتو الذي يبعد٥,٧٦٣,٩٢٠,٠٠٠ كم عن الأرض، لاستطاعت هذه الأجهزة رؤية النور الساطع منها.

ـ استخدم الفلكيون الاسترالیون عدداً من أحدث الأجهزة الفلكية في العالم لقياس عدد النجوم التي يمكن رؤيتها بالمناظير الفلكية، ومن خلال تلك القياسات توصلوا إلى تصور جديد للكون المرئي، حيث توصلوا إلى أن عدد النجوم يبلغ ٧٠ سكستيليون نجماً (سبعة وإلى يمينها ٢٢ صفراً)!! وهذا الرقم أكبر من عدد حبات الرمال الموجودة في كل الشواطىء والصحاري في الأرض.

ـ في عام ٢٠٠٤ تم اكتشاف مجرة جديدة، تعد أبعد جسم معروف عن كوكب الأرض، وتم تصويرها وبث صورها عبر وسائل الإعلام، وهي تبعد حوالي ١٣ مليار سنة ضوئية عن كوكب الأرض (السنة الضوئية = ٣٠٠ ألف × ٦٠ × ٦٠ × ٢٤ × ٣٦٥ = تسعة ترينيونات وأربع مئة وستين بليوناً وثماني مئة مليون كيلومتر)، واستخدم العلماء معدات خاصة لرصد المجرة، تمثلت في تلسكوبين عملاقين: الأول في الفضاء، والثاني في هاواي.

ـ وضع العلماء على سطح القمر عدة مرايا تمكنهم من إرسال الإشارات إلى سطح القمر و استقبالها في الأرض و يحدد من خلالها موقع القمر بدقة متناهية و كذلك بعده عن الأرض. وقد اكتشف العلماء أن القمر يبتعد بمقدار ٤ سم من الأرض في كل عام.

منجمون أم فلكيون ؟

دار الحديث مؤخراً حول دور

علم الفلك في تحديد بدايات الأشهر القمرية، والنهي عن الأخذ بالحسابات الفلكية للنهي الصادر في بعض الأحاديث الشريفة عن الأخذ بقول المنجمين والفلكيين، وأن إطلاق الروايات الواردة في حقهم يدل على عدم اعتبار أقوالهم حتى بالنسبة إلى ثبوت الهلال، فلا يثبت الهلال بقول المنجمين!!

ولست هنا بصدد بيان أدلة الأخذ بالحسابات الفلكية في إثبات بدايات الأشهر، والاكتفاء بقول الفلكيين في تحديدها، فلهذا بحث آخر أكثر تفصيلاً، بل أرمي إلى توضيح بعض الحقائق لاسيما مع عدم الدقة العلمية في ما قيل، والخلط القائم بين التنجيم Astrology وعلم الفلك Astronomy.

مرونة الشريعة:

تمتاز الشريعة الإسلامية باختزانها لقدرة التحرك التشريعي، مما يجعلها قادرة على مواكبة التغيّرات ضمن عملية الاجتهاد التي ينهض بمسئوليتها الفقهاء وفق قواعد معينة. ومن الأمثلة على ذلك ما ورد في أمر تشريح الجثث والتعرّض لها بعد الموت من نهيً حتى قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: (كسر عظم الإنسان ميتاً ككسره حياً)، أو: (إن الله حرّم المثلة ولو بالكلب العقور).

• تمتاز الشريعة الإسلامية باختزانها لقدرة التحرك التشريعي، مما يجعلها قادرة على مواكبة التغيّرات ضمن عملية الاجتهاد

وهذان الحديثان واضحان في حرمة التعرض لجثث الموتى. أما في العصر الحاضر فقد صار للتشريح منافع جمة، في مجال تعلم الطب وتحقيقات الجرائم وغيرهما. لذلك لم يرَ الفقهاء بأساً في الإفتاء بجواز هذا الأمر لغرض عقلائي فيه منفعة.

ومن يريد أن يبحث في إمكانية الأخذ بالحسابات الفلكية الدقيقة في تحديد بدايات الأشهر اعتماداً على أمرين: ولادة الهلال و إمكانية الرؤية، فلابد أن يأخذ بعين الاعتبار الحقيقة السابقة، أي دراسة الموضوع ضمن المستجدات والمعطيات العلمية المعاصرة، لا التوقف عند زمن صدور النص.

حقائق أم ظنون ؟

في قاموس المنجد في اللغة العربية المعاصرة نجد تعريف علم الفلك بأنه: (علمٌ يبحث في الأجرام السماوية من حيث تكوينهما ومواقعها وقوانين سيرها). أمّا التنجيم فيعرّفه هذا القاموس بأنه: (علم يبحث في تأثير حركات النجوم على مجرى الأحداث، ويستخلص منها تنبؤات مستقبلية ذات تأثير مزعوم على حياة الناس وطباعهم).

ولأن علم الفلك القديم، في العصرٍ الإسلامي الأول كان مشوباً ومختلطاً بالتنجيم وبأفعال المنجمين الذين يدّعون معرفة الغيب وقدرة

التأثير على الناس فقد ورد النهي عنه بأشد العبارات حتى روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (من صدّق كاهناً أو منجّماً فقد كفر بما أُنزل على محمد). أو قول الإَمام الصادق عليه السلام: (إنكم تنظرون في شيء كثيره لا يُدرك وقليله لا ينفع).

قال الشيخ الدكتور عبدالهادي الفضلي في كتابه مبادىء علم الفقه: (ما نهت عنه النصوص الشرعية ليس هو هذا الحساب الحديث، لأنه لم يكن معهوداً بحداثته وقت صدور النص، وإنما الذي نهت عنه هو حساب النجوم أو علم التنجيم أو حساب التقاويم، وهما غير الحساب الفلكي الآلي الحديث).

وقال المرجع الديني الشيخ جعفر السبحاني في كتابه الصوم في الشريعة الإسلامية الغراء: (إن علم النجوم في مصطلح القدماء هو العلم بآثار حلول الكواكب في البروج والدرجات... وأما علم النجوم في مصطلح اليوم فهو عبارة عن حساب حركة

• الدكتور الفضلي: ما نهت عنه النصوص الشرعية ليس هو هذا الحساب الحديث

الشمس والإخبار عن أوائل الشهور الرومية والفارسية ورصد حركات القمر وما شابه ذلك، فأين هذا المعنى من علم النجوم بالنسبة إلى المعنى السابق؟... وهو علم ذو قواعد رصينة مبنية على حسابات رياضية قلّما تخطىء، ولذلك نأخذ بها في تعيين وقت الخسوف والكسوف ودخول الأوقات ومحاذاة القبلة والعرض الجغرافي للبلد وطوله).

وقال المحقق الكركي (ت ١٥٣٤م) في كتابه جامع

• القائلون بالنهي عن الأخذ بقول الفلكيين يعتمدون على الحسابات الفلكية للصلاة !!

المقاصد: (اعلم أن التنجيم مع اعتقاد أن للنجوم تأثيراً في الموجودات السفلية، ولو على جهة المدخلية حرام، وكذا تعلم النجوم على هذا الوجه، بل هذا الاعتقاد كفر في نفسه، نعوذ بالله منه... وأما علم الهيئة [علم الفلك] فلا كراهية فيه، بل ربما كان مستحباً، لما فيه من الاطلاع على عظم قدرة الله تعالى).

حجية علم الفلك:

ثم من الغريب أن القائلين بالنهي عن الأخذ بقول الفلكيين يعتمدون أنفسهم على الحسابات الفلكية في تحديد مواقيت الصلاة بدقة، والخسوف والكسوف، وتحديد وقت ولادة الأهلة، ولقرون قادمة!! حتى إذا جاءوا إلى قضية دور الفلكيين في تحديد بدايات الأشهر من خلال مدى إمكانية الرؤية بعد الولادة، أنكروا حجية قول الفلكي مطلقاً وتمسكوا بالنهي الصادر في الأحاديث الشريفة!!

بل تجدهم يعتمدون على الفتوى القائلة بأنه: (في شهادة

العدلين بالهلال لابد أن تكون شهادتهما غير معارَضة حُكماً بشهادة أخرى، وإلا فلا يؤخذ بها، فإذا أخبر الفلكيون بعدم كون الهلال قابلاً للرؤية بالعين المجردة و حصل الوثوق بصحة ما يقولون، فهذا يعني الوثوق بوقوع العدلين بالخطأ والاشتباه، فتترك شهادتهما لذلك) كتاب الفوائد الفقهية للمرجع الديني السيد علي السيستاني.

وفي هذا دلالة واضحة على حجية قول الفلكي (ولو من حيث الإمكان)... ولو فرضنا وجود النهي عن الأخذ بكلامهم لرُفض في جانبي النفي والإثبات معاً.

التعارض بين العلم والوحي:

وخلاصة الكلام أن علم الفلك (وبمعونة العلوم ذات الصلة كالفيـــزياء النووية والفضاء) قد شهد اليوم من التطورات المذهلة ما نجزم معه أنه ليس موضوع الأحاديث الناهية عن الأخذ به، وأن علم الفلك شئ، والتنجيم شئ آخر، وإن من السخف بمكان الحديث عن رفض الأخذ بمعطيات هذه العلوم إن وصلت إلى حد اليقين أو الاطمئنان، لأن أقل المتعلمين يدرك أن الاطمئنان واليقين في ذاتهما حجة، ولا يمكن أن يقع التعارض بين العلم اليقيني وبين الوحي، لأن منزل الوحي هو الحكيم الذي خلق الكون و دبّر الأمور ووضع في مخلوقاته القوانين التي

• العالم الإسلامي مقبل على الأخذ بالمعطيات الدقيقة لعلم الفلك خلال السنوات القادمة

تدير وجودها، ثم دعا الناس للتدبر فيها والاستفادة منه (إِنَّ فِي خَلْقِ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَاخْتِلافِ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ لآيَاتٍ لِأُولِي الأَلْبَابِ) (آل عمران:١٩٠)، (هُوَ الَّذِي جَعَلَ الشَّمْسَ ضِيَاءً وَالْقَمَرَ نُوراً وَقَدَّرَهُ مَنَازِلَ لِتَعْلَمُوا عَدَدَ السِّنِينَ وَالْحِسَابَ مَا خَلَقَ اللَّهُ ذَلِكَ إِلَّا بِالْحَقِّ يُفَصِّلُ الْآيَاتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) (يونس:٥).

وليسَ الإصرار على القول بالمنع من الأخذ بيقينيات العلوم - ومنها علم الفلك - إلا تحفيز للآخرين للسخرية من الإسلام ومن مدرسة أهل البيت عليهم السلام، والتي تعد بحق منبع الحكمة والعلم والتحضّر.

إن العالم الإسلامي مقبل - بإذن الله تعالى - على الأخذ بالمعطيات الدقيقة لهذا العلم خلال السنوات القادمة في تحديد بدايات الأشهر القمرية، والمسألة هي مسألة وقت لا أكثر... فالدين في ركب العلم... والعلم في خدمة الدين.

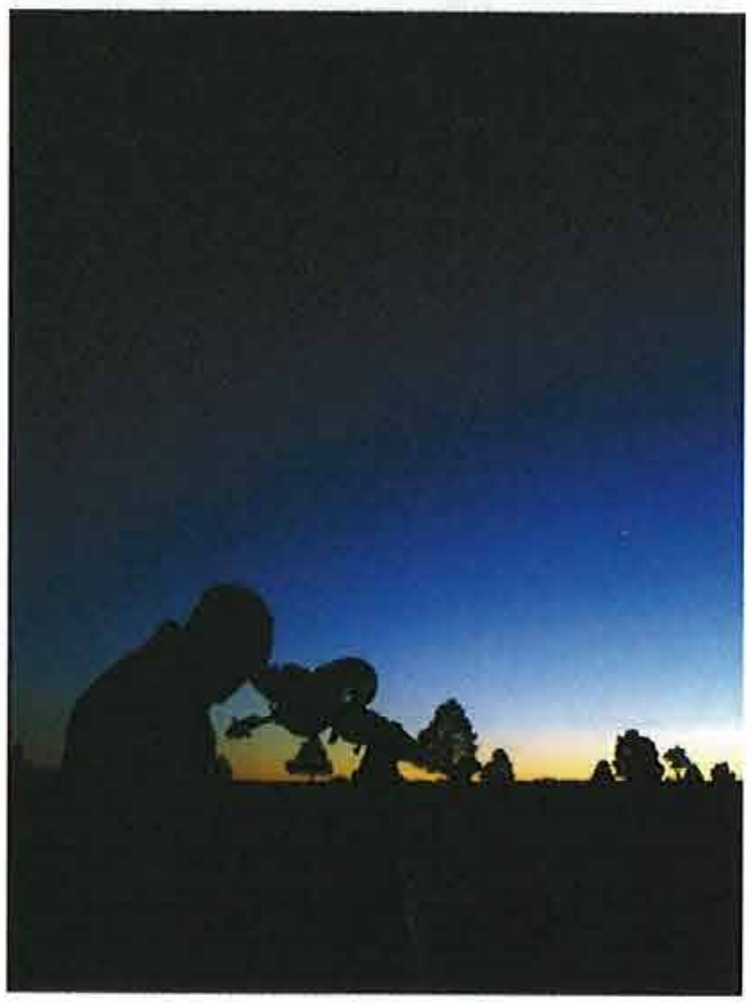

الفرقة الناجية

٢٦ شوال ١٤٢٩ هـ / ٢٥ أكتوبر ٢٠٠٨

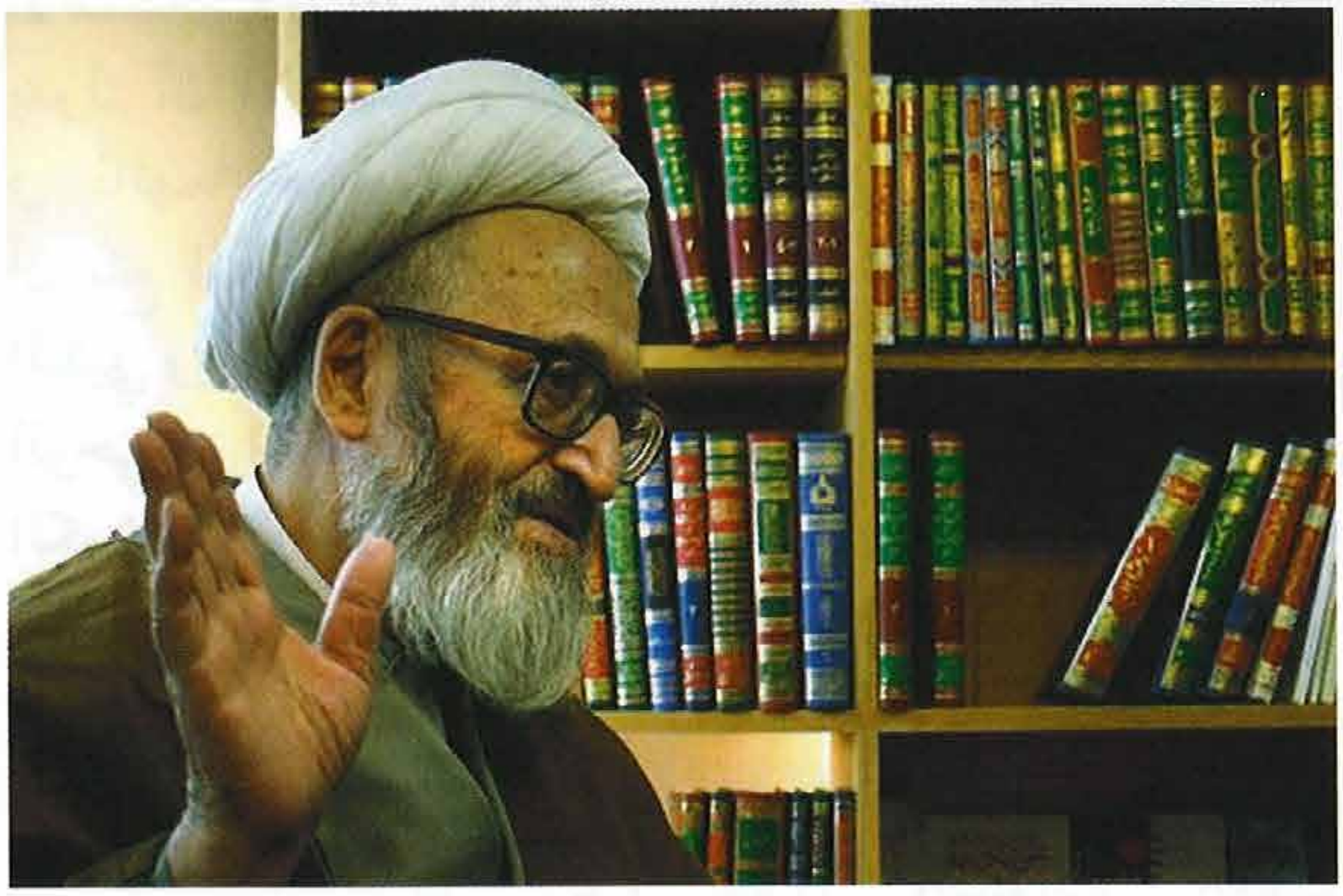

ما فتئت كل فرقة من فرق المسلمين ـ طوال قرون مضت على الأمة الإسلامية ـ تتمسك بأنها الفرقة الناجية التي أشار إليه الحديث المروي عن النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم: [إنّ أمّتي تفترق علي ثلاث وسبعين فرقة]... وكل يدّعي وصلاً بليلى... حتى بات مضمون هذا الحديث من محفّزات التراشق بالكفر ومبررات التكفير.

ومادام النص بهذه الحساسية، فمن مسئولية العلماء والمحققين أن ينبروا لدراسة هذا الحديث من جديد سنداً ومتناً وإسقاطاً على الواقع، لعلهم يتوصلون إلى نتائج تجير الأمة من العواقب الوخيمة التي تترصد بها إن هي استسلمت لمدلول النص وفق ما هو متداول عامةً. وأجد من المناسب هنا أن أقدم تلخيصاً للدراسة التي نشرها العلامة الشيخ جعفر السبحاني حفظه الله ـ وبتصرف ـ في مقدمة موسوعته (بحوث في الملل والنحل).

سند الحديث:

روي الحديث المذكور في الصحاح والمسانيد بأسانيد مختلفة، وممن رد سنده ابن حزم في كتابه: (الفصل في الأهواءِ والملل) قال: [ذكروا حديثاً عن رسول اللّه صلّى الله عليه وآله وسلّم (أنّ القدرية والمرجئة مجوس هذه الأمة) وحديث آخر (تفترق هذه الأمّة على بضع وسبعين فرقة كلّها في النار حاشا واحدة فهي في الجنة)]. ثم قال: [هذانِ حديثان لا يصحان أصلاً من طريق الأسناد، وما كان هكذا فليس حجّة عند من يقول بخبر الواحد، فكيف من لا يقول به؟!]. وقد اعتبر الحاكم النيسابوري أنه قام برواية الحديث عن سند صحيح يرتضيه الشيخان،

• بات مضمون حديث الفرقة الناجية من محفّزات التراشق بالكفر

وقد استدرك عليه الذهبي بأنّ في سنده (محمّد بن عمرو) ولا يحتج به منفرداً ولكن مقروناً بغيره، فإذا كان هذا حال السند الذي بذل الحاكم جهده لتصحيحه، فكيف حال سائر الأسانيد؟! وهكذا ضعّف الحديث الشيخ محمد زاهد الكوثري في تعليقه على ما رواه أبو داود والترمذي في سننهما، وابن ماجة في صحيحه.

نص الحديث:

إنّ مشكلة اختلاف نصوص الحديث لا تقل إعضالاً عن مشكلة سنده، فقد تطرّق إليه الاختلاف من جهات:

١ـ الاختلاف في عدد الفرق، فقد روى الحاكم عدد فرق اليهود والنصارى مردّداً بين ٧١ و ٧٢، بينما رواه عبد القاهر البغدادي بأسانيده عن أبي هريرة على وجه الجزم والقطع، وأنّ اليهود افترقت إلى ٧١ فرقة، وافترقت النصارى على ٧٢ فرقة، وفي الوقت نفسه روى بسند آخر افتراق بني إسرائيل على ٧٢ ملّة.

• مشكلة اختلاف نصوص الحديث لا تقل إعضالاً عن مشكلة سنده، فقد تطرّق إليه الاختلاف من جهات

٢ ـ الاختلاف في عدد الناجين والهالكين، فإنّ أكثر الروايات تصرّح بنجاة واحدة وهلاك الباقين، بينما قال شمس الدين محمد بن أحمد البشاري في كتابه (أحسن التقاسيم في معرفة الأقاليم) بصورة تضاده إذ قال: [إنّ حديث (اثنتان وسبعون في الجنة وواحدة في النار) أصحّ إسناداً، وحديث (اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية) أشهر] !

٣ـ الاختلاف في تعيين معيار نجاة الفرقة الناجية، ففي نص أنه (الجماعة) وفي آخر (الإسلام وجماعتهم) و في ثالث (ما أنا عليه اليوم وأصحابي) و آخر (أنا ـ أي النبي ـ وشيعتي).

قال الشيخ محمد عبده في تفسيره: [أمّا تعيين أي فرقة هي الناجية، أي التي تكون على ما كان النبي عليه وأصحابه، فلم يتعيّن إلى الآن، فإنّ كلّ طائفة ممّن يذعن لنبينا بالرسالة تجعل نفسها على ما كان عليه النبي وأصحابه... وممّا يسرني ما جاء في حديث آخر أنّ الهالك منهم واحدة].

ثم تعرّض العلامة السبحاني إلى تفصيل الكلام في كل معيار من تلك المعايير مبيّناً التناقضات التي تستدعيها.. ومن المناسب أن أختم الموضوع بما ذكره سماحته ضمن رده الأخير على إثارة الشيخ الدكتور القرضاوي حيث كتب: [لقد أكّدتم سماحة الشيخ من جهة على كون الشيعة مبتدعة، ومن جهة ثانية أكّدتم أنّ الفرقة الناجية هم أهل السنة، مستنداً في ذلك إلى الحديث المعروف: (ستفترق أمتي إلى ثلاث وسبعين فرقة)، هنا نسأل سماحتكم ما هي الحصيلة التي يخرج بها شاب متعصب من شباب أهل السنّة؟ أليست هي القيام بربط حزام

ناسف من المتفجرات ليقوم بقتل العشرات من الشباب والأطفال والنسساء من المؤمنين في مدن العراق وغيرها من البلدان الإسلامية، وهذا ما يقوم به العشرات من الشباب الأردني والسعودي والأفغاني والمغربي مستندين في عملهم هذا إلى فتاوى تكفرية ومواقف إقصائية يقوم بها بعض الرجال المحسوبين على العلم والفتوى، حتى وصل الأمر إلى حد تقيم عائلة الانتحاري الأردني الذي فجّر نفسه في أوساط المؤمنين في مدينة الحلة العراقية مجلس عرس تتلقى فيه التهاني والتبريك بتلك المناسبة.

الحديث قد ضعّفه المحقّقون في علم الحديث، وعلى فرض وجود سند معتبر للحديث فلا يصحّ الاستناد إلى حديث آحاد لإثبات مثل هذا الأصل، واعتبار اثنتين وسبعين فرقة من فرق المسلمين من أصحاب النار وحصر أصحاب الجنة في فرقة واحدة.

إنّ مضمون الحديث يحكي عن عدم صحّته، وأنا هنا لا أتحدّث عن فرق اليهود والنصارى، بل أتساءل أين هي فرق المسلمين الأساسية التي وصلت إلى هذا الحد؟ وأمّا الفرق الفرعية المذكورة في كتب الملل والنحل فقد تجاوزت الحد قطعاً! فهل يمكن أن نجد ذلك العدد من الفرق الأساسية في كتب الملل والنحل؟! وهل يمكن اعتبار الاختلاف في مسألة واحدة مبرراً لتصنيفها فرقة مستقلة؟ إنّ فرق المسلمين الأساسية لا تتجاوز عدد أصابع اليد، من هنا نرى أصحاب كتب الملل والنحل يتشبّثون بأمور واهية لإثباتِ العدد المذكور ليكون دليلاً على مصداقية الحديث. إنّ الأجدر بالإخوة أن يستندوا في عقائدهم إلى الحديث الذي رواه البخاري حيث قال: [قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: كلّ أمتي يدخلون الجنّة إلا من أبى. قالوا: يا رسول الله ومن يأبى؟ قال: من أطاعني دخل الجنة ومن عصاني فقد أبى)، فقد حدد الحديث الملاك في دخول الجنة والنار في إطاعة الرسول صلى الله عليه وآله وسلم وعصيانه، ومن الواضح أنّ العصيان والتمرّد يصدق في حالة كون الإنسان لا يملك الحجة والدليل المعقول على عمله، وليس خفياً عليكم وعلى المفكّرين أنّ الشيعة تستند في المسائل الخلافية إلى الدليل والحجة الكافية وإن كان ذلك غير تام في نظركم].

• فرق المسلمين الأساسية قليلة جداً، وأصحاب كتب الملل والنحل يتشبّثون بأمور واهية لإثبات العدد المذكور

• الشيخ عبده: كلّ طائفة ممّن يذعن لنبينا بالرسالة تجعل نفسها على ما كان عليه النبي وأصحابه

تطلُّعات حول الخُمس

٢ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ / ١ نوفمبر ٢٠٠٨



يمثل الخمس ضريبة شرعية وفريضة إسلامية اتفق المسلمون على وجوبها لورود النص القرآني الصريح وغير المنسوخ (وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ إِنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنْزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) (الأنفال:٤١)، وتأتي التسمية لأنها اقتطاع ٢٠٪ أي خمس المقدار.

وفقهاء المسلمين وإن اختلفوا في سعة دائرة ما يجب أن يُخمَّس إلا أنهم متفقون على أصل الوجوب، جاء في الموسوعة الفقهية إصدار وزارة الأوقاف تحت عنوان الخمس: (اتَّفَقَ الْفُقَهَاءُ عَلَى وُجُوبِ تَخْمِيسِ الْغَنِيمَةِ)، وجاء في كتاب الخمس للمرجع الراحل السيد أبوالقاسم الخوئي: (لا إشكال كما لا خلاف في وجوب الخمس في الشريعة الإسلامية، وقد نطق به الكتاب العزيز والسنة المتواترة، بل قامت عليه الضرورة القطعية على حد يندرج منكره في سلك الكافرين، وقد اتفقت عليه علماء المسلمين قاطبة من الخاصة والعامة، وإن وقع الخلاف في بعض الخصوصيات من حيث المورد والمصرف).

سعة دائرة الموارد:

ويرجع كثرة تداول وبحث هذا الموضوع في الفقه الجعفري إلى سعة دائرة موارد الخمس، فهي لا تقتصر على غنائم الحرب بل تشمل عدة عناوين من أهمها: الفائض عن أرباح المكاسب الحاصلة بالتجارة والصناعة والإجارة والزراعة وغيرها، ومن الواضح أنها قضايا تمس حياة الإنسان مباشرة، لا كالحرب التي قد يعيش الإنسان ويموت دون أن يبتلى بها.

مصرف الخمس:

عناوين مصارف الخمس مبينة في الآية القرآنية، ويقسمها فقهاء الإمامية إلى قسمين رئيسيين، الأول تحت عنوان (سهم الإمام وينفق في سبيل الله) والآخر (سهم السادة ويعطى لفقراء السادة من آل النبي صلى الله عليه وآله وسلم)، إلا أن آلية الصرف وتطبيق العناوين على المصاديق الخارجية ومدى استثمارها بالشكل المطلوب، وحول أولويات الصرف، وأحقية كل بلد بما يجمع فيه من أموال الخمس، واشتراط

التسليم إلى مرجع التقليد ونظام وكلاء المرجعيات الدينية المعتمد في جمع الموارد المالية وإنفاقها وغيرها هي التي كانت ـ وعادت لتكون ـ مثار جدل واسع في الإعلام ومنتديات الإنترنت.

وأود هنا أن أسجّل عدة ملاحظات فيما قيل ويقال حول الموضوع:

توسعة مصارف الخمس:

كانت مصارف الخمس خلال القرون الماضية محدودة ضمن عناوين معينة تحكمها الظروف السياسية والاقتصادية التي عاشتها الحوزات الدينية ضمن الدول التي عاشت في كنفها، فتركّزت في توفير رواتب طلبة العلوم الدينية والمبلغين وشئون التبليغ كطباعة الكتب وبناء المدارس الدينية ومساعدة الفقراء والمحتاجين، أما اليوم ومع تغيّر الظروف وزيادة الموارد وبروز أولويات جديدة، فإن ما يطالب به البعض من توسيع دائرة الإنفاق لتشمل الإعلام بامتداداته الحديثة والمدارس والجامعات والمعاهد والمستشفيات وغيرها، يعدّ أمراً مشروعاً وحاجة ملحّة ما دامت تقع ضمن العنوان الكلي (في سبيل الله) أو (بما يُرضي الإمام عليه السلام).

بل ومن الإنصاف أن نؤكد على نهوض عدة مشاريع قامت على الأخماس وضمن هذه التصورات المطالَب بها، ومنها مؤسسة المرجع الراحل

• المطالبة بتوسيع دائرة إنفاق الخمس لتشمل الإعلام والمدارس والجامعات والمستشفيات تعد أمراً مشروعاً

السيد أبوالقاسم الخوئي رحمه الله في لندن والتي تنهض بدور تعليمي وإرشادي وديني للجاليات المسلمة في دول عديدة، ومبرة السيد الخوئي التي أسسها المرجع السيد محمد حسين فضل الله حفظه الله في لبنان والتي توسعت لتصبح اليوم مؤسسة ضخمة ترعى الأيتام وذوي الاحتياجات الخاصة وكبار السن ومستشفى متطور ومدارس عديدة لكافة المراحل، وتعتبر من النماذج المتقدمة في العمل التطوعي غير الحكومي والتي تتعاون معها بعض مؤسسات الأمم المتحدة ذات الاهتمام المشترك. وهناك مؤسسات ومشاريع عديدة في العراق وأفغانستان ودول الخليج العربية وإيران وسورية ولبنان والهند وباكستان وغيرها، نهضت على أموال الخمس، وتحمل ذات الطابع الخدمي والإنساني والديني.

المأسسة:

بمعنى توجيه جانب من هذه الأموال من قبل المرجعيات الدينية نحو مؤسسات تقام لتحقيق مصارف الخمس ضمنٍ العناوين التي ذكرناها سلفاً، ولتخرج عن حالة الإنجازات الفردية التي تنتهي وتندثر بوفاة المرجع الديني، وهي مطالبة أخرى مشروعة وضمان لاستمرارية نجاح المشاريع الخدمية والتعليمية والإعلامية والتبليغية التي تقام على أموال الخمس،

ومن أسرار نجاح مشروعي (مؤسسة السيد الخوئي والمبرة)، ووسيلة لتحقيق التعاون بينها وبين مؤسسات أخرى تحمل ذات الطابع أو تشترك معها في الاهتمامات، كما أنها تحمل في طياتها بذور الإقناع لأصحاب الرساميل والأوصياء على أثلاث الإرث والمترددين في إخراج الخمس من أموالهم، لأنها تقدّم لهم صورة جليّة عن الإنجازات الإنسانية التي تتحقق من وراء الأموال التي ينفقونها في هذا الطريق.

الإشراف المرجعي:

البعض يطالب بإلغاء الحالة المركزية القائمة الآن والمتحققة من خلال الإشراف المرجعي على ما يُجمع من أموال الخمس، بحيث يوكل إلى كل فرد إنفاق ما لديه من أموال الخمس وفق رؤيته، وهو ما عمل به المرجع السيد علي السيستاني حفظه الله في العراق أبان حكم النظام البعثي، إلا أن لتعميم هذه المطالبة سلبيات عديدة من أهمها فقدان الحوزات الدينية استقلاليتها، وهو ما ضمنته أموال الخمس على مدى قرون من الزمن وأعطت القوة للمرجعية والحوزة في اتخاذ المواقف الجريئة متى ما استدعى الأمر ذلك.

دور وكلاء المراجع:

وما دمنا نقر بلزوم المركزية في جمع الأموال للمرجعيات، فلابد أن نقر ـ بديهياً ـ بنظام الوكلاء الذين تقوم المرجعيات الدينية بتعيينهم كمسئولين عن جمع الأموال الشرعية وإنفاقها ضمن معايير معينة، ومع زيادة الأقاويل عن بعض التصرفات غير المنضبطة الصادرة من بعض الوكلاء، فإن من المُلِح القيام بالرقابة والتدقيق في الحسابات ومتابعة شكاوى الناس المتعلقة بهذا الوكيل أو ذاك واتخاذ الإجراءات الحاسمة في حق من يثبت تلاعبهم بالأموال أو عدم انضباطهم بمعايير الإنفاق، وهذا كان ديدن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في التعامل مع المسئولين الذين يثبت تورطهم في خيانات مالية بل وفي قضايا قد تستزلهم لارتكاب مثل تلك الخيانات، (راجع نهج البلاغة: كُتب الإمام لشريح القاضي ولزياد بن أبيه ولمصقلة الشيباني وعثمان بن حنيف وغيرهم).

بل إن الطموح يرتقي لعقد لقاءات دورية بين الوكلاء والمرجعيات وإقامة دورات تدريبية وتنشيطية ترتبط بأحكام الخمس ومستجدات التعاملات المالية والمصرفية والمشاريع المستحدثة وتبادل الخبرات وتدارس الأولويات وما إلى ذلك مما يطوّر الأداء الوظيفي للوكلاء، ويحقق الفائدة الأكبر من استثمار أموال الخمس في ما يرضي الله عزوجل.

• من الخطأ تعميم المطالبة بإلغاء المركزية القائمة من خلال الإشراف المرجعي على أموال الخمس

التربية الإنسانية

٩ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ / ٨ نوفمبر ٢٠٠٨



إلى أي مدى تظهر علائم الإنسانية وملامحها في شخصية الإنسان المسلم؟ وإلى أي مدى نجحنا ـ كإسلاميين ـ في تربية الأجيال الصاعدة تربية إنسانية تجعلهم محبين للخير ولا يعيشون عقد الأنانية المفرطة وأحقاد التنافس؟ وإلى أي مدى تنعكس القيم الحياتية في ديننا العزيز على سلوك المسلمين؟

مؤتمر النصرة:

في الأسبوع المنصرم عقدت وزارة الأوقاف بدولة الكويت بالتعاون مع مؤتمر النصرة المؤتمر الثاني لنصرة نبينا الحبيب المصطفى صلى الله عليه وآله وسلم، ((حضرت حفل الافتتاح وكالعادة لم أجد في برنامج المؤتمر أي محاضر من علماء المسلمين الشيعة من أبناء البلد.. ومنّا إلى وزارة الأوقاف))، وكان فيما طرح التأكيدُ على أهمية حمل الرسالة الإسلامية إلى أنحاء الأرض بالأسلوب الأمثل.

إنسانية الإسلام:

ولعل من أهم القضايا التي يجب التركيز عليها عند البحث حول طرق تحسين وتعديل صورة الإسلام والمسلمين عند الغربيين هي إبراز الجانب الإنساني في الإسلام تشريعاً وخلقاً وتاريخاً، فهذا هو واقع الإسلام في تعاليمه، وبتعبير دقيق: (أن تكونَ مسلماً هو أن تكون إنساناً). ومن أفضل الطرق التي يمكنها أن تصل إلى قلوب الناس وعقولهم الأعمال الدرامية التي لا تحكي التاريخ بصورة مباشرة كما في فيلم الرسالة (وهو الإنتاج

• إبراز الجانب الإنساني في الإسلام من أهم ما يجب التركيز عليه لتعديل صورة الإسلام والمسلمين عند الغربيين

الذي كان له تأثيره الإيجابي)، بل تنطلق من قصة إنسانية تعيش أجواء المجتمع المشرك وتناقضاته، لتنطلق بعدها ضمن تفاعلات دعوة النبي صلى الله عليه وآله وسلم وعناوينها الإنسانية، لتحكي النقلة العظيمة التي حققها الإسلام وحملَتُه في الجوانب الإنسانية العديدة التي سبقت معطيات الثورة الفرنسية وما بعدها.

التربية أولاً:

وهذا لن يكون كافياً أيضاً ـ بل ولن يكون صادقاً ـ مادام المسلمون يعيشون التناقض بين مبادئهم وسلوكهم، فكيف يمكن لنا أن نقنع الغربيين بمبادئ الإسلام وهم يرون سلوكهم (حيث النظام والدقة في المواعيد والالتزام بالمواثيق واحترام القانون ومراعاة النظافة العامة والصدق في المعاملة ..إلخ) أرقى من سلوك المسلمين الذين يحملون معهم الفوضوية وعدم احترام الوقت وحنث العهود والدعاء على غيرهم بالهلكة والتدمير وأمثالها من سلوكيات ونفسيات تعيش العُـقد وتبتعد عن أبجديات الأخلاق وألف باء السلوك الإنساني.

وقد أخبرني أحد الأصدقاء وقد استقر في السويد منذ سنوات، أن مدينتهم كانت تعيش النظام والهدوء في الشوارع، فلا تكاد تسمع (هرن سيارة) إلى أن استقرت فيها الجاليات العربية والإسلامية فتبدلت الأحوال رأساً على عقب (والله لا يورّيك)!!

> **• بسلوك إنساني وحضاري واحد تمثّل في عيادة جار كافر ومؤذ، استطاع نبينا محمد أن يهدي الرجل إلى الإسلام**

الداعية الإنسان:

بسلوك واحد تمثّل في عيادة جار مؤذ استطاع النبي صلى الله عليه وآله وسلم أن يهديه إلى الإسلام، وبتصرف إنساني تمثّل في مشايعة يهودي في طريق السفر إلى أن يصل إلى بيته تمكّن أمير المؤمنين علي عليه السلام من هدايته إلى الإسلام، لأن الإسلام خلق شخصياتٍ تحمل في طياتها الرقي في السلوك، والإنسانية في المشاعر، فاستطاع رجالاته أن يخترقوا قلوب الناس ويسكنوها.

الملائكة أم البشر ؟

لوحة عُلّقت عند باب مدرسة متوسطة امتلأت حيطانها بالشتائم والتعريض بالناس والرسومات المقززة، والطريف أن مضمون هذه اللوحة يدعو التلاميذ لمراعاة مشاعر الملائكة طبقاً للحديث النبوي (إن الملائكة تتأذى مما يتأذى منه بنو آدم).. أقول لا خلاف على ذلك، ولكن أليس الأولى تربية التلاميذ ـ ابتداءً ـ على مراعاة مشاعر البشر؟ أليس تربيتهم على احترام حقوق الناس والأدب في التعامل وتقدير إنسانيتهم من أساسيات الأخلاق الإسلامية ؟ فلماذا نبقى نعيش بين المشفّطين والمشخبطين والموسّخين والفوضويين والخارقين

للقانون والمستهترين بأرواح الناس والمدمّرين للمتلكات العامة والخاصة.. إلخ القائمة، بينما مؤسسات الدعوة والعمل والتبليغ الإسلامي تنشط ليل نهار وسُخّرَت لها كل سبل الإعلام والعمل ؟ بكل بساطة: الإنسان المسلم بحاجة إلى إعادة تأهيل مفاهيمياً وسلوكياً لأن الإسلام شريعة الحياة والأحياء.

كلمة أخيرة:

كتب الأديب اللبناني جورج جرداق: [وأدركَ عليٌّ أن منطق الحنان أرفع من منطق القانون، وأن عطف الإنسان على الإنسان وسائر الكائنات، إنما هو حجة الحياة على الموت، والوجود على العدم... أحسّ عليّ إحساساً مباشراً عميقاً أنّ بين الكائنات روابطَ لا تزول إلاّ بزوال هذه الكائنات. وأنّ كلّ ما يُنقص هذه الروابط يُنقص مِن معنى الوجود ذاته. وإذا كان الإنسانُ أحد هذه الكائنات، فإنّه مرتبطٌ بها ارتباطَ وجود. وإذا كان ذلك - وهو كائنٌ - فإنّ ارتباطَ الكائن بشبيهه أجدرُ وأولى. أما إذا كان هذا الكائنُ من الأحياء، فإنّ ما يشدّه إلى الأحياء من جنسه أثبتُ وأقوى. وأما الإنسان - رأس الكائنات الحيّة - فإنّ ارتباطه بأخيه الإنسان هو الضرورة الأولى لوجوده فرداً وجماعة... نرى ابنَ أبي طالب ملحّاً شديد الإلحاح على النظر في ما وراء القوانين، وعلى رعايتها بما هو أسمى منها: بالحنان الإنساني...

• منطق الحنان أرفع من منطق القانون، وعطف الإنسان على الإنسان وسائر الكائنات، هو حجة الحياة على الموت

• الإنسان المسلم بحاجة لإعادة تأهيل مفاهيمياً وسلوكياً لأن الإسلام شريعة الحياة والأحياء

الصفحة الأولى التي ينشرها عليّ من صفحات الحنان تبدأ بأن يذكّر الناس بأنهم جميعاً أخوةٍ فينعتهم بـ(إخواني) نعتاً صريحاً وهو أميرٌ عليهم. ثم يردف ذلك بتذكير الوُلاة بأنهم إخوان الناس جميع الناس، وبأنّ هذا الإخاء يستلزم العطف بالضرورة، قائلاً إلى أمرائه على الجيوش: (فإنّ حقّاً على الوالي أنْ لا يُغيّره فضلٌ ناله، ولا طَولٌ خُصّ به، وأنْ يزيده ما قسم الله له من نِعَمه دنوّاً من عباده وعطفاً على إخوانه). وما يذكره لنفسه وللولاة بأنّهم والناس إخوانٌ بالمودّة والحنان، يعود فيقّرره بحكمة شاملة يتّجه بها إلى البشر جميعاً دون تفرقة أو تمييز، قائلاً: (وإنما أنتم إخوانٌ ما فرّق بينكم إلاّ خبث السرائر وسوء الضمائر)].

على وقع الانتخابات الأمريكية

١٦ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ / ١٥ نوفمبر ٢٠٠٨

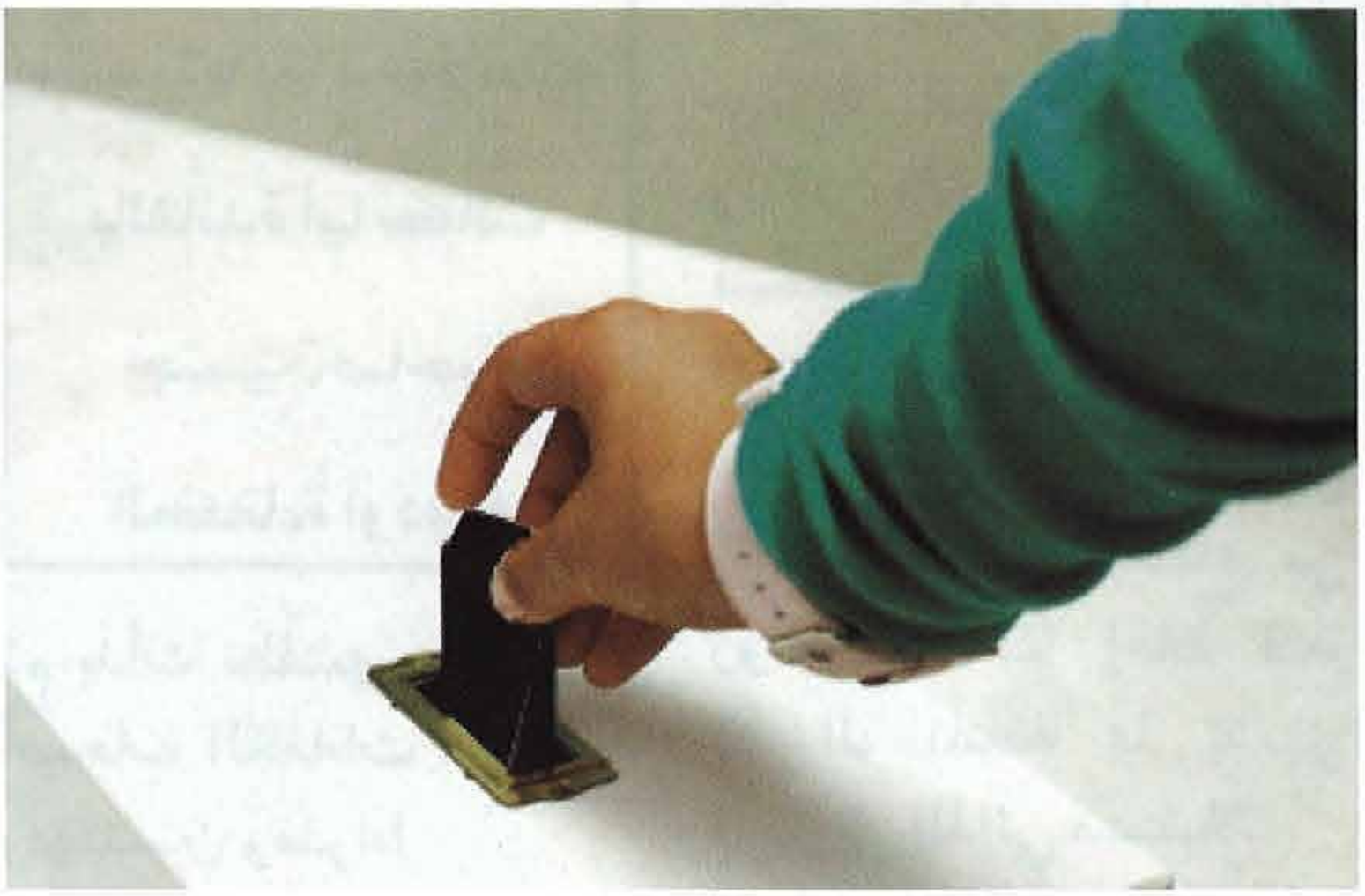

عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام في ذكر دعائم الإيمان: [واليقين على أربع شعب: على تبصرة الفطنة (أي جودة التفكير المؤدية إلى البصيرة ووعي الأمور) وتأوّل الحكمة (اكتشاف علل الأمور وأسرارها)، وموعظة العِبرة، وسنَّة الأولين، فمن تبصّر في الفطنة تأول الحكمة (أي من تفكر جيداً ووعى الأمور أمكنه اكتشاف عللها)، ومن تأول الحكمة عرف العِبرة (لأنه امتلك بذلك القدرة التحليلية)، ومن عرف العبرة فكأنما عاش في الأولين (فيرسم لنفسه حاضره ومستقبله متجنباً تكرار الخطأ وبانياً على إيجابياتهم)].

وعنه عليه السلام: [رحم الله امرء تفكر فاعتبر، واعتبر فأبصر].

وعنه عليه السلام: [الحكمة ضالة المؤمن].

انتخابات مميزة:

عشنا خلال الأيام الماضية نتائج انتخابات الرئاسة الأمريكية وتفاعلاتها على مستوى العالم، وهي الانتخابات التي لم يتفاعل العالم من قبل مع مثيلاتها بهذه الصورة الواسعة وبهذا المدى، ويعود ذلك إلى عدة عواملٍ أعرض عن ذكرها تخفيفاً على القارئ العزيز.

كما أن حديثي لا ينطلق من وجود أمل في تغير السياسات الأمريكية تجاه منطقتنا الملتهبة على الدوام وبشكل جوهري، وأول التباشير جاءت مع أول تعيين ولأهم شخصية بعد الرئيس وتمثلت في رام عمانويل كبير مستشاري أوباما ورئيس موظفي البيت الأبيض (وهو أمريكي وإسرائيلي خدم في الجيش الصهيوني مرتين وبتعبيرهم صهيوني حتى

• لم يتفاعل العالم من قبل مع انتخابات أمريكية بهذه الصورة الواسعة وبهذا المدى

النخاع)، ولكن من المهم أن يتفكر الانسان في معطيات هذه الانتخابات ويستخلص منها العبر.

الكفاءة أولاً:

الرئيس الجديد ابن مهاجر أفريقي من كينيا، وليس من سلالة الأفارقة المجلوبين عبيداً خلال القرون الماضية، ونجح هذا الابن أن يدرسٍ في هارفارد ثم يصبح سناتورا ثم رئيساً [ولو أخطأ أبوه طريقه وجاء إلى الكويت باحثاً عن مستقبله ومستقبل أبنائه لكان باراك أوباما للحين (بدون)]!!

وهذا من أسرار التفوق الأمريكي، فالمجتمع الأمريكي يسعى لاستثمار الطاقات وتنميتها بما يعود عليه بالفائدة أياً كانت جنسية صاحب الكفاءة أو دينه، ونحن عندنا سياسة التطفيش لطاقات أبناء البلد وللقادمين من الخارج ولإخواننا البدون الذين صرفت عليهم الدولة خلال عقود سبقت أموالاً ضخمة في التعليم والصحة والرعاية، ثم أهملتهم فجأة،

• المجتمع الأمريكي يسعى لاستثمار الطاقات وتنميتها بما يعود عليه بالفائدة أياً كانت جنسية صاحب الكفاءة أو دينه

ثم بدأت تطفّشهم، بمن فيهم أصحاب الكفاءات من أطباء ومهندسين ومدراء!

صندوق تنمية للبدون:

وإذا كانت الكويت ذات يد بيضاء في الخارج، لا سيما من خلال تأسيسها صناديق تمويل عديدة، فلماذا لا تنشئ صندوقاً لمعالجة أوضاع البدون ضمن رؤية معينة بحيث تضمن انتاجيتهم في الموارد المهنية (تمريض، ميكانيكا، نجارة، حدادة.. إلخ) وتمنع هدر الطاقات وتحوّلهم إلى أفراد منتجين بدلاً من أن يتحول بعض شبابهم إلى قنابل موقوتة ناقمة على المجتمع، ولتغلق هذا الملف الذي يسئ لسمعتها على مستوى حقوق الإنسان عالمياً ويحرجها في المحافل الدولية؟ ويمكن من خلال نظام الإستقطاع من رواتبهم لاحقاً إعادة ضخ الأموال المنفقة بما يضمن التمويل الذاتي مستقبلاً.

• نتيجة الانتخابات مثلت ضربة قوية للمحافظين الجدد واليمين المسيحي المتطرف

لا مكان للتطرف:

نتيجة الانتخابات مثلت ضربة قوية للمحافظين الجدد واليمين المسيحي المتطرف الذين ذهبوا بعيداً في سياساتهم التعسفية حتى مجّهم العالم أجمع، وفقدت الولايات المتحدة كثيراً من بريقها الديمقراطي والإنساني خلال أعوام قلائل (تخلّت الولايات المتحدة عن بعض أهم أسس الحقوق الفردية والحريات الشخصية من خلال سن بعض قوانين التنصت والاعتقال التعسفي.. إلخ، ولا ننسى أنها تعتبر نفسها في

موضع القيّم على سائر الأمم في مجال حقوق الإنسان وملف الحريات)، وذاقت مناطق كثيرة من العالم آلام المآسي والفتن، وكان آخرها الوضع الاقتصادي المتأزم الناتج عن سياسات عشواء سقطت أمريكا في مهاويها، وجرّت معها العالم بأسره.

جاءت نتيجة الانتخابات لتؤكد أن الحياة في النهاية تلفظ التعصب والمتعصبين مهما سادوا وامتدوا، وأن التعصب لن يأتي إلا بالدمار، وأن الخير في الاعتدال.. إن التعصب إما نتاج ماض أسود يراد التكفير عنه، أو عقدة نقص تشعل نيران التطرف، وإما سذاجة توقع المغفلين في حبائل ذوي النوايا الخبيثة، وإما التآمر لتدمير المشروع من الداخل. ولو أقيمت دراسة نفسية على الانتحاريين في العراق لما عدت خلفياتهم عن هذه العناوين.

الأمل والمثابرة:

إنما تُنال الحقوق بوجود الأمل والمثابرة، والأمريكيون من أصل أفريقي استطاعوا أن يفرضوا أنفسهم بعد العبودية والتمييز والفقر الذي جعل ٤٥ ٪ من المسجونين في الولايات المتحدة هم من أصول أفريقية بينما لا يمثلون أكثر من ١٣ ٪ من مجموع السكان، ونجحوا في تغيير نظرة كثير من أبناء الجيل الأمريكي المعاصر بأن ذوي البشرة السمراء لا يختلفون عنهم في درجة إنسانيتهم، وأنهم يمتلكون من المقومات ما قد يؤهّلهم لاعتلاء أعلى منصب في الدولة.

لماذا لا نتغيّر؟

وإذا كان الأنجلوسكسونيون واللاتينيون قد نجحوا في تحقيق التغيير في نظرتهم إلى ذوي البشرة السمراء، فإننا كمسلمين نمتلك مقومات التغيير إلى الأحسن، ولكننا نبقى ندور في دوّامة سلبياتنا ولا نستطيع تجاوزها، وما زال البعض يتحدث أن فلاناً ليس من (مواخيذنا = مقامنا) وهذا من عيال الحمولة (الأسر العريقة) وذاك (مو أصيل) إلخ من العناوين التي خلقت الحواجز فجعلتنا نعيش العقد، وحوّلناها إلى أركان راسخة في حياتنا فأصبحت من أصول الدين.

ـ الصورة لمجموعة من العبيد في أمريكا قبل قرار تحريرهم.



شبابنا محبطون

٢٣ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ / ٢٢ نوفمبر ٢٠٠٨



عادةً ما يتحدث الخطباء عن الأمل في صورته السلبية والذي يُعرف بـ (طول الأمل)، والذي يؤدي إلى التسويف والمماطلة، إلا أن في الإسلام حديث أيضاً عن الأمل في صورته الإيجابية، الأمل الذي يعطي للإنسان دافعية العمل واستمرارية العطاء والتخطيط للمستقبل، فعن النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: (الأمل رحمة لأمتي، ولولا الأمل ما رضعت والدة ولدها، ولا غرس غارس شجرة)، وعن أمير المؤمنين علي عليه السلام: (اعمل لدنياك كأنك تعيش أبداً، واعمل لآخرتك كانك تموت غداً).

وبهذا القانون تستمر الحياة وتعمر الأرض وتتقدم البشرية وتُبنى الحضارات ويتحقق الإبداع، ومتى ما انعدم الأمل، كان اليأس والإحباط هما سيدا الموقف.

تعريف الإحباط:

عرّف بعض علماء النفس الإحباط بأنه (الشعور بعدم الرضا لإدراك الفرد بوجود عائق أو توقع حصوله مما يجعله يمتنع عن إشباع ذلك الدافع)، ولا أدري بالدقة لماذا ترجمت كلمة **frustration** إلى كلمة إحباط ، لأن في اللغة العربية (الحبط: انتفاخ بطن الدابة نتيجة أكلها كثيراً أو نوعاً من الكلأ وعدم قدرتها على إخراج ما في بطنها)، وبما أن هذا من مسببات هلاك وفساد الدابة، فقد استعملت الكلمة في العربية للدلالة على الضياع والهدر، قال تعالى: (وَمَنْ يَرْتَدِدْ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَيَمُتْ وَهُوَ كَافِرٌ فَأُولَئِكَ حَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) (البقرة:٢١٧)، ولعل السبب

• متى ما انعدم الأمل عند الإنسان، كان اليأس والإحباط هما سيدا الموقف

في اختيارهم لهذه الكلمة على وجه التحديد هو شعور الإنسان بضياع وهدر جهوده التي بذلها، أو شعوره بعدم فائدة الجهد الذي سيبذله لأنها ستذهب هدراً).

شبابنا:

كثير من شبابنا في الكويت يعيشون درجة من الإحباط، وهذا مؤشر مقلق، وسبب القلق يعود لعدة عوامل:

١ـ قد يؤدي الإحباط إلى التطرف الفكري والسلوكي، لأن المحبط يقارن أوضاعه بأوضاع الآخرين، لاسيما وشبابنا منفتحون من خلال السفر والدراسة في الخارج والانترنت. وللتطرف صور عدة منها ما يرتدي لباس الدين وغير الدين، ومنها ما يكون في مجال تلبية الغرائز، ومنها ما يخص المظهر الخارجي وغير ذلك.

٢ـ قد يؤدي إلى العدوانية، ضرباً وقتلاً واعتداءً على الممتلكات، بل والقرصنة الإلكترونية الشائعة بين الشباب تمثّل لوناً جديداً من العدوانية الناشئة عن

• كثير من شبابنا في الكويت يعيشون درجة من الإحباط، وهذا مؤشر مقلق لعدة أسباب

الإحباط، لأن الشاب يشعر بالغضب على مجتمعه وأوضاعه، فيريد الانتقام أو التنفيس عن الضغط الداخلي الذي يضغط عليه بقوة.

٣ـ قد يؤدي الإحباط إلى الإدمان على الكحوليات أو المخدرات، كوسيلة لنسيان الواقع المؤلم، والانتقال إلى عالم الأحلام والأمنيات بدلاً من الواقع المرير.

• قد يؤدي الإحباط إلى الإدمان على الكحوليات أو المخدرات، كوسيلة لنسيان الواقع المؤلم

٤ـ قد يؤدي إلى البحث عن الأنشطة غير المثمرة أو غير السليمة والاستمرار عليها بدلاً من العمل على الوظيفة الأصلية في الحياة. وقد نشرت إحدى الصحف المحلية قبل ٣ سنوات قراءة ميدانية جاء فيها أن طاقات الشباب في الكويت مهدورة بنسة ٩٣ ٪، والانتاجية في حدود ٧٪ فقط، وأكثر أوقاتهم تُقضى في اللعب والتسكع.

٥ـ السلوكيات غير المنضبطة، فبعض المحبطين يعبرون عن إحباطهم بكثرة الضحك إلى حد هستيري كتعويض عن السلوك العدواني الذي لا يقدرون عليه لضعف الشخصية، أو لا يحبذونه لعوامل معينة كالتدين أو الحياء من المجتمع.

٦ـ الآثار النفسية كالتعب والإرهاق والقلق والتوتر.

أسباب الإحباط:

من أهم عوامل الإحباط عند شبابنا:

١ـ الترف والدلال وسهولة نيل الرغبات، فإن لم يعش الشاب في طفولته أو في هذه المرحلة

من عمره معاناة الحصول على ما يريد، ولم يواجه التحديات، وكان كل شئ ميسر له، فإنه سيعاني من عدة لوازم وآثار، منها: الاستبداد، العُجُب، الفشل في الحياة الزوجية والعملية، ضعف الإرادة، الانتحار، الانهيار النفسي، سرعة الغضب لأتفه الأمور، وأخيراً الإحباط. وقد روي

• من أسباب الإحباط: المحسوبية وتقديم الاعتبارات الخاصة على الكفاءة

عن الإمام محمد الباقر عليه السلام: (شر الآباء من دعاه البِر إلى الإفراط).

٢ـ معايشة الأوضاع الخاطئة في المجتمع من قبيل المحسوبية وتقديم الاعتبارات القبلية والطائفية والأسرية على الكفاءة والاستحقاق، ومن المؤسف أن هذه المعايشة تكون مبكّرة في عمر الفرد، وقد تبدأ من المدرسة.

٣ـ الفروقات الفردية، فالتخلص من الإحباط بحاجة إلى تفكير وتدبر وحسن تصرف، وبعض الأفراد لا يملكون هذه القدرات، ولذا لا يستطيعون الفكاك من أزمتهم، فينالهم الإحباط، ولذا فإنهم بحاجة إلى اختصاصيين في الإرشاد النفسي والعملي، والتدريب على كيفية الخروج من الأزمات والتخطيط للبدائل.

٤ـ التلقين، فتكرار رب الأسرة مثلاً لذكر معاناته وحالة الإحباط التي يعيشها، يجعل أبناءه يعيشون هذا الهاجس قبل الوقوع فيه، ولربما لا يقعون فيه، ولكن بمجرد أن يحظوا سلبية في بيئة العمل أو الدراسة فإنهم يضخمون الأمر ويعيشون الإحباط. وهكذا قد تعمل وسائل الإعلام على زرع حالة الإحباط.

مسئولية متعددة الأطراف:

إذاً فالأسرة مسئولة، والإعلام مسئول، ومؤسسات الدولة مسئولة، وبعض الشباب اليوم يفكرون بجدية في الهجرة والبحث عن فرص أفضل في العمل وتحقيق طموحاتهم، وهذا أمر معيب في حق الكويت، لاسيما وأن المجتمع مرفّه، والضمان الاجتماعي عندنا ذي نظام فريد من نوعه على مستوى العالم، فما الذي يدفع الشاب للتفكير في التخلي عن كل عوامل الجذب هذه؟



رسالة إلى كل حاج

٣٠ ذوالقعدة ١٤٢٩ هـ / ٢٩ نوفمبر ٢٠٠٨

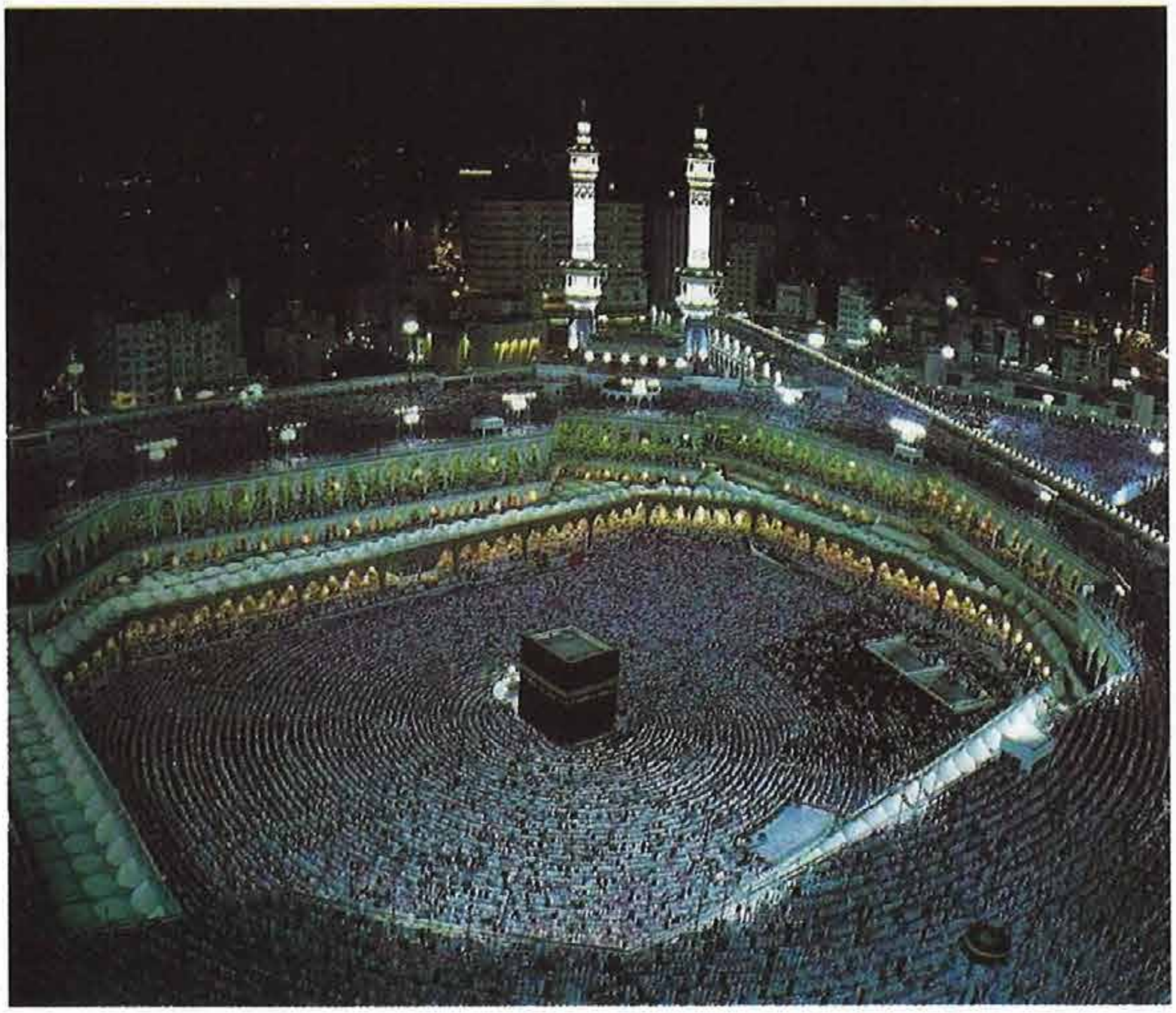

منذ أمد بعيد والأمة تعاني من التصدع الداخلي، لا بين المذاهب المختلفة فحسب، بل وفي نفس المذهب الواحد والعائلة الواحدة والقبيلة الواحدة...إلخ. وكلما تحدثنا عن التصدع والتفكك فإن ذلك يعني الضعف والنزاع والمغلوبية على الأمر، قال الله سبحانه (وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ) (الأنفال:٤٦).

قواعدَ أخلاقية:

وقد سعى الإسلام إلى وضع ضوابط وقواعد أخلاقية من المفترض أنها تعمل على تخفيف حالة التصدع والتشرذم بين المسلمين جميعا، ومن أهمها:

١ـ الأخوّة الإيمانية: فالعلاقة التي بناها الإسلام بين المسلمين هي علاقة الأخوة، فالمسلم ليس مجرد صديق أوِ زميل (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ فَأَصْلِحُوا بَيْنَ أَخَوَيْكُمْ وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) (الحجرات:١٠)، والمؤمنون بالتعبير القرآني كل من دخل دائرة الإسلام بالشهادتين، ونظام الأخوة نظام متكامل وليس شعارات، فيه حقوق وواجبات، وفيه تكافل وحماية ونصرة وإصلاح...إلخ.

مفهوم الأخوةٍ واضح ولكنه تعرض عملياً إلى التقزيم، وكل طائفةٍ بل وأتباع كل فقيه أحياناً ترى أن الأخوّة تخص أتباعها فقط وفيما بينهم، ومن هنا فلا حقوق متبادلة ولا واجبات بين عموم المسلمين إلا ضمن

• سعى الإسلام إلى وضع ضوابط أخلاقية لتعمل على تخفيف حالة التصدع بين المسلمين

تلك الدائرة الخاصة، ولذا عندما نأتي إلى مفردات الآية (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اجْتَنِبُوا كَثِيراً مِنَ الظَّنِّ إِنَّ بَعْضَ الظَّنِّ إِثْمٌ وَلا تَجَسَّسُوا وَلا يَغْتَبْ بَعْضُكُمْ بَعْضاً أَيُحِبُّ أَحَدُكُمْ أَنْ يَأْكُلَ لَحْمَ أَخِيهِ مَيْتاً فَكَرِهْتُمُوهُ وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ رَحِيمٌ) (الحجرات:١٢) فسيكون مفهومها عند السني: (أيحب أحكم أن يأكل لحم أخيه السني؟) وعند الشيعي: (أيحب أحدكم أن يأكل لحم أخيه الشيعي؟)، بل وحتى على مستوى الاختلاف المرجعي هناك من يبيح التجسس وسوء الظن والغيبة وغيرها إلا فيمن يدخل في تلك الدائرة المخصوصة، وإن لم نعالج هذا المفهوم بشكل صحيح فإن كل الكلام عن الوحدة أوالتقارب أو التعايش سيكون حبراً على ورق.

٢ـ الحمل على الأحسن: وتعرف فقهياً بقاعدة: أصالة الصحة في فعل المسلم. ولها معنيان:

أ ـ حمل عقود المسلم وإيقاعاته

• من شأن الالتزام بحسن الظن أن يزرع الثقة بين المسلمين ويصون حرمتهم

على الصحة، فلو صدر منه عقد بيع أو إيجار أو وقع منه طلاق وشككنا في صحته، فعلينا أن نبني على الصحة حتى يثبت الخلاف.

ب ـ حمل أفعاله وأقواله على الأحسن واستبعاد نية السوء، وعن علي عليه السلام (ضع أمر أخيك على أحسنه حتى يأتيك ما يقلبك عنه، ولا تظنن بكلمة خرجت من أخيك سوءٍ وأنت تجد لها في الخير محملا).

• إن لم نعالج مفهوم الأخوة بشكل صحيح فإن الكلام عن الوحدة سيكون حبراً على ورق

ومن شأن الالتزام بهذه القاعدة أن يزرع الثقة بين المسلمين، ويصون حرمتهم، ويبعدهم عن الحديث السلبي، ويعلمهم كيف ينظرون إلى الجوانب الإيجابية عند الآخرين لا السلبية، فعندما قال الحواريون: ما أنتن ريح هذا الكلب! قال عيسى عليه السلام: ما أشد بياض أسنانه!!

٣ـ صحة أعمال الآخرين وعباداتهم: مادامت وفق أحكامهم ، ففي الحديث الصحيح عن زرارة وبكير والفضيل ومحمد بن مسلم وبريد العجلي كلهم، عن أبي جعفر وأبي عبد الله عليهما السلام: (أنهما قالا في الرجل يكون في بعض هذه الأهواء الحرورية والمرجئة والعثمانية والقدرية ثم يتوب ويعرف هذا الأمر ويحسن رأيه، أيعيد كل صلاة صلاها أو صوم أو زكاة أو حج، أوْ ليس عليه إعادة شئ من ذلك؟ قال: ليس عليه إعادة شئ من ذلك غير الزكاة، لا بد أن يؤديها لأنه وضع الزكاة في غير موضعها

قال الإمام عليه السلام: (وإنما يعطي من لا يعرف ليرغب في الدين فيثبت عليه، فأما اليوم فلا تعطها أنت وأصحابك إلا من يَعرف...). فقوله (وأما اليوم) يُشعر بذلك.

على أبواب الحج:

ونحن على أبواب الحج، الذي يفترض أنه يجمع كل المسلمين في هيئة واحدة وعمل موحَّد وعبادة موحَّدة في الإحرام والطواف والسعي وعرفة والصلاة عند البيت الحرام، من المفترض أن نستحضرٍ هذه المفاهيم ونعيشها عمليا، وقد كان الإمام الخميني رحمه الله الذي حمل هم الإسلام ووحدة المسلمين في خطاباته، لا سيما في موسم الحج يوصي بهذه الأمور، ومما قاله في هذا الشأن: (وتأكّدوا أنكم إخوة متساوون مع جميع الشعوب بغضّ النظر عن اللون والقومية والمحيط والمنطقة، تتبادلون الهموم والآلام، وتؤكّدون الوحدة بينكم، وتنهضون يداً واحدةً ضد أعداء البشرية والمزوّرين ومصاصي الدماء.. يجب أن تعلموا أنّ الطريق الأساس إنّما هو في ظلّ وحدة جميع المسلمين، واجتماعهم على قطع أيادي القوى العظمى من الدول الإسلامية... ينبغي على الحجّاج المحترمين لبيت الله الحرام لأي مذهب أو قومية انتموا أن يرضخوا لأحكام القرآن الكريم، ويقفوا في مواجهة سبل الشياطين الذين يريدون اقتلاع الإسلام.. ويمدّوا يد الاخوّة الإسلامية بعضهم لبعض وينتبهوا للآيات الكريمة التي تدعوهم إلى الاعتصام بحبل الله، وتنهاهم عن الاختلاف والتفرقة).

وإنما موضعها أهل الولاية). وسائل الشيعة ح ١١٨٧١.

وأما استثناء الزكاة فلربما يكون إجراءً تدبيرياً بسبب ضيق حال شيعتهم والظروف التي كانوا يعيشونها بسبب الظلم الواقع عليهم، ولربما يوضح هذه الحقيقة النص الصحيح المروي في وسائل الشيعة برقم ١١٨٥٦ حيث

• ونحن على أبواب الحج من المفترض أن نستحضر المفاهيم المرتبطة بالأخوة الإسلامية ونعيشها عمليا

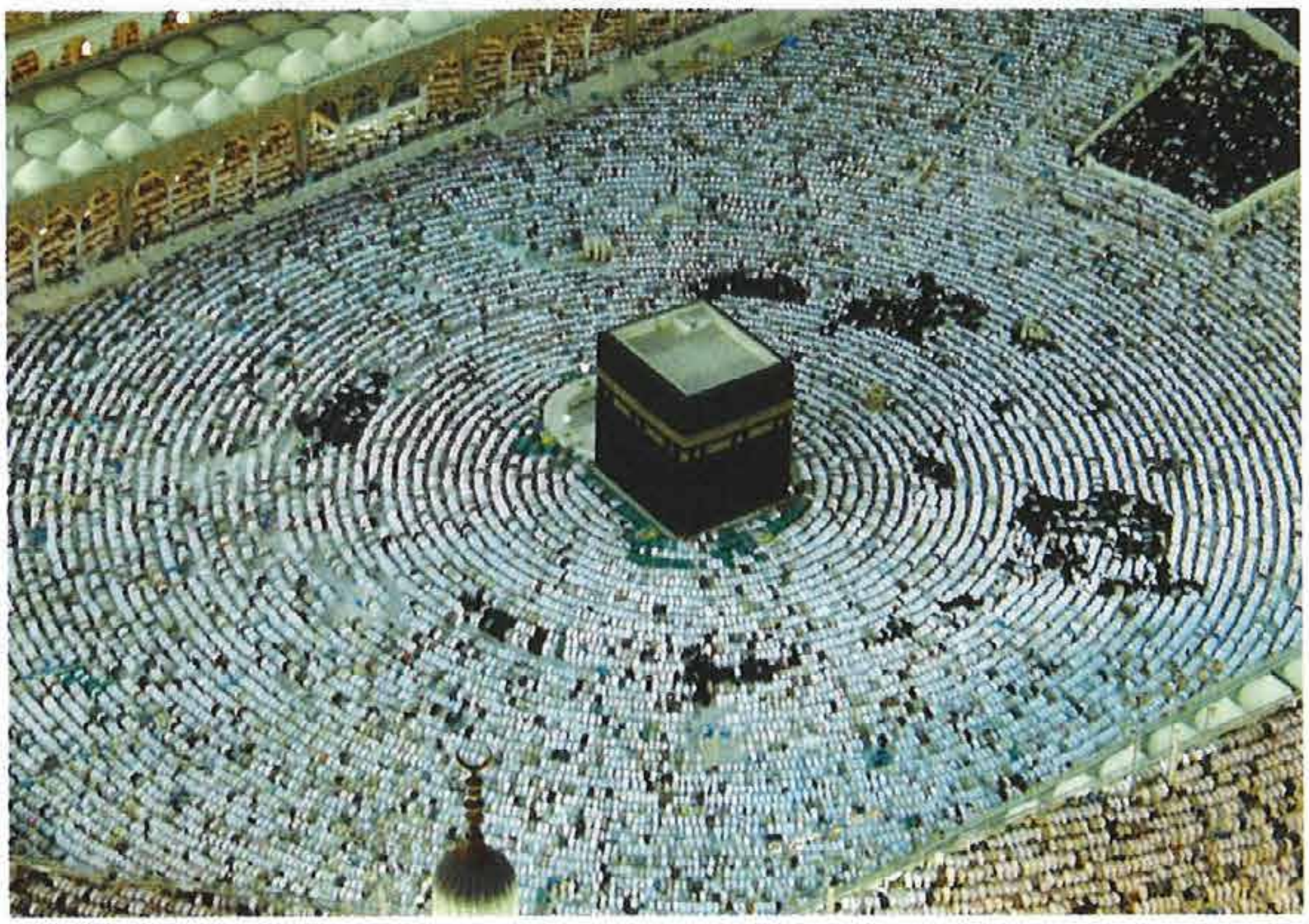

ضَعُف الطالبُ و المطلوب

٧ ذوالحجة ١٤٢٩ هـ / ٦ ديسمبر ٢٠٠٨



(يَا أَيُّهَا النَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَاسْتَمِعُوا لَهُ إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ) (الحج:٧٣).

قال الجاحظ في كتابه (الحيوان): كان لنا بالبصرة قاض يقال له عبد الله بن سوار لم ير الناس حاكماً قط ولا زميناً ولا ركيناً ولا وقوراً ضبَط من نفسه وملَك من حركته مثل الذي ضبط وملَك، وكان يصلى الغداة (الصبح) في منزله وهو قريب الدار من مسجده فيأتي مجلسه فيحتبي، ولا يزال منتصباً لا يتحرك له عضو ولا يلتفت ولا يحل حبوته ولا يحرّك رِجلاً عن رجل ولا يعتمد على على أحد شِقّيه حتى كأنه بناء مبني أو صخرة منصوبة ! فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة الظهر ثم يعود إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم لصلاة العصر ثم يرجع إلى مجلسه فلا يزال كذلك حتى يقوم إلى المغرب، ثم ربما عاد إلى مجلسه، بل كثيراً ما يكون ذلك إذا بقي عليه من قراءة العهد والشروط والوثائق، ثم يصلى العشاء وينصرف لم يقم في طول تلك الولاية مرة واحدة إلى الوضوء ولا احتاج إليه ولا شرب ماء ولا غيره من الشراب، وكذلك كان شأنه في طوال الأيام وفي قصارها وفى صيفها وشتائها، وكان مع ذلك لا يحرك يداً ولا يشير برأسه وليس إلا أن يتكلم ثم يوجز ويبلغ بالكلام اليسير المعاني الكثيرة.

إن الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذباباً ولو اجتمعوا له

فبينما هو كـــذلك ذات يوم وأصحابه حواليه وفى السماطين بين يديه إذ سقط على أنفـــه ذباب، فأطال السكوت والمكث، ثم تحول إلى موق (طرف) عينه فرام الصبر في سقوطه على الموق وعلى عضته ونفاذ خرطومه كما رام الصبر على سقوطه على أنفه، من غير أن يحرك أرنبته أو يغضي وجهه أو يذب بأصبعه. فلما طال ذلك من الذباب وأوجعه وأحرقه وقصد إلى مكان لا يحتمل التغافل عنه، أطبق جفنه الأعلى على جفنه الأسفل، فلم ينهض، فدعاه ذلك إلى أن والى بين الإطباق والفتح، فتنحى ريثما سكن ثم عاد إلى موقه ثانياً أشد من مرته الأولى، فغمس خرطومه في مكان قد كان أوهاه قبل ذلك، وكان احتماله له أضعف، وعجزه عن الصبر في الثانية أقوى، فحرّك أجفانه، وزاد في شدة الحركة في تتابع الفتح والإطباق، فتنحّى عنه بقدر ما سكنَت حركته، ثم عاد إلى موضعه فما زال ملحّاً عليه

• ما أكثر من أعجبته نفسه فأراد اللّه تعالى أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً

حتى استفرغ صبرِه وبلغ مجهوده، فلم يجد بدّاً من أن يذبّ عن عينه بيده، ففعل وعيون القوم إليه يرمقونه كأنهم لا يرونه، فتنحّى عنه بمقدار ما ردّ يده وسكنت حركته، ثم عاد إلى موضعه، فألجأه إلى أن ذبّ عن وجهه بطرف كمّه، ثم ألجأه إلى أن تابع بين ذلك، وعلم أن ذلك كله بعين من حَضَر من أمنائه وجلسائه. فلما نظروا إليه

• متى يحين للإنسان المتألّه أو المؤلَّه، أن يعي أنه لا يمتلك في ذاته أيّ شرطٍ من شروط الألوهية؟

قال: أشهد أن الذباب ألجّ من الخنفسلء وأزهى من الغراب، وأستغفر الله، فما أكثر من أعجبته نفسه فأراد الله تعالى أن يعرّفه من ضعفه ما كان عنه مستوراً، وقد علمتُ أنى كنت عند الناس من أرصن الناس وقد غلبني وفضحني أضعف خلق الله ثم تلي قول الله تعالى (ضَعُفَ الطَّالِبُ وَالْمَطْلُوبُ).

صورة بليغة:

صورة تضع آلهة المشركين في مشهدين:

الأول: (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَاباً وَلَوِ اجْتَمَعُوا لَهُ)

والثاني: (وَإِنْ يَسْلُبْهُمُ الذُّبَابُ شَيْئاً لا يَسْتَنْقِذُوهُ مِنْهُ)

ذبابةٍ واحدةٍ لا غير... في كل ما يجسّده هذا المخلوق الصغير من معاني الضعف والصغر والحقارة، من حيث الحجم والقدرة الجسمية، وآلهة - بكل ما توحيه صفة الألوهية من قوّةٍ - يركضون خلفه، ويلهثون لاسترجاع ما أخذه ولاستنقاذ ما سلبهم إياه، فلا يسترجعونه منه، ولا

يستنقذونه من براثنه ـ إن كان للذباب براثن ـ؟!

أسلوب يجرّدهم من صفات الألوهية من جهةٍ، ويعرّضهم للسخرية والاستهزاء من جهةٍ أخرى، ويؤثّر على موقف الذين اعتقدوا بهم وعبدوهم من دون الله، عندما يجدون أنفسهم في حالةٍ لا يُحسدون

• اليوم نشهد حيرةٍ إنسانية في كيفية معالجة انهيار اقتصادي بدأ يزحف على كل الدول ويعرّضها لحرب كونية

عليها، لأنها لا ترتكز على أساس، ولا توحي بالاحترام إن لم توح بخلافه.

الإنسان المتألّه:

فمتى يحين للإنسان المتألِّه أو المؤلّه، الذي يتحدث عن (موت الله) و(نهضة الإله القوي: الإنسان) و(حكمة الإنسان التي تفـــوق حكمة الإله) ليعي ـ بعمـــق المعرفة ـ أنه لا يملك في ذاته أيّ شرطٍ من شروط الألوهية، بل يعيش ضعف المخلوقين في وجوده؟ ومتى يرتفع إلى الآفاق الفكرية التي تمكنه من الإطلالة على عظمة الله من أوسع المجالات، ولا ينكمش في تصوّراته، ويبتعد عن وعي الحقائق في عقله؟

واليوم نشهد حيرةٍ إنسانية في كيفية معالجة انهيار (غير محسوب) بدأ يزحف على كل دول العالم لِـيلْـتَهم اقتصـــادياتها، ويعرّضـــها لحرب كونية جديدة (لم تخرج

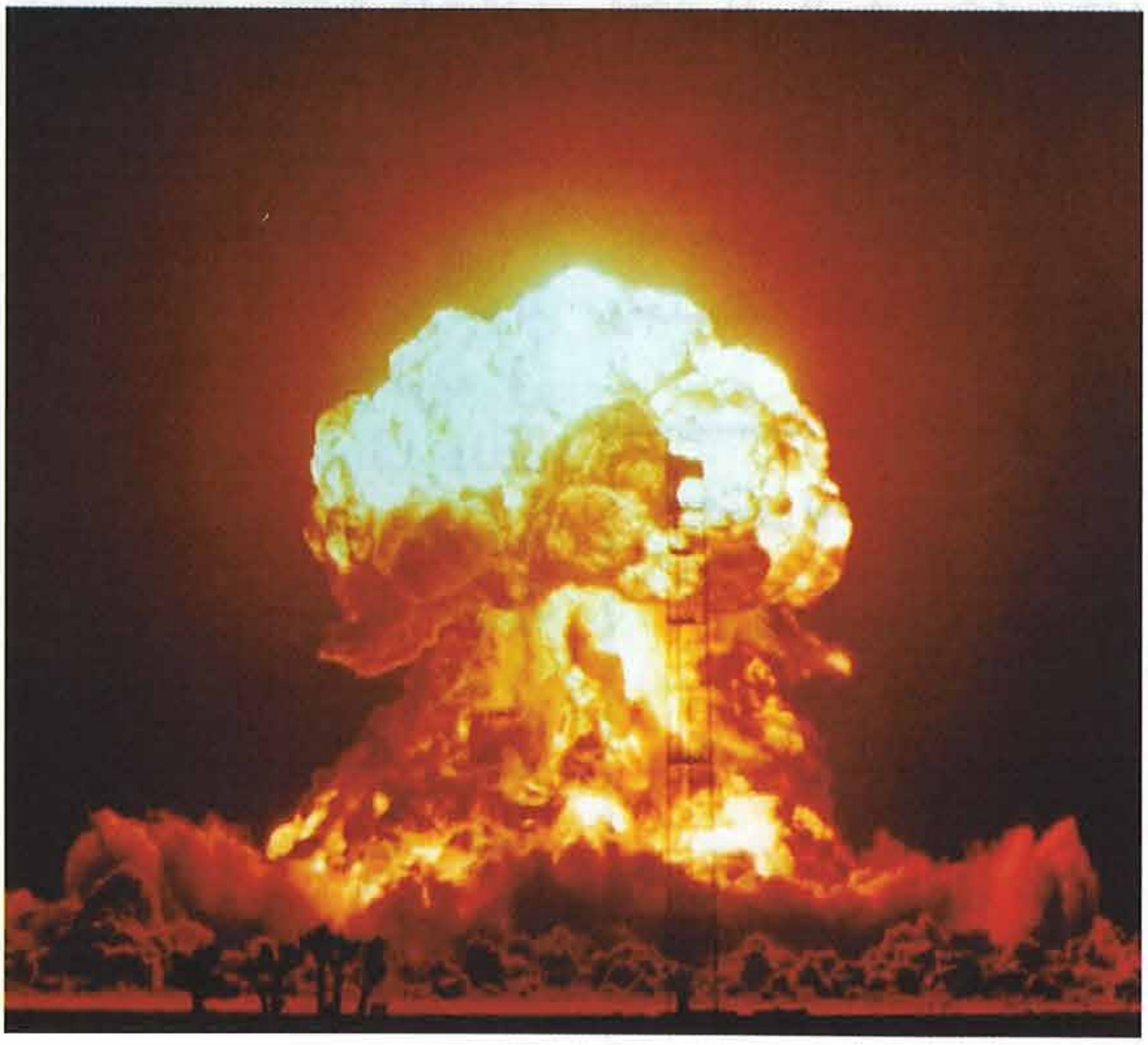

الولايات المتحدة من الانهيار الاقتصادي عام ١٩٢٩ إلا بعد نهاية الحرب العالمية الثانية!!) لتضيف إلى حقيقةٍ الضعف الإنساني رقماً جديداً.

إنها عقدة الكبرياء النابعة من جهل المعرفة، (أَوَلَمْ يَسِيرُوا فِي الأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً وَأَثَارُوا الأَرْضَ وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانَ اللهُ لِيَظْلِمَهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) (الروم:٩).

الغضب

١٤ ذوالحجة ١٤٢٩ هـ / ١٣ ديسمبر ٢٠٠٨



الغضـــب بالنسبـــة إلى الإنسان حالة طبيعية غريزية ضرورية للحفاظ على نفسه، وعلى ما يحب، و على مَن يحب. و لكن المشكلة تكمن في الحالات التالية:

١ـ التطرف في ردة الفعل:

فقد لا يستوجب الموقف ردة الفعل الغاضبة، بل معالجة الموضوع بصورة أخرى، والتريث إلى أن يتم حل الأمور بشكل أهدأ، أو لعل الموقف يستدعي رداً غاضباً ولكن بمستوى الفعل المسبب لحالة الغضب. ولربما هذا ما نلاحظه في قصة النبي يونس عليه السلام في ما نقله عنه القرآن الكريم: (وَذَا النُّونِ إِذْ ذَهَبَ مُغَاضِباً فَظَنَّ أَنْ لَنْ نَقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَى فِي الظُّلُمَاتِ أَنْ لا إِلَهَ إِلاَّ أَنْتَ سُبْحَانَكَ إِنِّي كُنْتُ مِنَ الظَّالِمِينَ) (الأنبياء:٨٧).

وفي أثناء إحدى خطبه في مسجد الكوفة، انبرى أحد الخوارج من الحضور قائلاً عن الإمام علي عليه السلام: (قاتله الله ما أكفره!!). فأراد بعض القوم أن يقتلوه، فبادرهم الإمام وهو خليفة المسلمين فقال: (رويداً، إنما هو سب بسب أو عفو عن ذنب).

وهكذا يتكرر المشهد عندما أُدخل عبدالرحمن بن ملجم على أمير المؤمنين علي وهو يحتضر، بعد أن تلقى الإمام منه الضربة المشؤومة، فقال الإمام: (أي عدو الله، ألم أُحسِن إليك؟ قال: بلى. قال الإمام: فما حملك على هذا؟ قال: شحذته أربعين صباحاً وسألت الله أن يقتل به شر خلقه! قال علي: لا أراك إلا مقتولاً به، ولا أراك إلا من شر خلق الله. ثم قال: النفس بالنفس، إن هلكتُ فاقتلوه كما قتلني، وإن بقيت رأيتُ فيه رأيي. يا بني عبد المطلب لا ألفينَّكم تخوضون دماء المسلمين تقولون قُتل أمير المؤمنين، ألا لا يقتلنّ إلا قاتلي، انظر يا حسن، إذا أنا مت من ضربتي هذه فاضربه ضربة بضربة، ولا

تمثلن بالرجل، فإني سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم يقول: إياكم والمُثلة ولو بالكلب العقور).

٢ـ الغضب ضمن حسابات خاطئة:

فقد يصب أحدنا جام غضبه على شخص برئ لا يتحمل مسئولية الخطأ، وهو ما يستدعي التثبّت أولاً والسؤال عن المسبب الحقيقي، والظروف المحيطة بالأمر. وقد أخبر الله تعالى عن نبيه موسى عليه السلام موقفاً مماثلاً، قال سبحانه: (وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِي مِن بَعْدِي أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ وَأَلْقَى الأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُ إِلَيْهِ قَالَ ابْنَ أُمَّ إِنَّ الْقَوْمَ اسْتَضْعَفُونِي وَكَادُوا يَقْتُلُونَنِي فَلاَ تُشْمِتْ بِيَ الأَعْدَاء وَلاَ تَجْعَلْنِي مَعَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ * قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي وَلأَخِي وَأَدْخِلْنَا فِي رَحْمَتِكَ وَأَنتَ أَرْحَمُ الرَّاحِمِينَ) (الأعراف ١٥٠-١٥١). وفي سورة طه:٩٤ (قَالَ يَا ابْنَ أُمَّ لا تَأْخُذْ بِلِحْيَتِي وَلا بِرَأْسِي إِنِّي خَشِيتُ أَن تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَائِيلَ وَلَمْ تَرْقُبْ قَوْلِي).

٣ـ الغضب حيث يمكن العفو والتجاوز:

قال الله سبحانه في وصف المؤمنين المتوكلين عليه: (وَالَّذِينَ يَجْتَنِبُونَ كَبَائِرَ الْإِثْمِ وَالْفَوَاحِشَ وَإِذَا مَا غَضِبُوا هُمْ يَغْفِرُونَ) (الشورى:٣٧)، وفي ذكر التوكل على الله هنا إشارة لا تخفى إلى أن

• عند اكتشاف مواطن الخلل علينا أن لا نحولها إلى أزمة تعقّد الأمور، بل نعالجها بهدوء وتعقّل

كظم الغيظ والعفو بحاجة إلى قوة مساندة تستمد من عند الله سبحانه لشدة الأمر وصعوبته.

وعن علي عليه السلام مخاطباً مولاه لقنبرٍ وقد رام أن يشتم شاتمه: (مهلاً يا قنبر! دع شاتمك مهاناً تُرض الرحمن وتُسخط الشيطانَ وتُعاقب عدوَّك، فوالذي فلق الحبة وبرأ النسمة ما أرضى المؤمنُ ربَّه بمثلِ الحِلم، ولا أسخِط الشيطانُ بمثلِ الصمت، ولا عوقب الأحمقُ بمثل السكوت عنه).

المعالجة المتأنية:

ومن المهم عند اكتشاف مواطن الخلل في أنفسنا أو عند الآخرين أن لا نحولها إلى أزمة تعقّد أوضاعنا أو أوضاعهم، بل نحاول معالجتها بهدوء وتعقّل، وإلا فإنها قد تتحول إلى عقدة نفسية ذات آثار سيئة، وقد يعيش الإنسان صراعاتها دون حل جذري لها، تماماً كما كان رسول الله صلى الله عليه وآله سولم يتصرف حين يؤتى بالصبي الصغير ليدعو له بالبركة أو يسمّيه، فيأخذه فيضعه في حجره تكرمة لأهله، فربما بال الصبي عليه فيصيح بعض من رآه حين يبول فيقول النبي: (لا تزرموا بالصبي!!) فيدعه حتى يقضي بوله، ثم يفرغ له من دعائه أو تسميته ويُبلغ سرور أهله فيه ولا يرون أنه يتأذى ببول صبيهم، فإذا انصرفوا غسل ثوبه بعده.

قالوا في الغدير

٢١ ذوالحجة ١٤٢٩ هـ / ٢٠ ديسمبر ٢٠٠٨



بعد عودة النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم من حجة الوداع برفقة عشرات الآلاف من الحجاج من أنحاء الجزيرة العربية و ذلك في اليوم الثامن عشر من ذي الحجة، جمع النبي المسلمين عند غدير ماء يُعرف باسم (خم) كما في الخبر الذي أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال: [نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بواد يقال له: وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير، قال: فخطبنا، وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال رسول الله: ألستم تعلمون؟ ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، اللهمّ عاد من عاداه ووال من والاه]. وأخرج النسائي بسند صحيح عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: [لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن - أي فكنسن - ثمّ قال: كأنّي قد دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض. ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثمّ إنّه أخذ بيد علي رضي الله عنه وقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من

• قال رسول اللّه:

إنّ اللّه مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن من كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، اللهمّ عاد من عاداه ووال من والاه

• قال الذهبي :

صدر الحديث متواتر

أتيقن أن رسول الله قاله،

و أما: اللهم وال من والاه.

فزيادة قوية الإسناد

والاه وعاد من عاداه. قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله؟ فقال: والله ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأذنيه].

من أقوال العلماء والمحققين:

وقد علق جمع من علماء الأمة على هذا الحديث المعروف بحديث الغدير، وهذه عشرة نماذج مما ذكره أولئك الأعلام:

١ـ شمس الدين الذهبي الشافعي وقد أفرد كتاباً في حديث الغدير، وذكره بطرق شتى في (تلخيص المستدرك) وصحح غير واحد منها وقال: [صدر الحديث متواتر أتيقن أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قاله، و أما: اللهم وال من والاه. فزيادة قوية الإسناد]. واعتمد على تصحيحه جمع من أعلام أصحابه.

٢ـ الحاكم النيسابوري في المستدرك على الصحيحين رواه بعدة طرق وقال: [هذا حديث صحيح على شرط الشيخين ولم يخرجاه بطوله. شاهده حديث سلمة بن كهيل عن أبي الطفيل أيضا صحيح على شرطهما].

٣ـ الحافظ أبو عيسى الترمذي صاحب الصحيح قال في صحيحه بعد ذكر الحديث: [هذا حديث حسن صحيح].

٤ـ الحافظ أبو جعفر الطحاوي في (مشكل الآثار): [قال أبو جعفر: فهذا الحديث صحيح الإسناد، ولا طعن لأحد في رواته، وفيه : إن ذلك القول كان من رسول الله صلى الله عليه وسلم لعلي بغدير خم في رجوعه من حجه إلى المدينة لا في خروجه لحجه من المدينة].

٥ـ أبو محمد أحمد العاصمي في (زين الفتى): [قال النبي صلى الله عليه وسلم: من كنت مولاه فعلي مولاه، وهذا حديث تلقته الأمة بالقبول، وهو موافق بالأصول] ثم رواه بطريق شتى.

٦ـ الحافظ ابن عبد البر القرطبي قال في كتابه (الاستيعاب) بعد ذكر حديث المواخاة وحديثي الراية والغدير: [هذه كلها آثار ثابتة].

٧ـ الفقيه أبو الحسن ابن المغازلي الشافعي قال في كتابه (المناقب) بعد روايته الحديث عن شيخه أبي القاسم الفضل بن محمد الأصبهاني: [قال أبو القاسم: هذا حديث صحيح عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وقد رواه نحو مائة نفس منهم العشرة المبشرة، وهو حديث ثابت لا أعرف له علة، تفرّد علي بهذه الفضيلة لم يشركه فيها أحد].

• قال الغزالي :

أسفرت الحجة وجهها

وأجمع الجماهير على

متن الحديث من خطبته

في يوم غدير خم

باتفاق الجميع

٨ـ حجة الإسلام أبو حامد الغزالي قال في (سر العالمين): [أسفرت الحجة وجهها وأجمع الجماهير على متن الحديث من خطبته في يوم غدير خم باتفاق الجميع وهو يقول: من كنت مولاه فعلي مولاه].

٩ـ الحافظ أبو الفرج ابن الجوزي الحنبلي قال في (المناقب): [اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي الحجة وكان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حوالي مكة والمدينة مائة وعشرون ألفاً وهم الذين شهدوا معه حجة الوداع وسمعوا منه هذه المقالة، وقد أكثر الشعراء في ذلك في تلك الحكاية].

١٠ـ أبو المظفر سبط ابن الجوزي الحنفي قال في (تذكرة خواص الأمة) بعد ذكره الحديث مع صدره وذيله: [وكل هذه الروايات خرجها أحمد بن حنبل في الفضايل بزيادات... اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع في الثامن عشر من ذي حجة، جمع الصحابة وكانوا مائة وعشرين ألفا وقال: من كنت مولاه فعلي مولاه. الحديث.

نص صلى الله عليه وسلم على ذلك بصريح العبارة دون التلويح والإشارة].

• قال ابن الجوزي : كان معه من الصحابة ومن الأعراب وممن يسكن حوالي مكة والمدينة ١٢٠ ألفا

• قال سبط ابن الجوزي : اتفق علماء السير على أن قصة الغدير كانت بعد رجوع النبي من حجة الوداع



المتاجرون بالدين

٢٨ ذوالحجة ١٤٢٩ هـ / ٢٧ ديسمبر ٢٠٠٨



الدين والمتاجرة به.. صورة قدّمها القرآن عن أهل الكتاب ولا سيما عن أحبارهم ورهبانهم.. فبعضهم لجأ إلى التحريف والوضع عن علم، بما يخدم مصالحه، لئلا يفقد امتيازاته أو لكسب المزيد من الامتيازات الشخصية، إن على صعيد المال أوعلى صعيد الجاه والرئاسة.

وبعضهم تصدى للشؤون الدينية وهو جاهل لا يملك من العلم ما يؤهله لذلك، وتلاعب بالكلام وحرّف الحقائق ليخدع به السذّج، وليحقق لنفسه ـ من خلال ذلك ـ بعض المكاسب المادية،

(أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُواْ لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلاَمَ اللّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُ مِن بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ* وَإِذَا لَقُواْ الَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوَاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلاَ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ قَالُواْ أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَآجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ أَفَلاَ تَعْقِلُونَ * أَوَلاَ يَعْلَمُونَ أَنَّ اللّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ * وَمِنْهُمْ أُمِّيُّونَ لاَ يَعْلَمُونَ الْكِتَابَ إِلاَّ أَمَانِيَّ وَإِنْ هُمْ إِلاَّ يَظُنُّونَ * فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ الْكِتَابَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـذَا مِنْ عِندِ اللّهِ لِيَشْتَرُواْ بِهِ ثَمَنًا قَلِيلاً فَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُمْ مِّمَّا يَكْسِبُونَ). (البقرة:٧٥-٧٩).

صورة قرآنية عن استغلال

• يلجأ البعض إلى التقشف القاسي مما يضفي عليهم صفة القداسة ويمكنهم من استغلال الناس

وذلك بالاستفادة من ثلاثة عوامل: قداسة الدين في النفوس، الإيمان بالعنصر الغيبي في الوجود، سذاجة وجهل الناس بحقائق الدين وصورته الحقيقية.

الخداع بالمظهر:

العنوان الديني الذي يتلبسون به، واعتبارهم في موقع هداية الآخرين، وبالاستفادة من شئ من العلم الذي يحملونه ويتشدقون به، ولجوء بعضهم إلى التقشف القاسي الذي يخضعون له أجسادهم، والبعد عن شهوات الحياة وزخارفها، وغير ذلك مما يضفي عليهم صفة القداسة في أعين الناس، ويجعل منهم القدوة المُثلى في نظرهم، وكأنهم وكلاء الله على الأرض، حتى ليصور إليهم أنهم يملكون توزيع حصص الجنة والنار... كل ذلك مكّنهم من الاستيلاء على أموال الناس بطرقٍ غير شرعيّة، تتنوع حسب تنوّع المراحل والأجيال.

أكل مال وصد عن السبيل:

صورة أخرى يعرضها القرآن الكريم عن هؤلاء:

• أصدر البابا في القرن السادس عشر كميات هائلة من صكوك الغفران لتباع للعامة

(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِنَّ كَثِيراً مِّنَ الأَحْبَارِ وَالرُّهْبَانِ لَيَأْكُلُونَ أَمْوَالَ النَّاسِ بِالْبَاطِلِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ اللّهِ وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ وَلاَ يُنفِقُونَهَا فِي سَبِيلِ اللّهِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ * يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَـذَا مَا كَنَزْتُمْ لأَنفُسِكُمْ فَذُوقُواْ مَا كُنتُمْ تَكْنِزُونَ). (التوبة:٣٤-٣٥).

في الكنيسة الكاثوليكية وبعد الاعتراف والإبراء، يُمنح المذنب صك الغفران مقابل مبلغ يقدّمه للكنيسة يختلف مقداره باختلاف ذنوبه، وقد أصدر البابا في القرن السادس عشر كميات هائلة من صكوك الغفران لتباع للعامة، فقام مندوبوه بالتنقل بين المدن والقرى ونجحوا في مهمتهم، فتفتقت ذهنية البابا عن فكرة شراء صكوك الغفران باسم الأقرباء الميتين كي تساعدهم على دخول مملكة السماء!

حذو النعل بالنعل:

ولا أتصور أن القرآن الكريم يتحدث عن هذه الأمور لفضح الممارسات الخاطئة لأهل الكتاب فقط، أو بهدف التشفّي والشماتة مثلاً، بل - أيضاً - لتقديم صورة لما قد تصل إليه أحوال المسلمين، لاسيما وقد روي عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم: [ليأتين على أمتي ما أتى على بني إسرائيل حذو النعل بالنعل]. أو [لتسلكن سنن من قبلكم حذو القُذة بالقذة]. (القذة: ريش السهم).

وصور المتاجرة بالدين - حتى من قبل الأميين والجهلة - في وسطنا الإسلامي مشهودة، ولو استدعى الأمر إلى التحريف والتخريف، وبدأت منذ قرون مديدة، ورواية [من أكل بصل عكا كمن زار مكة] شاهد على ذلك.

صور مأساوية:

دجالون يملــؤون شاشات بعض الفضائيات فيقرؤون الطالع، ويفكون السحر، ويعالجون من الأمراض الخبيثة وهم يتلون آياتٍ من القرآن وينقلون نصوصاً من الحديث الشريف تمويهاً وتلبيساً على الناس (والمفارقة أن بعض الأبحاث التي تجرى على صنع عقار لعلاج مرض ما، قد يكلف أكثر من مليار دولار وتستغرق الأبحاث والتجارب عليه أكثر من ١٠ سنوات).. بضائع تُعرض بأسماء مقدسة أو عناوين دينيـــة بهدف الترويج لها، وليس وراءها إلا الربح المادي.. أموال تُنتهب من الناس ـ يسلّمونها طواعية وعن سذاجة قاتلة ـ استجابة لرؤيا رأوها في مناماتهم، تُفسَّر على أنها نذورات لم تتم..

والحقيقــة أنها نمطية من الدجل تتكــرر في البشــر وتصاحب الأديان وتفتك بها و برسالتها. وخطر هؤلاء أنهم هم أول من يعبث بقيم الدين، و يحرف كلماته و يشوه رسالته و ينفره في قلوب الناس، وهم أول من يختلق له أحكاماً و فتاوى تخدم أغراضهم التي يستأكلون بها أموال الناس بالباطل ثم يقولون هذا من عند الله ليشتروا به ثمناً قليلا. وبتعبير سيد الأحرار الإمام الحسين عليه السلام: [الناس عبيد الدنيا والدين لعق على

• دجالون يملؤون شاشات بعض الفضائيات فيقرؤون الطالع، ويفكون السحر، ويعالجون من الأمراض الخبيثة

السنتهم يحوطــونه ما درّت معايشهم، فإذا محصوا بالبلاء قلّ الديّانون].

المعرفة والوعي:

والحل يكمن في بناء أساس معرفي قوي قائم على القرآن الكريم (النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: فإذا التبست عليكم الأمور كقطع الليل المظلم فعليكم بالقرآن... فيه مصابيح الهدى ومنار الحكمة، ودليل على المعرفة لمن عرف النصفة ـ أي الإنسان المنصف ـ، فليرع رجل بصره، وليبلغ النصفة نظره، ينجو من عطب، ويتخلص من نشب، فإن التفكر حياة قلب البصير)، وترسيخ لمنهجية استخدام العقل والاحتكام إلى المنطق (النبي الأكرم صلى الله عليه وآله وسلم: قِوام المرء عقله، ولا دين لمن لا عقل له)، وامتلاك الوعي الذي يجنّب الناس الوقوع في حبائل المتاجرين باسم الدين (الإمام علي عليه السلام: رحم الله امرءً سمع حُكماً فوعى، ودُعي إلى رشاد فدنا).

ـ هذه الصورة لصك من صكوك الغفران.



المتخاذلون

٦ محرم ١٤٣٠ هـ / ٣ يناير ٢٠٠٩



صور الخذلان من المشاهد الرئيسة في أحداث ثورة سيد الشهداء الإمام الحسين بن علي عليه السلام، فممَّن خذله أولئك الذين كاتبوه قائلين: (أما بعد، فقد اخضرّ الجناب، وأينعت الثمار، وطمت الجمام، فإذا شئت فأقدِم، على جند لك مجند)، حتى إذا استجاب لدعوتهم خذلوه، ومنهم أولئك الذين ساروا معه من المدينة ومكة، حتى إذا أيقنوا أن الأمور تسير نحو معركة غير متكافئة الأطراف تخلوا عن نصرته، ومنهم النفر الذين عرض عليهم الإمام النصرة وأقام عليهم الدليل والحجة، فلم يستجيبوا له وهم يعلمون أن من واجبهم ذلك.

وهذه الصور ليست بدعاً في أحداث الثورة الحسينية، ففي القرآن الكريم مشاهد عديدة لصور من الخذلان مارسها المنافقون ومَن كان في قلبه مرض، بل هو مشهد حاضر في كل صراع على مر التاريخ، ما دامت الأنانية وحب الذات والاستغراق في الشهوات حاضرة بقوة في سمات الإنسان، والتي لا تنفك عنه إلا إذا ارتقى وسما.

صور قرآنية:

قال تعالى (وإذا أنزلت سورة أن آمنوا بالله وجاهدوا مع رسوله استأذنك أولو الطول منهم وقالوا ذرنا نكن مع القاعدين * رضوا بأن يكونوا مع الخوالف وطبع على قلوبهم فهم لا يفقهون) (التوبة:٨٦-٨٧)، وقال عز اسمه: (وإذ قالت طائفة منهم يا أهل يثرب لا مقام لكم فارجعوا ويستأذن فريق منهم

• في القرآن الكريم مشاهد عديدة لصور من الخذلان مارسها المنافقون ومَن كان في قلبه مرض

النبي يقولون إن بيوتنا عورة وما هي بعورة إن يريدون إلا فراراً) (الأحزاب:١٣).

والمشهد البارز والأبشع من صور الخذلان حين يتحول الموقف الافتراضي بالولاء والنُّصرة إلى موقف العداء ومساندة العدو، قال تعالى (يا أيها الذين آمنوا لا تتخذوا اليهود والنصارى أولياء بعضهم أولياء بعض ومن يتولهم منكم فإنه منهم إن الله لا يهدي القوم الظالمين * فترى الذين في قلوبهم مرض يسارعون فيهم يقولون نخشى أن تصيبنا دائرة فعسى الله أن يأتي بالفتح أو أمر من عنده فيصبحوا على ما أسروا في أنفسهم نادمين) (المائدة:٥١-٥٢).

وعي وحذر:

فالمسألة ـ وفق ما تطرحه الآية الكريمة ـ ليست مسألة ترسيخ حالة من المشاعر الحاقدة والأعمال العدوانية تجاه أهل الكتاب، لأن الإسلام يفرض ـ أساساً ـ على المسلم أن يؤمن بكل الرسل والرسالات السماوية السابقة، بل والقرآن الكريم مجّد المؤمنين من أتباعها كما في قصة أهل الكهف وأصحاب الأخدود وغيرهم، وهو الذي أكّد على بعض الجوانب الإيجابية عند النصارى في سلوكهم العملي (ولتجدن أقربهم مودة للذين آمنوا الذين قالوا إنا نصارى ذلك بأن منهم قسيسين ورهبانا وأنهم لا يستكبرون) (المائدة:٨٢)، ولكنِ القرآن يريد أن يكون واقعياً في رسم ملامح العلاقة معهم، لاسيما وأنهم التزموا سلوكاً عدوانياً ناشئاً من عدم إيمانهم برسالة محمد صلى الله عليه وآله وسلم، ولسعي الإسلام نحو تطبيق منهجه على صعيد الحكم، ولطبيعة الدعوة الإسلامية التي تحدثت عن سلبياتهم وبعض معالم انحرافهم وتحريفهم لقواعد الدين والشريعة.

ثم إن طبيعة التحالفات والمعاهدات القائمة لا على أساس الوحدة الفكرية من شأنها أن تدفع أطرافها إلى توخي الحذر واليقظة والترقب وتأمل الأوضاع، خصوصاً في تلك الأجواء المشحونة بالمؤامرات والمكائد التي مارسها اليهود على عهد النبي صلى الله عليه وآله وسلم، فالسذاجة والاسترخاء مرفوضان في هكذا ظروف.

> • المشهد البارز والأبشع من صور الخذلان حين يتحول الموقف الافتراضي بالولاء والنُصرة إلى موقف العداء ومساندة العدو

خذلان وعداء:

إلا أن طائفة من المنافقين والذين في قلوبهم مرض من الذين كانوا يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي أصرّوا ـ بعد جلاء الصورة ـ على تولي الأعداء، بل وسارعوا للارتباط بهم وهم يلهثون خلفهم خوفاً وطمعاً، حتى تحوّلوا إلى سلاح بيدهم ضد إخوانهم المسلمين، وأضحوا أبواقاً تكرر ما يلقيه الأعداء

على مسامعهم من شبهات وفتن، في سعي لزعزعة الموقف الداخلي، وتفريغ المسلمين من عناصر القوة الروحية التي يتمعتون بها، وإضعاف ثقتهم بالله عزوجل وبالقيادة النبوية الحكيمة، وتشكيكاً في الوعد الإلهي بالنصر المحتوم..

وبانتظار ذلك اليوم الذي يتحقق فيه النصر للمسلمين أو يندفع به كيد أعدائهم، وعندها يفتضح أمر هؤلاء لينقلبوا خزايا يعتصرهم الألم والهلع، وليواجهوا اللوم والتقريع من إخوانهم، ولتذهب أعمالهم هباءً منثوراً.

المشهد المعاصر:

وما يجري في غزة، مثال حيّ للصورة القرآنية في الخذلان، وهو يعرّي مواقف المتخاذلين، ويكشف مدى الأذى الذي يلحقونه بالأمة.. فبماذا يبرّر أولئك اللاهثون وراء السلام الزائف، والساعون لكسب ود كيانٍ يقتات على آلام الآخرين، ويعتاش على دمائهم، ولا يعرف إلا لغة الرصاص، وإذا أراد أحد قادته أن يحقق مكسباً سياسياً، كان

• تبرز الصور البطولية في النصرة وثبات الموقف رسمها أنصار أبي الأحرار الإمام الحسين

العدوان الدموي على الأبرياء من الأطفال والنساء سبيله لكسب قلوب الناخبين؟!!

أنصار الحسين:

وبين المشاهد القرآنية للخذلان، والمآسي الحية التي تعيشها الأمة الإسلامية، تبرز الصور البطولية في النصرة وثبات الموقف، والصبر والمرابطة، والعزة والكرامة، تلك التي رسمها أنصار أبي الأحرار الإمام الحسين عليه السلام.. ثلّة مؤمنة بربها، واثقة بقيادتها، راسخة في ولائها، واعية لمسئوليتها، حققت على أرض كربلاء أعظم ملحمة عرفها تاريخ البشرية.. فتية لا يتجاوزون المائة في قبال آلاف من الجند، صرخوا في وجه الطغيان: كلا.. لن نقبل بالهوان.. وهيهات منا الذلة.. يأبى الله لنا ذلك ورسوله والمؤمنون، وحجور طابت وطهرت، وأنوف حميّة، ونفوس أبيّة من أن نؤثر طاعة اللئام على مصارع الكرام.. إن لم يكن لكم دين وكنتم لا تخافون المعاد فكونوا أحراراً في دنياكم، وارجعوا إلى أحسابكم إن كنتم عُرُباً كما تزعمون.

هذه الصورة الخالدة للولاء الحقيقي عند الحسين وأنصاره هو الذي يدفع العارفين بالثورة الحسينية إلى إحياء ذكراهم كل عام، لأن في إحياء هذه الذكرى تمجيداً لأولئك الأبطال، وترسيخاً للمفاهيم العظيمة التي ترجموها إلى مواقف بطولية عزّ نظيرها، فألهمت الأحرار على مدى التاريخ.

• الصورة الخالدة للولاء الحقيقي عند الحسين وأنصاره هو الذي يدفع العارفين بثورته إلى إحياء ذكراهم كل عام

لن تسقط غزة

١٣ محرم ١٤٣٠ هـ / ١٠ يناير ٢٠٠٩

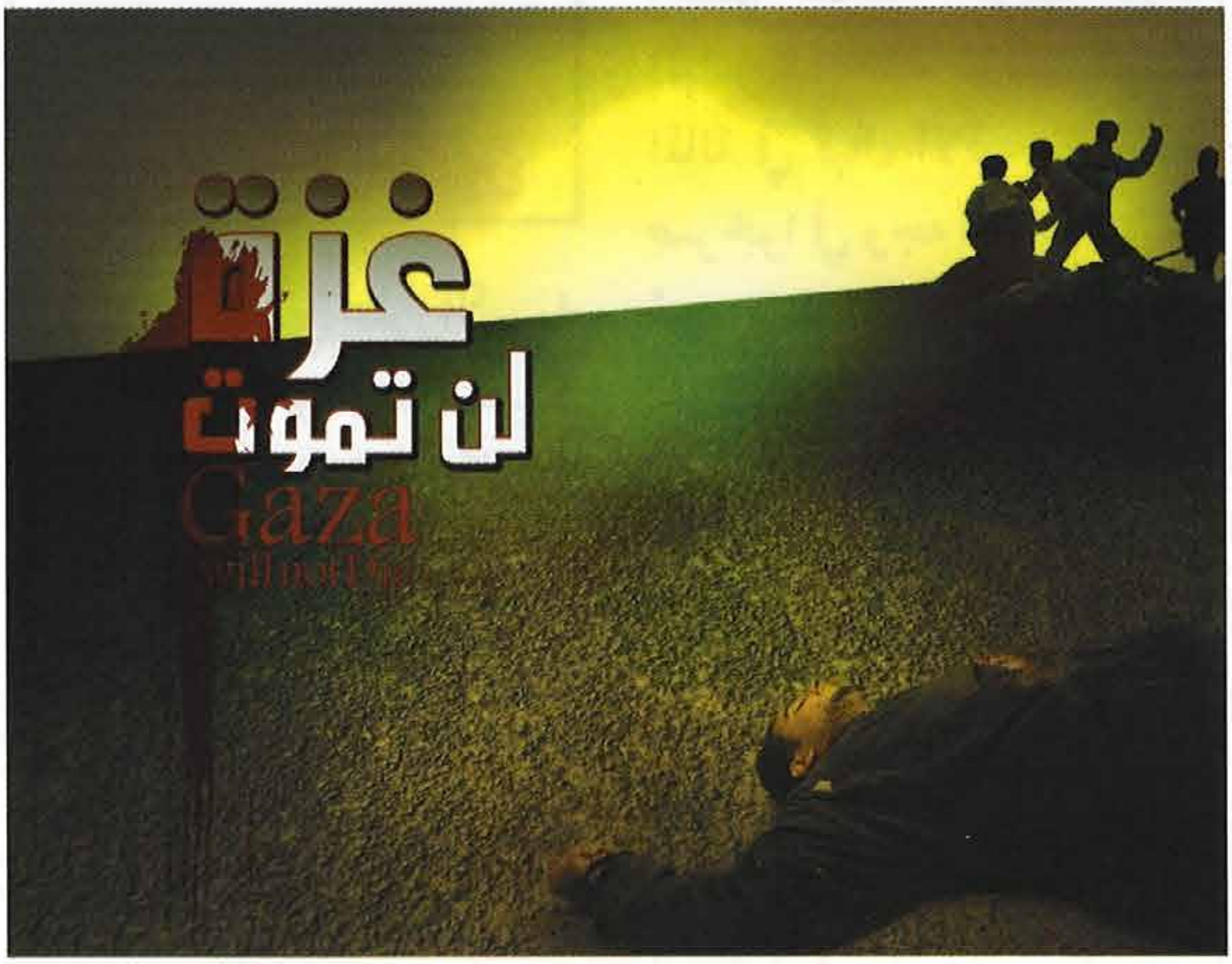

لن تسقط غزة..
لأن السقوطَ خضوعٌ وذل واستسلام..
انسلاخٌ عن الهوية..
وقبولٌ بالاحتلال..
وانسحاقٌ أمام أهوائه..
وتسليمٌ لعربداته..

****

لن تسقط غزة..
بل ستبقى عنواناً للشموخ والإباء..
وستلاحق لعناتُها كلَّ مَن خذلها..
وجلس على أريكته الوثيرة..
يُقشِّر عن جسده..
آلام خسائره في صالات
لِـعَرين..
ولا تركنُ لمُداهن..
ولا تعرِف للهوانِ سبيل..

****

لن تسقط غزة..
وإن احتلَّها العدوان..
وإن جالت دباباته في شوارعها الضيقة تطحن عظام الأطفال..
وإن حامت على عرشها طائراته تصك الأسماع بأزيزها المقزز..
المراهنين على جسدها الممزَّق..
وسط صرخاتهم: «ستسقط في الجولة الثالثة»..
«زد الرهان.. في الجولة الرابعة»..
«لا بل في الخامسة»..

****

لن تسقط غزة..
فروحُ المقاومة باقية..
تدبُّ في جسد شعبها..
وتُنجبُ ليوثاً لا تستكين

****

لن تسقط غزة..
أبداً..
ففي صدور فتيانها زئير الأسود..

ومن عيونهم تتطاير براكين الغضب..
وعلى مناكبهم صواريخ الرعب..
وفوق إرادتهم تتكسر قيود الاحتلال..

****

لن تسقط غزة..
كما لم يسقط الحسين..
في يوم كربلاء..
وإن احتضن جسدَه التراب..
ودكدكوا أضلاعه بحوافر الخيل..
واحتملوا رأسه على أسنَّة الرماح..
وانتهكوا حُرَمَه في وضح النهار..

****

لم يسقط الحسين..
بل بقي شامخاً في العقول..
وفي القلوب..
ومع كلِّ خطوة يخطوها ثائر..
وكلِّ صرخةِ حقٍّ في وجهِ
سلطانٍ جائر..
وكلِّ رصاصةٍ تمزِّقُ صدورَ
المجرمين..
وتُرعبُ قلوبَ الظالمين..
وتُزلزلُ عرشَ فرعون..
وهامان..
والدهاقين..

****

لم يسقط الحسين..
بل سيبقى عزيزاً..
يثبِّت أقدام الثائرين على
الظلم..
ويكتب عنوان الشهادة على
جبين الأحرار..
ويرسم بدمِه أوسِمةَ العارِ
على صدورِ اللاهثين وراء
السراب..
وينفخُ في الصُّورِ ليحَطِّم كلَّ
(هاشوفار)..
و (ماجين)..
و (مينوراه)..

****

لم يسقط الحسين..
ولن تسقط غزة..
بل عاش الحسين..
أبيّـاً خالداً..
وستعيش غزة..
عنواناً للصمودِ والعزة..

****

ـ تم نشر هذا النص بمناسبة العدوان الصهيوني على غزة، وموافقته لأيام العزاء الحسيني في شهر محرم الحرام.
(هاشوفار: قرن كبش ينفخ فيه اليهود، وهو من تقاليد أعيادهم ـ ماجين: نجمة داود ـ مينورا: شمعدان أو منارة سباعية، وهي من الرموز اليهودية).

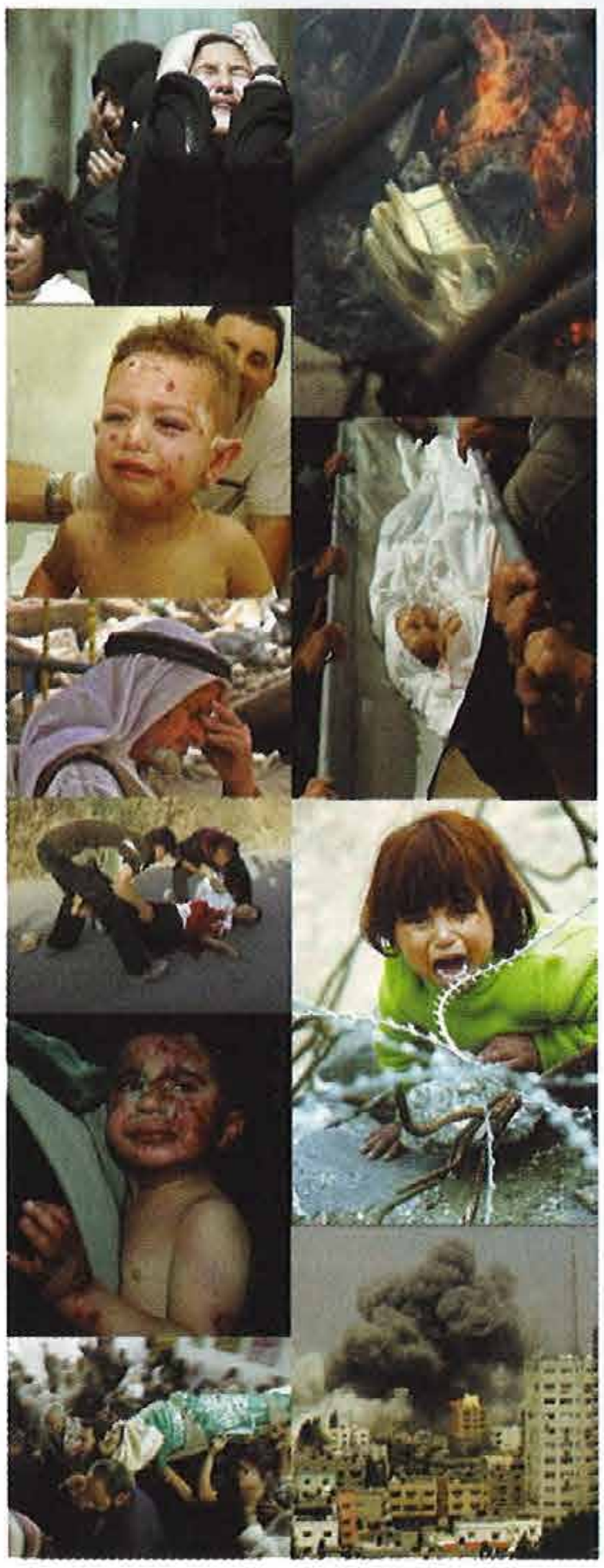

بين الولاية و الخلافة

(لم يُنشَر)

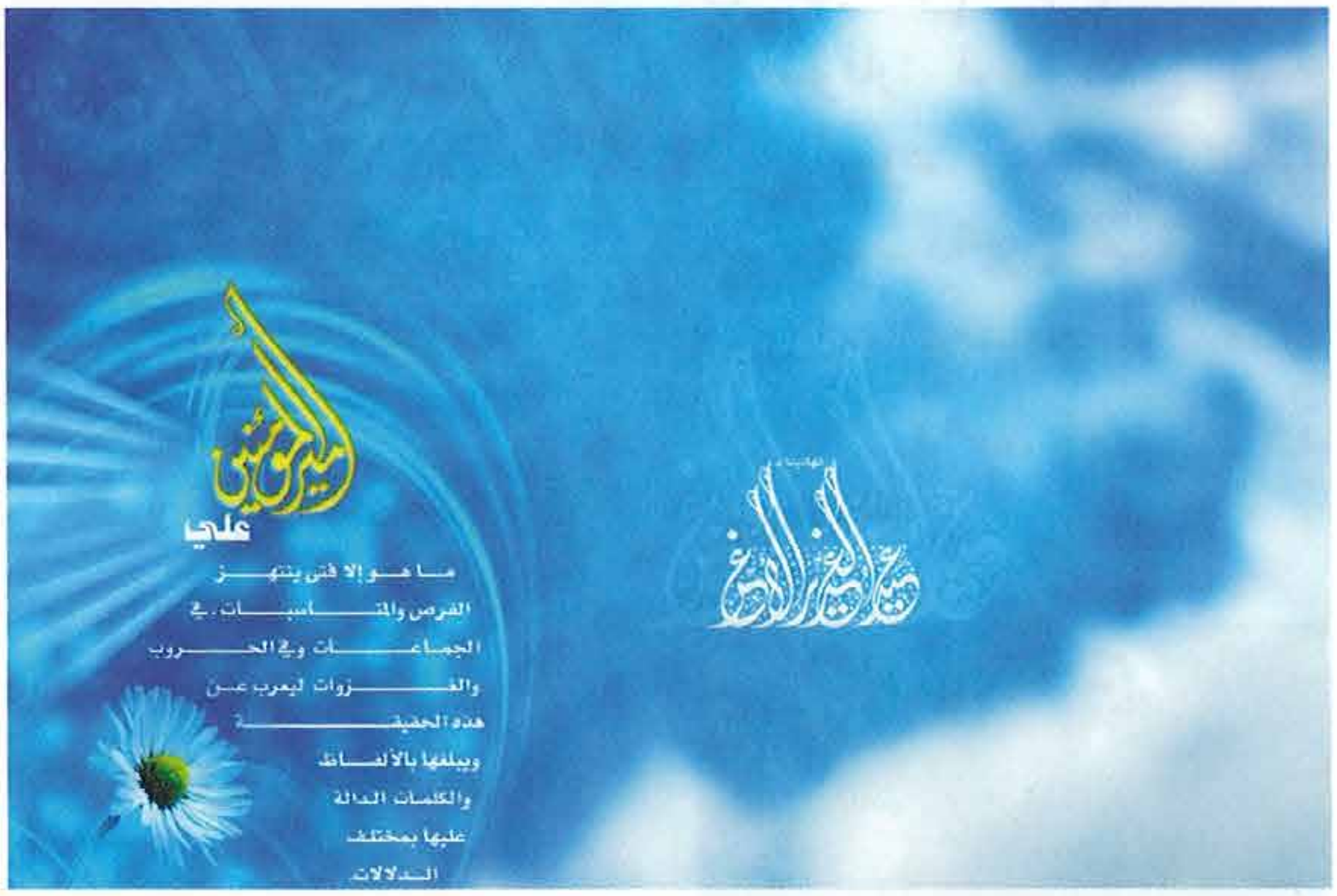

في الثامن عشر من ذي الحجة من السنة العاشرة للهجرة، وبعد انتهاء موسم الحج وبدء عودة الحجاج إلى ديارهم، جمع النبي الأكرم محمد صلى الله عليه وآله وسلم المسلمين عند غدير ماء يُعرف باسم (خم) كما في الخبر الذي أخرجه أحمد بن حنبل بسند صحيح عن زيد بن أرقم قال: [نزلنا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بواد يقال له: وادي خم، فأمر بالصلاة فصلاّها بهجير، قال: فخطبنا، وظلّل لرسول الله صلى الله عليه وسلم بثوب على شجرة سمرة من الشمس، فقال رسول الله: ألستم تعلمون؟ ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟ قالوا: بلى، قال: فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه، اللهمّ عاد من عاداه ووال من والاه]. وأخرج النسائي بسند صحيح عن أبي الطفيل عن زيد بن أرقم قال: [لمّا رجع رسول الله صلى الله عليه وسلم من حجة الوداع ونزل غدير خم، أمر بدوحات فقممن ـ أي فكنسن ـ ثمّ قال: كأنّي قد دُعيت فأجبت، وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فانظروا كيف تخلّفوني فيهما، فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض. ثمّ قال: إنّ الله مولاي وأنا وليّ كلّ مؤمن، ثمّ إنّه أخذ بيد علي رضي الله عنه وقال: من كنت وليّه فهذا وليّه، اللهمّ وال من والاه وعاد من عاداه. قال أبو الطفيل: فقلت لزيد: سمعته من رسول الله؟ فقال: والله ما كان في الدوحات أحد إلاّ رآه بعينه وسمعه بأُذنيه].

• لماذا استخدم النبي مصطلح الولاية ولم يستخدم كلمة أقرب إلى الأذهان، وذلك ككلمة (خليفة) مثلاً؟

لماذا النص بالولاية دون الخلافة؟

ومن المعلوم أن أتباع مدرسة أهل البيت عليهم السلام يعتبرون هذا النص من الأدلة التي تثبت أحقية خلافة الإمام علي عليه السلام بعد وفاة رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم مباشرة، وأن الولاية هنا تعني الحاكمية والسيادة، ولكن البعض يتسلءل: إن كان هذا هو مراد النبي، فلماذا لم يستخدم كلمة أقرب إلى الأذهان من الولايةٍ، وذلك ككلمة (خليفة) مثلاً؟ لاسيما وأن لكلمة (المولى) معان عدة قد توهم المستمع أن للنبي مراداً آخر كالمحبة أو الصحبة؟

الولاية في القرآن :

للإجابة على التساؤل السابق لابد ـ أولاً ـ من العودة إلى نفس نص الحديث، فقد قال النبي صلىٍ الله عليه وآله وسلم بداية: (ألستم تشهدون أنّي أولى بكلّ مؤمن من نفسه؟) ثم أردف ذلك بقولٍه: (فمن كنت مولاه فإنّ عليّاً مولاه)، فما عناه النبي هو ذات قول الله سبحانه وتعالى في سورة الأحزاب: (النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ) (الأحزاب:٦(وقد بيّن الطبري في تفسير الآية معنى الأولوية هنا بقوله: (أحق بالمؤمنين به من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم. كما: حدثني يونس قال: أخبرنا ابن وهب قال: قال ابن زيد: النبي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنت أولى بعبدك، ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز). وهذا يعني أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم قد أعطى لعلي ذات الحاكمية والسيادة التي هي له، فعلي (أحق بالمؤمنين من أنفسهم، أن يحكم فيهم بما يشاء من حكم، فيجوز ذلك عليهم. وعلي أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أنت أولى بعبدك، ما قضى فيهم من أمر جاز، كما كلما قضيت على عبدك جاز).

• مفهوم كلام النبي يدل على أن علياً أولى بالمؤمنين من أنفسهم كما أن الفرد أولى بعبده

وهي سيادة دينية وسياسية وقضائية وعسكرية.

دلالة الخلافة على عهد النبي:

ولنا أن نتسلءل: لو استخدمٍ النبي مصطلح الخلافة بدلاً من الولاية، فهل ستكون دلالتها محصورة في الحكم من بعده، وبالتالي أوضح مراداً فيما عناه النبيٍ؟ أم أن دلالة الكلمة لغوياً أشمل، وهي تعني: (النائب عن الغير والذي يسد مسده في أي أمر كان)؟

بالعودة إلى النص القرآني والأحاديث المروية عن النبي صلى الله عليه وآله وسلم سنجد أن مصطلح (خليفة) استعمل في القرآن ولم يقصد بها خليفة رسول الله، قال تعالى (يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الأَرْضِ) ص:٢٦، واستعملَ في حدَيث رسول الله وقصد به رواة أحاديثه، قال: (اللهم ارحم خلفائي، اللهم ارحم خلفائي، اللهم

ارحم خلفائي، قيل له: يا رسول الله من خلفاؤك؟ قال: الذين يأتون بعدي يروون حديثي وسنتي).

وفي عصر الخليفة أبي بكر والخليفة عمر استعملت الكلمة في معناها اللغوي أيضاً، ولم يكن مصطلح (الخليفة) يدل على الحاكم من بعد رسول الله، ولذا تسلل المسلمون عن اللقب الذي ينبغي اختياره لأبي بكر، فاختاروا: (خليفة رسول الله)، ولما مات أبوبكر قيل لعمر بن الخطاب: خليفة خليفة رسول الله.

واستعملت الكلمة في عصر الأمويين والعباسيين وقصد بها خليفة الله، وعلى عهد العثمانيين وقصد بها خليفة رسول الله، إذاً فهذه التسمية من مصطلحات المتشرعة وتسمية المسلمين، وليست مصطلحا شرعياً، أي لو قال النبي صلى الله عليه وآله وسلم: (فهذا علي خليفتي) لم تكن الدلالة أكثر وضوحاً وأقرب للمعنى المراد من قوله: (فهذا علي مولاه).

المرجعية على أقل تقدير:

و لو فرضنا أن دلالة الحاكمية في كلمة (مولاه) لم تكن بذاك الوضوح، فلا أقل أن النبي صلى الله عليه وآله وسلم صرّح في يوم الغدير بمرجعية علي عليه السلام حين ذكر قرب رحيله فقال: (كأنّي قد دُعيت فأجبت)، ثم بيّن مرجعية القرآن وأهل البيت فقال: (وإنّي تارك فيكم الثقلين، أحدهما أكبر من الآخر: كتاب الله وعترتي أهل بيتي)، ثم حرّص على اتباعهما قائلا: (فانظروا كيف تخلّفوني فيهما)، وأكّد على اتحادهما في النهج: (فإنّهما لن يفترقا حتّى يردا عَلَيّ الحوض)، وكلها مقدمات تؤكد مسألة المرجعية. ولو أن المسلمين رجعوا إلى علي عليه السلام في مسألة الحكم بعد النبي، فهل كان سيجد في غيره مَن هو أولى منه في الحكم وهو القائل: (فلما مضى - أي النبي - عليه السلام تنازع المسلمون الأمر من بعده، فوالله ما كان يُلقى في روعي ولا يخطر ببالي أن العرب تزعج هذا الأمر من بعده صلى الله عليه وآله عن أهل بيته، ولا أنهم منحوه عني من بعده، فما راعني إلا انثيال - أي انصباب - الناس على أبي بكر يبايعونه، فأمسكت يدي حتى رأيت راجعة الناس قد رجعت عن الإسلام - أي المرتدون في جزيرة العرب - يدعون إلى محق دين محمد صلى الله عليه وآله، فخشيت إن لم أنصر الإسلام وأهله أن أرى فيه ثلماً أو هدماً تكون المصيبة به علي أعظم من فوت ولايتكم التي إنما هي متاع أيام قلائل يزول منها ما كان كما يزول السراب، أو كما يتقشّع السحاب، فنهضت في تلك الأحداث حتى زاح الباطل وزهق، واطمأن الدين وتنهنه)؟

• لو رجع لمسلمون إلى علي في تحديد الحاكم بعد النبي فهل كان سيجد مَن هو أولى منه؟

صدر للمؤلف

الكتب والكتيبات :

١. أحكام الحدث الأكبر
٢. أحكام الدماء الثلاثة : وفق فتاوى السيد الخوئي / السيد السيستاني
٣. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله
٤. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد السيستاني
٥. أحكام النجاسات والمطهرات : وفق فتاوى السيد الخوئي / السيد السيستاني
٦. إليك يا ولدي
٧. إليكِ يا ابنتي
٨. بساتين الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة المتوسطة مصورة وملونة
٩. حدائق الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الابتدائية مصورة وملونة
١٠. الدرة الثمينة في أخبار مكة والمدينة
١١. الدليل : مرشد الزائرين للعتبات المقدسة في إيران
١٢. دليل الحاج والمعتمر
١٣. رسالة المسجد
١٤. زوجتي العزيزة
١٥. زوجي العزيز
١٦. زينة الحياة : آداب وأحكام المواليد
١٧. شهداء على أرض فخ
١٨. صلاة الجمعة
١٩. الغناء في ميزان الشرع
٢٠. فراس : قصة مصورة للأطفال
٢١. المآتم الحسينية : أهداف وتطلعات
٢٢. المرأة والستر الشرعي
٢٣. مفاهيم حركية من وحي القرآن: مجلدان
٢٤. منتقى الجمان من مفاتيح الجنان
٢٥. منتقيات (في جزئين)
٢٦. النشأة الآخرة
٢٧. للشباب فقط
٢٨. واحات الإيمان : ٤ كتب دراسية للمرحلة الثانوية
٢٩. وداع الأحبة : أحكام الميت ، آداب العزاء ، وزيارة القبور

التسجيلات الصوتية :

١. زوجتي العزيزة

٢. زوجي العزيز
٣. فزت ورب الكعبة
٤. للشباب فقط
٥. المباهلة
٦. واقعة الطف في ضمير التاريخ

الرسوم المتحركة :

ـ مغامرات عجيب : ١٦ حلقة تربوية في ٤ أشرطة فيديو

الأفلام :

ـ مجلس القاسم : ٣ أفلام تحتوي على مجموعة من الدروس الخاصة بالأطفال أقيمت في شهر محرم بأسلوب مبتكر

برامج الحاسب الآلي :

١. أحكام الحج والعمرة
٢. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بأفلام ولوحات توضيحية عديدة
٣. أحكام المريض والمصاب : وفق فتاوى السيد السيستاني . برنامج مبسط ومزود بأفلام ولوحات توضيحية عديدة
٤. أحكام النساء : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بلوحات توضيحية عديدة
٥. أحكام النساء (**Rules Menstruation**) باللغة الإنجليزية : وفق فتاوى السيد محمد حسين فضل الله . برنامج مبسط ومزود بلوحات توضيحية عديدة
٦. حدائق الإيمان : منهج تعليمي للصف الثاني الابتدائي ، بالصوت والصورة
٧. مسابقات دينية : بطريقة مسلية ومبتكرة
٨. الهادي لفتاوى آية الله العظمى السيستاني : يحتوي على أكثر من ٥٣٠٠ استفتاء تم تقسيمها إلى أبواب مختلفة مع إمكانية البحث فيها
٩. المدرسة القرآنية: منهج تعليمي للمرحلة الثانوية فما فوق، يحتوي على شرح الآيات وإمكانية التحفيظ مع أحكام التجويد وآداب التلاوة والأحكام الفقهية والقصص القرآنية والدروس الأخلاقية المستقاة من آيات القرآن الكريم، مع تقديم نماذج من قراءات المقرئين.

* كما قام المؤلف بإعداد برنامج تعليم القرآن الكريم للمراحل الابتدائية الخمس والخاص بالمدرسة الذكية بدولة الكويت.

تم بحمد الله

هذا الكتاب...

يمثِّل هذا الكتاب ٥٢ مقالة نُشرت في صفحة منتقى الجمان في جريدة الوطن الكويتية، ابتداءً من العاشر من محرم من عام ١٤٢٩ هـ الموافق ١٩ يناير ٢٠٠٨، وكان منطلق إعداد هذه الصفحة هو الإحساس بمسئولية الكلمة التي يجب أن توحِّد لا أن تفرِّق، وأن تسعى لتقريب وجهات النظر ما أمكن، وأن تعمل على نشر الوعي والثقافة الدينية، وأن تعكس الصورة الحضارية لمدرسة أهل البيت عليهم السلام، انطلاقاً من قول الله تعالى ﴿ادْعُ إِلَى سَبِيلِ رَبِّكَ بِالْحِكْمَةِ وَالْمَوْعِظَةِ الْحَسَنَةِ وَجَادِلْهُمْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ﴾، وكلمة الإمام علي الرضا عليه السلام حيث قال لعبدالسلام بن صالح الهروي: (رحم الله عبداً أحيا أمرنا. فقلت له: وكيف يحيي أمركم؟ قال: يتعلم علومنا ويعلِّمها الناس، فإن الناس لو علموا محاسن كلامنا لاتبعونا).

المؤلف